جامعة اليرموك
قسم اللغة العربية

القاعدة النحوية بين النظرية والتطبيق
من خلال كتابي
معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش
دراسة تحليلية وصفية

في ضوء النظرية التوليدية التحويلية للدكتور خليل أحمد عمايرة

إعداد

إيمان "محمد أمين" خضر الكيلاني

إشراف

د. حنا حداد

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية والنحو في جامعة اليرموك

١٩٩٠

القاعدة النحوية بين النظرية والتطبيق

من خلال كتابي
معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش

دراسة تحليلية وصفية

في ضوء النظرية التوليدية التحويلية للدكتور خليل أحمد عمايرة

اعـــــــداد

إيمان محمد أمين خضر الكيلانـــــــي

بكالوريوس في الاداب (اللغة العربية) جامعة اليرموك

قـــــدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الماجستير في جامعة اليرموك

في اللغة العربية ، تخصـــص : لغـــة ونحـــو

لجنـــة المناقشـــة

الدكتور حنـــا حـــــداد	مشـــرفا
الدكتور خليل عمـــــايرة	عضـــوا
الدكتور سلمان القضـــاة	عضـــوا

١٩٨٩ — ١٩٩٠م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
تصدير	أ

الباب الأول

المنهج الوصفي

الفصل الأول : المنهج الوصفي	٤
تعريف بالمنهج الوصفي	٤
تعريف بالمنهج المعياري	٥
نشأة المنهج الوصفي وتطوره	٩
مميزات المنهج الوصفي	١١
الفصل الثاني : مفهوم الجملة بعامة عند النحاة العرب	١٦
معيار اسمية الجملة وفعليتها	٢٠
الفصل الثالث : العامل النحوي	٢٣

الباب الثاني

المرفوعات

الفصل الأول : المبتدأ	٢٧
تقديم موضع الاهتمام والعناية	٢٧
زيادة عنصر رؤية في الجملة الاسمية	٣٨
توكيد المبتدأ بضمير مقدم	٤٥
حذف المبتدأ	٥٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني : الخبر	٧٠
زيادة كان في الجملة الاسمية	٨٢
زيادة عنصر تصيير في الجملة الاسمية	٩٨
توكيد الخبر	١٠٦
الفصل الثالث :الفاعل	١٠٨
تقديم الفاعل	١٠٨
توكيد الفاعل بضمير مقدم	١١٧
الفصل الرابع :نائب الفاعل	١٢١
تقديم نائب الفاعل على فعله	١٢١

الباب الثالث

المنصوبات

الفصل الأول :المفعول به	١٢٦
تقديم المفعول به على فعله	١٣٨
الفصل الثاني: المفعول لأجله	١٥٢
الفصل الثالث :الحال	١٦٣
الفصل الرابع :التمييز	١٦٩
الفصل الخامس :الاستثناء	١٨١

الباب الرابع

التوابع

الفصل الأول : العطف	١٨٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموضوع	الصفحة
العطف على المجرور بحرف جر زائد	١٨٩
العطف على الضمير المجرور دون تكرار الجار.....	١٩٧
العطف على اسم إنّ بمرفوع	٢٠٩
نصب المعطوف خلافاً لحركة المعطوف عليه	٢٢٦
الفصل الثاني: النعت	٢٣٤
نصب النعت خلافاً لحركة المنعوت	٢٣٤
الفصل الثالث : التوكيد	٢٤٢
التوكيد بضمير الفصل	٢٤٢
الفصل الرابع : البدل	٢٤٧
جدول الآيات القرآنية	٢٥٤
جدول الشواهد الشعرية	٢٦٦
المصادر والمراجع	٢٦٩
دليل الرموز	ب
Abstract	د

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" متى أَمْكَنَ حملُ الكلامِ على غيرِ إضمارٍ ولا افتقارٍ كان أَوْلى مِنْ أنْ يُسلكَ به الإضمارُ والافتقارُ ، وهٰكذا تكونُ عادتُنا في إعرابِ القرآنِ لا نَسْلُكُ فيهِ إلاّ الحملَ على أحسنِ الوجوهِ وأبعدِها عن التكلفِ وأَسْوَغِها في لسانِ العرب . ولسنا كَمَنْ جَعَلَ كلامَ اللهِ تعالى كشعرِ امْرِئِ القيسِ وشعرِ الأعشى يُحَمِّلُه جميعَ ما يَحْمِلُه اللّفظُ من وجوهِ الاحتمالاتِ فكما انَّ كلامَ اللهِ مِنْ أفصحِ كلامٍ ، وكذٰلك ينبغي إعرابه أن يُحْمَلَ على أفصحِ الوجوه ، هٰذا على أنّا إنّما نَذْكُرُ كثيراً مما ذَكروهُ لِيُنْظَرَ فيهِ فَرُبَّما يَظْهَرُ لِبعضِ المتأملينَ ترجيحُ شيءٍ منه "

أبو حيان الأندلسي - البحر المحيط ٣٦/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الباب الأول

المنهج الوصفي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعدُ :

فان الغرض الرئيس الذي قام من أجله النحو العربي هو الحرص على سلامة اللسان من اللحن الذي بات متفشياً بالسنة العرب فضلاً عن غيرهم من الأمم غير العربية الداخلة في الإسلام فقعّدت القواعد ليقيس المتكلم كلامه عليها . فيحذو الداخلون في الإسلام من غير العرب حذو العرب في كلامهم .

ولما كان اللحن يقع أكثر ما يقع في الحركات على أواخر الكلم من رفع ونصب وجر ، فقد صب النحاة جل اهتمامهم على الحركة الإعرابية ، حتى بات النحو عندهم : علم أواخر الكلم . فقامت نظرية العامل التي وضع أساسها الخليل بن أحمد - رحمه الله لتبرير الحركة الإعرابية.

وبالغ النحاة في الأخذ بهذه النظرية مما حول النحو إلى درس في الفلسفة والجدل بدل أن يقوم على وصف الظاهرة اللغوية وصفاً واقعياً . كما أصبح على درجة عالية من التعقيد تُثقل على العالم والمتعلم معاً .

وكان أن رتبوا أبواب النحو على أساس الأثر الإعرابي من : مرفوعات ، ومنصوبات ،ومجرورات ، ومجزومات ، جرياً وراء المبنى . فجعلوا كل ماله الأثر الإعرابي نفسه في باب واحد وإن اختلفت دلالته ، كما في (كان) وأخواتها ، و(إن) وأخواتها ، وغيرهما .

وقد غالوا في عنايتهم بالحركة الإعرابية حتى أنهم أصبحوا يقدرونها على ما لا يقبل الحركة أصلاً ، ويقدّرون الجملة في محل المفردة ، .. الخ .

وفي الوقت الذي انصرف فيه جل اهتمام النحاة إلى تحقيق سلامة المبنى كان فريق من المفسرين والبلاغيين يصرفون عنايتهم إلى الدلالة محققين سلامة المعنى .

وإنّ الناظر في كتب معاني القرآن ليجد أنها تقع في موقع الوسط بين هؤلاء وأولئك ؛

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيجد فيها مراوحة بين المبنى والمعنى ، ويجد أن الصنعة النحوية كثيراً ما كانت تشد مؤلفيها ، فيكتب المؤلف للكلمة الواحدة عدداً من أوجه الإعراب مما يوافق وجهاً من وجوه العربية ، فطالما أن الحركة الإعرابية مبررة فلا إشكال عندهم حتى وإن كان المعنى الذي يترتب على بعض هذه التوجيهات لا يقبله تفسير الآية الكريمة ، أو سياقها الحالي ، اذ لا يتصور أن يكون المتكلم حين تكلم أراد أكثر من معنى بالتركيب الواحد أو اللفظة الواحدة .

ومن هنا كان موضوع بحثي هذا تلك الآيات التي وجهها أصحاب معاني القرآن أكثر من وجهة لتبرير الحركة الإعرابية . فأدرسُ توجيههم الشواهدَ النحويةَ لبناء القاعدة طبقاً لأُسس المنهج الوصفي في التحليل اللغوي ، فأدرسُ النقطةَ موضوعَ البحث في ضوء ما يقوله عنها النحاة ، وإن كانت للبلاغيين وجهةُ نظرٍ عرضتها ، ثم أُحتكمُ للتفسير وأسباب النزول في ترجيح وجهة على أخرى .

وقد حاولتُ إبراز أثر القاعدة النحوية في توجيه الإعراب ، مبينة اعتماد كل من أهل الكوفة والبصرة على المعنى في توجيه القاعدة .

وتوصلت في مواطنَ كثيرةٍ من خلال التحليل إلى إمكانية الاستغناء عن بعض القواعد التي ترتكز على أساس فلسفي لا يتفق وواقعَ اللغة الوصفي .

واعتمدتُ النظرية التوليدية التحويلية للدكتور خليل عمايرة بعناصرها الخمسة : الترتيب ، والزيادة ، والحذف ، والحركة الاعرابية ، والتنغيم - أساساً في التحليل .

وتجدر الإشارة إلى أني لم أعرض لكل مسائل النحو في كل باب من أبوابه ، وإنما تناولت بالتحليل ما احتمل منها أكثر من وجه إعرابي في موضع ما في كتابي " معاني القرآن" للفراء ، والأخفش . فما لم أجد فيه أكثر من وجه منها ، ولم يقدني إليه سياقُ الآية موضع البحث أو تحليلُها لم أعرض له مثل : المجزومات ، والمجرورات . فهي ليست موضع خلاف كبير في التوجيه بين النحاة ، أما ما عرض لي من جزئياتها فعالجته في موضعه كما في العطف على الضمير المجرور بدون تكرار الجار .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما لم أتناول بالبحث كل أنواع المنصوبات مثل : المفعول المطلق ، والمفعول فيه ، والمفعول معه . وكذلك التوابع : كالتوكيد المعنوي وغيره ، للسبب نفسه .

وحين كنت أجد أكثر من قراءة في اللفظة مما من شأنه أن يؤدي إلى اختلاف في التخريج ، ومن ثم اختلاف في الدلالة أعتمد أربعة كتب للحكم بصحة القراءة أو خطئها هي : "الكشف عن وجوه القراءات السبع "، و " النشر في القراءات العشر "

وقد وجدت أن كثيراً من القراءات الشاذة قرأ بها أصحابها بناءً على قاعدةٍ نحويةٍ ليست من القراءات موضوعةٍ مسبقاً إذ لم أجدها في كتابي " الكشف " و" النشر " مما يدل على أنها المعتمدة ، كما أن كثيراً منها لم أجده في " المحتسب " و " مختصر ابن خالويه " ، مما قد يستنتج منه أن هذه القراءات نشأت بعد تأليف ابن جني وابن خالويه كتابيهما . وكان الأولى أن تكون القراءةُ الموثوقةُ هي الأصلَ المسموعَ الذي يمثل واقعَ اللغة ، وعليه تبنى القاعدة ،اذ القاعدة النحوية مهمتُها وصفُ الظاهرة اللغوية وفق ما هي عليه واقعاً ، لا خلقَ واقعٍ لغويٍ جديد .

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأُستاذ الفذ ، والأب المعطاء الذي رعاني روحاً وفكراً ، وألقمني خلاصةَ تجاربه العلمية والحياتية الأستاذ الدكتور خليل عمايرة .

وإلى الذي علمني أبجديات تحليل النص الشعري ، ورعاني بحنان الأب الواعي ، الأستاذ الدكتور عبد القادر الربّاعي .

وإلى أستاذي الذي طالما اتسع صدره لمناقشتي ، وما بخل عليّ قط بالمشورة والنصح ، والكتب ، الأستاذ الدكتور حنا حداد .

والله نسأل الأجر على هذا العمل إن أحسنا ، والغفران إن أخطأنا .

والحمد لله ربِّ العالمين

إيمان محمد أمين خضر الكيلاني

في ٨ / ٦ / ١٩٨٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المنهج الوصفي

في البدء لا بد من التعريف بالمنهج الذي ينتهجه البحث في تحليل الظواهر النحوية واللغوية ، وذكر أبرز خصائصه ومزاياه ، ليكون القارىء على بينة من أمره ، وهو المنهج الوصفي مع الإشارة إلى الفرق الجوهري بينه وبين المنهج المعياري .

فهذا بحث يسير في ضوء المنهج الوصفي الذي ينظر إلى اللغة على أنها واقع يؤخذ كما هو فمهمة النحوي أن يصف قواعد اللغة وصفاً ظاهراً ، دون إسراف في فلسفتها وتعقيدها بما يشط بها عن واقعها ، أو يحولها إلى ضرب من الرياضة الذهنية المجردة ، مهملاً ما للغة من إيحاءات ، وما لها من وظيفة دلالية ، هي الهدف الذي يتوخاه المتكلم من كلامه ليُفْهِم ، ويتحراه السامع ليَفْهَم .

تعريف بالمنهج الوصفي :

« يطلق المنهج الوصفي على الدراسات النحوية الحديثة التي تحاول ان تخلص النحو العربي مما علق به من الشوائب التي أدخلت عليه خلال عهوده التاريخية الطويلة ، ومحاولة وصف النص الموجود وصفاً واقعياً دون تدخل بمحاولةِ فرضِ قوالبَ قاعديةٍ لا تتفق مع طبيعته ، ودون محاولة لتقديرِ صيغٍ أو تأويلٍ أو تعليلٍ في محاولة لإخراج النص عن ظاهره ليتمشى مع القواعدِ التقليديةِ »(١) .

يقول د . خليل عمايرة :

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، د. محمد صلاح الدين بكر ،ص ١١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

« أما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين منذ دي سوسير إلى يومنا هذا فهو العلم الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ، دراسةً علميةً دقيقةً تعطي وصفاً دقيقاً تاماً لأنظمة اللغة وكيف تعمل هذه الأنظمةُ أو الأجهزةُ اعتماداً على ملاحظة الظواهرِ اللغوية ثم دراستُها ووضعُ النظريات لتعليل الملاحظات ، ثم وضع النظريات موضع التجريب الدقيق لمعرفة ما ينطبق من اللغة على القواعد والقوانين وما يخرج عليها ، ولمعرفة انسجام هذه القواعد والقوانين أو النظريات مع الاستعمال اللغوي ، ثم الكشف عن خصائص تلك اللغة ، ووضع القواعد التي تمكن من يرغب في تعلّمها من أن يحذو حذو أهلها دون أن يقع في الخطأ...فعلم اللغة...هو دراسة اللغة في ذاتها وبدون تأثر بعناصر أخر او ميادين بحث تاريخية او تقابلية ، او ... ، ولذاتها اي لغير حاجة للوصول إلى نتائج تتعلق بميدان بحث أخر (١) .

تعريف بالمنهج المعياري

« و.... يطلق على الدراسات النحوية التي بدأت مع نشأة التفكير في وضع علوم العربية عامة ، والنحو خاصة والتي سلكت الطريق المتعارف عليه ، وهو وضع قوالب اللغة لتحفظها من الضياع والتحريف خصوصاً مع الداخلين في العربية من غير أبنائها ممن اعتنقوا الإسلام ووجدوا الدخول في العربية وسيلة لارتقاء المناصب في الدولة الإسلامية أو لكي يتمكنوا من أداء شعائر دينهم الحنيف . هذه القوالب اللغوية - على الرغم من أنها موضوعة أساساً - لخدمة اللغة والحفاظ عليها إلا أنها في تاريخها الطويل سلكت دروباً متشعبة وطرقاً متعرجة انحرفت بها عن الغاية التي نشأت من أجلها ، قليلاً في بعض الفترات التاريخية وكثيراً في البعض الآخر (٢) ، مما جعل النحو واللغة نوعاً من الأحاجي

---

(١) في نحو اللغة وتراكيبها ، د . خليل عمايرة ، ص ٢٩ ، ٣٠

(٢) الأفصح أن يقال : بعضها ، لأن "بعض" من الأسماء اللازمة للإضافة .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والألفاظ خصوصاً عند البحث في الكتب التي ألفت في الفترة التي كان فيها المنطق والفلسفة سائدين ومتمكنين من عقول الباحثين في مختلف فروع العلم "(١)

وقد بلغ تقديس النحاة قواعدهم التي وضعوها من الاستقراء الجزئي للغة على غزارته - حده بأن أصبحوا يحاولون إخضاع ما خالفها من المسموع لها ، وإلاّ فإنهم يرفضونه ويعدونه شاذاً ، مع أن الأصل أن يغيروا قواعدهم إذا سمعوا من الفصحاء ما يخالفها لا العكس .

« ولقد تعلقت الإباحة وعدمها بقواعد معيارية تفرض نفسها على الاستعمال وعلى المسموع وكان توصل النحاة إلى هذه القواعد نتيجة نشاط استقرائي تحليلي للغة سواء في ذلك مفرداتها وتراكيبها ، ولكنهم بعد وصولهم إلى ما ارتضوه من قواعد جعلوا هذه القواعد "أحكاماً " فكانت في نظرهم أولى بالاعتبار مما خالفها من المسموع ومن ثم أعملوا فيما خالف قواعدهم من النصوص حيل التخريج والتأويل والتعليل فإذا لم يتأت لهم ذلك قالوا في المسموع " يحفظ ولا يقاس عليه " ، وهذا موقف من النحاة يفترض في العربي الأول أنه كان على بصر بأقيستهم وعللهم وقد ورد عن بعض أساطين النحاة ما يؤيد دعوى هذا الافتراض "(٢) .

« ... إن دراسة النحو كانت تحليلية لا تركيبية . أي أنها كانت تعنى بمكونات التركيب أي بالأجزاء التحليلية أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه . أقصد أنهم لم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر من دراسة النحو وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية والمباني التي تدل عليها فمن ذلك مثلاً معنى الإسناد باعتباره وظيفة ثم باعتباره

---

(١) النحو الوصفي ، ص ١١

" لعله يقصد بذلك ما أورده الزجاجي من مقولة الخليل بن أحمد : « إن العرب قد نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله " الإيضاح في علل النحو " ص ٦٦ .

(٢) اللغة العربية ، معناها ومبناها ، د . تمام حسان ، ص ١٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علاقة ثم تفصيل القول في تقسيمة الى اسناد خبري واسناد انشائي ، وتقسيم الخبري الى مثبت ومنفي ومؤكد ... »(١)

وهذا الميل إلى التفكيكية في التحليل النحوي بسببٍ من تلك التقديرات والتأويلات التي كثيراً ما تُقحم على الجملة لتبرر الحركات الإعرابية على أواخر الكلم في ضوء نظرية العامل مهملين ما يحدثه التقدير والتأويل من تغيير لمبنى الجملة ومن ثم لدلالتها الخاصة ، وتفويت للمعنى الخاص الدقيق الذي أراده المتكلم بأن استخدم له تركيباً معيناً دون غيره من التراكيب التي قد يبدو للوهلة الأولى أنها تشبهه بأن تلتقي معه في حد أدنى مشترك من المعنى المعبر عن فكرة لكنها لا يمكن أن تحل محله أو تقوم مقامه من حيث العمق ، او المدلول الخاص الذي أوجَدَهُ السياق الخاص والتركيب الخاص الذي صبت فيه . كما في التحذير بهذين التركيبين :

١ - الأسدَ الأسدَ

٢- احذر الأسدَ .

فالأولى تشيرُ إلى أنَّ الخطرَ قريبٌ جداً بحيث تصدرُ الجملةُ انفعاليةً سريعةً لا يُصرَّحُ فيها المتكلمُ بلفظِ التحذير ، بل يذكر المُحَذَّرَ مِنْهُ مباشرةً وبالنصبِ إشارةً وتنبيهاً إلى أنه تحذير لا إخبار ، ويكرر المُحَذَّرَ مِنْهُ ، بالإضافةِ إلى النَّغمة الانفعالية الصاعدة التي ينطق بها جملته ، محاولاً بهذا التكثيف البلاغي للجملة تنبيه المُحَذَّرَ بأقصى سرعة ممكنة لعله يستطيع تجنبَ الخطر .

أما الثانية فهي - كما صنفها اللغويون العرب والنحاة - إخباريةٌ طلبيةٌ ، نغمتُها الصوتيةُ هادئةٌ مستويةٌ(٢) . موقف المُحَذَّرِ المُخَاطَبِ بها ليس ضطيرٍ لحظةَ التكلم ، فقد

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(٢) لمزيد من التفصيل فيما يتعلق بصعود النغمة ، واستوائها في المثالين ، انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ١٦٢ ، ١٦٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا يكون ثمة أسدٌ أصلاً في كل المنطقة ليُحَذِّرَ منه ، لكن المتكلمَ أرادَ أن يَنْصَحَهُ للمستقبلِ ، فخرجت الجملةُ بنَغْمَةٍ تتناسبُ والموقف ، فَحَذَّرَ المتكلمُ بأن جاء بفعلٍ صريح من لفظِ التحذير، إذ لديه متسعٌ منَ الوقت ، وأعصابُهُ هادئةٌ بحيث يُملي نصيحَتَه وهو في حالِ استرخاء.

ومن اليسير غالباً أن ندرك الفرق بين لغة الإرادة ولغة العقل ، فهنالك فرق واضح بين قولنا: يا عبدَ الله ، و : أدعو عبدَ الله . الأولى أسلوبُ إرادةٍ ورغبةٍ ، والأخرى أسلوبُ عقلٍ ومنطقٍ . كما تختلطُ لغةُ الانفعالِ بلُغةِ الفاعليةِ (الإرادة) في الندبةِ والاستغاثةِ . "(١)

ولما كان ثمة ارتباطٌ كبيرٌ بينَ اللغةِ العربيةِ ، والشريعةِ الإسلاميةِ وأحكامِها بما له مُساسٌ بعقيدةِ المسلمِ وما فُرِضَ عليهِ منْ فرائضَ كانَ التفريقُ بينَ ما تَعكِسُه التراكيبُ المختلفة مُن دِلالاتٍ مختلفةٍ أمراً مهماً وضرورياً ، ومن ثم كان « ... لاشتراط التعمق في علم النحو للمجتهد في الأحكام الشرعية أثر بليغٌ في استخراجِ تلك الأحكام ، لأن النحوَ يَمْنَحُهُ ملكةً قويةً في اجتهادِه ، ويفتحُ له آفاقاً واسعةً في استنباط الفروع من أصولها ، فهو علمٌ مرتبطٌ بتوجيهِ التركيبِ اللفظي وبيانِ دلالتِهِ التي تَختلفُ مِنْ تركيبٍ إلى آخر ، وكم من المسائل الشرعيةِ يختلفُ الحكمُ فيها تبَعاً لاختلافِ التركيبِ ومَدْلولِه . » (٢)

ومن هنا كان توجيهُ هذا البحث من خلال المنهجِ الوصفي الذي من شأنه تخليصُ النحو من تَسَلُّطِ العاملِ وما يترتب عليه من تقديرٍ وتعليلٍ وتأويلٍ مما يغير في تركيبِ الجملة ومن ثم فيَ معناها ويحرفُها عن مسارِها الدلالي .

---

(١) المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، عبد المجيد عابدين ، ص ٦٠ .

(٢) اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية ، عبد القادر عبد الرحمن السعدي ص ٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نشأة المنهج الوصفي وتطوره

« لم تكن الدراسة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للغة دراسة وصفية وإنما كانت مقارنة Compartive Study وكان علم اللغة يطلق عليه آنذاك علم اللغة المقارن Compartive Linguistics حيث كانت تُدْرَسُ اللغاتُ من الفصيلة الواحدة دراسة مقارنة في مختلف ظواهرها الصوتية والصرفية ، فهناك أسرةُ اللغاتِ الهنديةِ الأوروبيةِ التي تضمُ عدداً كبيراً من لغاتِ المنطقةِ الممتدةِ من الهندِ إلى أوروبا ، وَعَرَفَ العلماء أن العربيةَ تنتمي إلى أسرةِ اللغاتِ السامية التي تَضُمُ العبريةَ والآراميةَ والأكّاديةَ والحبشيةَ . ودُرِسَت اللغاتُ دراسةً مقارنةً . كانت هذه هي البداية في دراسة علم اللغةِ خلال القرن التاسع عشر وأوائلَ القرنِ العشرين حيثُ كان الهدفُ هو التعرفُ على العلاقاتِ التي تَرْبِطُ كلَ لغةٍ من لغاتِ الأسرةِ اللغويةِ الواحدةِ بغيرها .(١)

« وظل الامْر كذلك محصوراً في دائرة الدراسة المقارنةِ حيثُ لم يكن هناك تصورٌ واضح لإمكان بحثِ اللغة الواحدةِ أو اللهجة الواحدةِ على نحوٍ علميٍ دقيق . ولكنَ الباحثَ السويسري " دي سوسير " De saussure أثبت بدراساته في نظريةِ اللغة ووظيفتِها إمكانَ بحثِ اللغةِ الواحدةِ وصفياً أو تاريخياً وبذلك كان أولَ من أبرزَ إمكان بحثِ اللغةِ أو اللهجةِ بالمنهجِ الوصفي ."»(٢)

« ولقد كان " دي سوسير " أول مَن أطلقَ مصطلح " علم اللغة الوصفي " Lingustique Synchronque " - " وهذا المصطلح الفرنسي يرجع أساساً إلى المصطلح اليوناني " Syn" وتعني " معاً " + " chronos" وتعني " زمن " وتستعمل الكلمتان معاً في المصطلحات الأوروبية

---

(١) علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث ولغات سامية) ، د. محمود فهمي حجازي ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

"الأولى ان يقال : "كان معظم الباحثين يعدونه أول من أبرز ..."

(٢) السابق ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بمعنى " متزامن " اي في نفس الوقت .

كما أن دي سوسير هو أول* من أطلق - أيضاً - مصطلح diachronique على البحث اللغوي التاريخي أي الذي لا يبحث في فترة زمنية واحدة كالوصفي ، وإنما في فترات تاريخية متعاقبة ، ولذلك يقف "الوصفي" في مقابل "التاريخي" حيث يرجع الوصف إلى البحث في فترة زمنية واحدة ويرجع التاريخي إلى البحث في فترات زمنية مختلفة سواء أكانت متتابعة أم متباعدة .

وترجع أيضاً كلمة " diachronique " التي استعملها " دي سوسير " الى المصطلح اليوناني (Dia) وتعني " عبر " + " chronos " وتعني " زمن " وهما تفيدان عبر الزمن أو "في مختلف الزمن " .

هذا من حيث استعمال هذين المصطلحين ومعناهما وأول من استعملهما . وبذلك يكون العالم السويسري " دي سوسير De saussure " أول من بحث في الدراسات اللغوية الوصفية وأول من استعمل هذين المصطلحين " وصفي synchroniqu وتاريخي Diachronique "(١)

و « أثبتَ بدراستِه في نظريةِ اللغةِ إمكانُ بحثِ اللغةِ الواحدةِ بالتعرُّفِ على بِنْيَتِها الصوتيةِ والصرفيةِ والنحويةِ والدلاليةِ ، وهذا البحث يرتبطُ عنده بمستوىً لغويٍ بعينه في زمنٍ واحد ، ومعنى هذا البحثِ الوصفي لا يجوزُ لَهُ أن يُخْلِطَ المراحلَ الزمنيةَ أو يَخْلِطَ المستوياتِ المختلفة .

لقد بدأ الباحثون بعد دي سوسير في تطويرِ مناهجِ البحثِ في البنيةِ اللغويةِ ، وزاد اهتمامُ الباحثينَ بالمنهجِ الوصفي في الخمسين عاماً الماضية ، وتَكَوَّنَتْ في هذا الإطارِ عدةُ مدارسَ تختلفُ في تقنياتِ الوصفِ اللغوي ، ولكنها تنطلقُ من الأساسياتِ التي تكونتْ عند

---

(١) النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم، ص ١٩ - ٢١

* والأولى أن يقال : « كان معظم الباحثين يعدونه أول من أطلق .... » .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

دي سوسير وعند من جاءوا بعده . لقد أصبحَ علمُ اللغةِ الوصفي سائداً عند أكثرِ المشتغلينَ ببحثِ اللغةِ في العالم ، حتى أن البعضَ * يَتحدَّثُ عن علم اللغةِ الحديثِ ويعني علمَ اللغةِ الوصفي ، وكأنه هو المنهجُ الحديثُ الوحيدُ في علمِ اللغة .

إن كلَّ البحوثِ التي تتناولُ مستوىً واحداً من مستوياتِ اللغةِ بالدراسةِ الشاملةِ أو الجزئيةِ لأحدِ جوانبهِ تُعَدُّ مِنْ موضوعاتِ علمِ اللغةِ الوصفي ، فدراسةُ البِنْيَةِ الصوتيةِ الفصحى في القرنِ الثاني الهجري ودراسةُ البنيةِ الصوتيةِ للعربيةِ المعاصرةِ ودراسةُ المقاطعِ في لهجةِ عُمان ، تُعَدُّ من الدراساتِ الصوتيةِ الوصفيةِ (١) .

مَمَيِّزاتُ المنهج الوصفي

١- وِحْدَةُ الزمان : نظرَ الباحثون المحدثونَ إلى الفترةِ الزمنيةِ التي امتدَ فيها البحثُ النحويُ على أنها فتراتٌ متباعدةٌ جمعت بين أكثرِ مِنْ عنصرٍ ومرحلةٍ تاريخية ، فقد جُمِعَتْ النصوصُ اللغويةُ على مدى العصورِ الجاهليةِ والإسلاميةِ والأُموية ، وهذا في حدِ ذاتِهِ يُمَثِّلُ عدةَ مراحلَ تطوريةٍ على مستوياتٍ مختلفةٍ ، ومنها اللغة ، ولذلك رأى الباحثون المحدثون أنه كان على الباحثين القدماءِ أن يكتفوا بفترةٍ زمنيةٍ واحدةٍ ، لتكون مثالاً لِوِحْدةٍ زمنيةٍ تتضحُ فيها وِحْدَةُ الخصائصِ ، ولذا يُفَضِّلُ البحثُ الوصفي أنْ تكونَ النصوصُ اللغويةُ ممثلةً لفترةٍ لغويةٍ بعَيْنِها ، وألا تجمعَ بين فتراتٍ مختلفةٍ ، حتى لا تختلطُ الخصائصُ والسمات .(٢)

ذلك « أن ما يتميز به المنهجُ الوصفيُ الاهتمامُ بواقعِ الظاهرةِ اللغوية ، وليس بتاريخِ تطورها - كما يفعل المنهجُ التاريخيُ - ولذا كان تركيزُهم على وَصْفِها من خلالِ واقعِها المنطوق ، وليس من خلال الوثائقِ المكتوبة - كما فعل المنهجُ التاريخي - فقد كان مَلْحَظُ

---

* الافصح : بعضهم ، سبق الاشارة الى هذا في هامش ص ٢ .

(١) مدخل الى علم اللغة ، محمود فهمي حجازي ، ص ٢٣ ، ٢٤ . وانظر : في نحو اللغة وتراكيبها ص ٢٤، ٢٥ .

(٢) انظر : النحو الوصفي ص ٢٣ ، واللغة العربية معناها ومبناها ، ص ١٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الوصفيين في نقد أصحابِ المنهجِ التاريخي مُرَكِّزاً على أن قواعد الإملاء والكتابةِ لن ترقى . في وصفِ الظاهرةِ النحويةِ اللغويةِ ، مهما دقّتْ هذه القواعدُ ، إلى ما يُتَوَصَّلُ إليه من خلال النُطْقِ الحي . » (١)

ومن هنا جاء تقسيمُ المستشرقينَ اللغةَ العربيةَ الفُصْحى إلى قسمين : الفصحى القديمة ، والفصحى المعاصرة .

ومن هنا يأخذون على الباحثين اليومَ النَظَرَ إلى انحرافاتِ الكُتّابِ صرفياً أو نحوياً أو دلالياً على أنها أخطاءٌ ينبغي إصلاحُها في حين يَرَوْنها هم تجديداً ومحاولةً من اللغةِ ذاتِها للدخولِ في مرحلةٍ جديدة .

ومن هنا فإن قواعدَ النحاةِ عندَ بعضِهِمْ لا تَنْبعُ من مُقْتَضياتِ المنهجِ الوصفي ، بل هي معياريةٌ ، لا يهمها وصفُ اللغةِ بمقدارِ ما يَهُمُّها اطرادُ قواعِدِها . وهذا يعني أن النحاةَ القدامى كانوا يَغُضُّون النظرَ عن الاستعمالاتِ اللغويةِ التي تعارضُ قواعِدَهم . وهذا الرأي يراه بعضُ علماءِ اللغةِ إزاءَ موقِفِهِمْ من النحاةِ القدامى الذين وضعوا قواعِدَ اللغاتِ الأوروبيةِ القديمةِ . وليس من شكٍ في أن اللغةَ العربيةَ قد وضعتْ قواعِدَها وضعاً رُوعِيَ فيه اطرادُ القواعد ، وهو أمرٌ لا مناصَ منهُ في الوصولِ إلى صيغةٍ مفهومةٍ للغةِ ، وبخاصةٍ في المجالِ التعليمي . (٢)

« فالمعياريةُ مبدأٌ مهمٌ في رسمِ قواعدِ اللغاتِ ، ولا ينبغي أن تكونَ المعياريةُ مقرونةً بِهَوَى النحاةِ ، إذ لا بدَ من أن ترتكزَ على أُسسٍ وصفية . فما اطردَ أو شذَ أو قلَ أو جازَ ، إلى غيرِ ذلك من أحكامٍ نحويةٍ لا يأتي به النحوي على هواهُ ، بل هو من واقعِ النصوصِ اللغويةِ بقدرِ ما كانَ في وسعِ النحاةِ استخلاصُهُ . أما إن كنا نريد أن نُحاكِمَ القدامى على عدمِ الدقةِ الوصفيةِ من خلالِ ما يتيسرُ لنا الآن من أجهزة إحصائيةٍ دقيقةٍ ففي هذا مالا يَخْفى من

---

(١) المستشرقون ومناهجهم اللغوية ، د. اسماعيل عمايرة ، ص ٥٢ .

(٢) انظر السابق ، ص ٥٢ – ٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التجني » .(١)

« إن هؤلاءِ الباحثين(الذين يرونَ اللحنَ والخطأَ في العربيةِ المعاصرةِ ضرورةً اقتضاها تطويرُ اللغةِ لنفسِها) ينظرونَ إلى اللغةِ من خلالِ معاييرِ التطورِ اللغويِ الخالصةِ،ومن خلالِ نظرتِهم إلى صيغةِ اللغاتِ الأُخرى - غيرِ العربيةِ - ولا يعنيهم الطبيعةُ الخاصةُ لعلاقةِ العربيةِ بالقرآنِ الكريمِ حتى يظلَ متسنياً للأجيالِ وبما تَوَسَّعَتْ في تطويعِ اللغةِ لمتطلباتِ عصورِها،أن تقرأ القرآن فتفهَمَه ولذا كان لا بدّ للعربيةِ أن تأخذ بالمعيارية في تقريرِ قواعِدِها .

وينبغي أن نتذكرَ ونحن نتعاملُ مع العربيةِ الفرقَ الكبيرَ بينَ تاريخِها وتاريخِ اللغاتِ القديمةِ كاليونانيةِ، والعبريةِ والسريانيةِ، والسنسكريتيةِ، والأكاديةِ، وغيرِها . فهذه اللغاتُ أدتْ دورَها ثم انقطعتْ عن الحياةِ منذُ أمدٍ بعيدٍ .

أما العربيةُ فهي لم تنقطعْ عن الحياةِ بل هي الشريانُ الذي تتدفقُ فيه الحياةُ الثقافيةُ على مرِ العصورِ دونَ توقفٍ إلى زماننا هذا فإن حصلت اختلافاتٌ عبرَ العصورِ فهي يسيرةٌ لا تَحُولُ بينَ البحثِ اللغوي ، والبحثِ الدقيقِ لهذهِ اللغةِ، وما يزال علمُ القراءاتِ القرآنيةِ - فضلاً عن الاستخدام الحيِ المنطوقِ والمكتوبِ للغة الفصحى - دليلاً على تواترِها المستمرِ دون انقطاع ، وعلى وفائِها بمتطلباتِ التفاهمِ بها . ومن هنا كان من التعسفِ أن تؤخذَ العربيةُ بتلك المعاييرِ التي أُخِذَتْ بها اللغاتُ الأخرى البائدة . » (٢)

لذا فإن إمكانيةَ النظرِ إلى الأخطاءِ اللغويةِ المختلفةِ التي طرأتْ على اللغةِ العربيةِ المعاصرةِ على أنها تطورٌ غيرُ واردٍ ، فهذا المبدأُ من المباديءِ الوصفيةِ كما هو واضحٌ مما سبق لا يُنْظَرُ إليه ولا يُؤْخَذُ به عندَ دراسةِ اللغةِ العربيةِ في ضوء المنهجِ الوصفي .

ويبقى أمام الباحثِ مجالٌ واسع في العودِ إلى منابعِ اللغةِ الفصحى الأصيلةِ الموثوقة ،

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٥٤

(١) السابق ، ص ٥٦ ، ٥٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتي ما زالت بين أيدينا من قرآنٍ كريم ، وحديثٍ شريفٍ ، ونثرٍ ، وشعرٍ ، ثم إمعانُ النظرِ فيها بعد هضم علوم اللغة ، ووعي ما أبدَعَهُ وطَوّرَهُ جهابذةُ اللغويينَ والنحاةِ العربِ القدماءِ من قواعدَ وأصول ، ثم محاولةُ غربَلَتِها مما عَلِقَ بِها من شوائبَ ، ثم إعادةُ وضعِ قواعدَ جديدةً في ضوءِ المنهجِ الوصفي مستفيداً من السمين الذي تركوه ، آخذاً به متجاوزاً غثه،مستغنياً عنه .

٢- إن المنهج الوصفي لا يأخذ بالمقولات المنطقيةِ أو المسائلِ الفلسفيةِ ، فالدرسُ اللغوي ليس بدرسٍ في الفلسفةِ والمنطقِ يحرصُ فيه الدارسُ على إبرازِ مقدرتِهِ الجدليةِ في المُحاجةِ حتى لو كان جدلاً بيزنطياً لا طائلَ منهُ ، بل هو أشبهُ بعلمٍ يصفُ ظاهرةً طبيعيةً فيزيائيةً ، تفرض ذاتها وفقَ واقِعِها ، لا كما يريدُ لها الدارسُ أن تكون .

٣- إنه لا يلجأ إلى الأقيسةِ والتعليلات ، إذ ليس الواصف بصدد التعلم ، بل الوصفِ ، ولكنَّ هذا لا يعني عدمَ الحاجةِ للقياسِ ، بل لا يستغني عنه ، لكن الأهمية الأولى تكونُ في العملِ للوصفِ .

٤- وحدةُ المكان : فلا يعترفُ المنهجُ الوصفيُ بتعددِ الأماكنِ المجموعِ منها النصوصُ اللغويةُ ، على عكسِ ما حدثَ من جرّاءِ اعتمادِ النحاةِ العربِ على لغاتِ القبائلِ الستِ التي أخذوا عنها تطبيقاً وعن غيرِها ، ومن هنا ظهرت الخلافات في التقعيدِ اللغوي .

٥- وحدةُ النصوصِ المستشهدِ بها : يرى الوصفيون أنه ينبغي أن تكون هناك مستوياتٌ لغويةٌ مختلفةٌ للنصوص ، فلا يُقعّدُ للشعرِ كما يُقعّدُ للنثرِ ، فينبغي أن تُجمعَ النصوصُ الشعريةُ على حدةٍ ، وتُستخرَجُ خصائصُها ، وكذلك النصوصُ النثريةُ ، لأن لغةَ النثرِ تختلفُ عن لغةِ الشعرِ ويرى أصحابُ هذا المذهبِ أنه نتيجةُ هذا الخلطِ بينَ مستوياتِ اللغةِ المختلفةِ ظهرت النوادرُ والشواذُ في اللغةِ ، وغيرُها من المصطلحات . (١)

٦- الاهتمامُ بالدراساتِ الإحصائية ، فهذا المنهجُ يهتمُ بالوقوفِ على الظواهرِ اللغويةِ الأكثرِ

---

(١) انظر هذه الخصائص من ٢ - ٥ في : النحو الوصفي ص ٢١ - ٢٢ ، واللغة العربية معناها ومبناها ص ١٣ ، ١٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شيوعاً في اللغةِ الواحدةِ . ولذا كانت محاولاتهُم الإحصائيةُ التي تستهدفُ إحصاءَ أكثرِ المفرداتِ شيوعًا ثم أكثرِ التراكيبِ النحويةِ استعمالاً . (١)

فقد أصبح للإحصاءِ دورٌ هامٌ لا يستغني عنه الباحثُ الوصفي ، إذ يجعل البحثَ أكثرَ علميةً وموضوعيةً بدلاً من الاعتماد على الهوى أو الرأي الشخصي غيرِ الدقيقِ ، أو الحكمِ العشوائي العامِ ، فلم يَعُدْ الاحتكامُ قائمًا على الارتجالِ أو الخبرةِ الذاتيةِ ، . . الخ .(٢)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر : المستشرقون ومناهجهم اللغوية ، ص ٧٩ - ٨١

(٢) أنظر : السابق ، ص ٨٦ - ٨٨

مفهوم الجملة بعامة عند النحاة العرب

يبرزُ أمامَ الباحثِ في الجملةِ العربيةِ مصطلحان متداخلان يتفقان أحياناً - عند بعض النحاة في مفهومها ويختلفان عند آخرين - وهما : الجملةُ والكلام

فالكلام عند ابن جني : هو كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه (١) ، أي أنه مجموعة من الألفاظ ، قائماً برأسه ، مستقلاً بمعناه (٢) ، ويرى بعضُ النحاةِ أن تخصيصَ الكلامِ بالمفيدِ مجردَ اصطلاحٍ لا دليلَ عليه (٣) ولا يجوزُ أن يُشترَطَ في حَدِّهِ كونُه مفيداً ، ويقول ابن عقيل : " الكلامُ المصطلحُ عليه عند النحاةِ عبارة عن : " اللفظُ المفيدُ فائدةً يَحْسُنُ السكوتُ عليها "

فاللفظ : جنسٌ يَشْمَلُ الكلام ، والكلمة ، والكلم ، ويَشْمَلُ المهملَ كـ " ديز " والمستعملَ كـ "عمرو" ومفيدٌ : أخرجَ المهملَ ، و " فائدةٌ يحسن السكوتُ عليها " أخرج الكلمةَ ، وبَعْضَ الكلم ، وهو ما تركب من ثلاث كلمات فأكثر ولم يحسن السكوت عليها نحو : إن قام زيد . " (٤)

ولا يتركب الكلام إلا من اسمين ، نحو " زيد قائم " أو من فعل واسم كـ " قام زيد " وكقول المصنف " استقم " فإنه كلام مركب من فعل أمر، وفاعل مستتر ، والتقدير : استقم انت ، فاستغنى بالمثال عن أن يقول : " فائدة يحسن السكوت عليها " ... (٥) وهذا الإسناد الذي قصده النحاة وأطلقوا عليه مصطلحَ الجملة (٦) " وهذا ما يرتضيه سيبويه ، فيرى أن الكلام لا يطلق حقيقةً إلا على الجملِ المفيدة (٧) يقول : " واعلم أنّ قلت في كلام العرب إنما وقعت على

---

(١) الخصائص ، ابن جني ، ١٧/١

(٢) السابق ١٩/١

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ، ت : عبد العال مكرم ، ١١/١

(٤) شرح ابن عقيل ، ت: محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٤/١ .

(٥) السابق ، الصفحة نفسها .

(٦) المسائل العسكريات ، الفارسي ، ت : د . اسماعيل عمايرة ، ص ٤١ .

(٧) في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ٧٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن يُحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً (١) وإلى هذا ذهب ابن يعيش فـ " .. الكلامُ هو المركبُ من كلمتين أُسْنِدَتْ إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك : زيدٌ أخوك ، وبِشْرٌ صاحبُك ، أو في فعلٍ واسمٍ نحو قولك : ضُرِبَ زيدٌ ، وانطلق بكرٌ ويسمى الجملة " (٢) .فالجملةُ إذاً – عند بعضِ النحويينَ – " اللفظُ المفيدُ فائدةً يَحْسُنُ السكوتُ عليها ، وبذا تكون عند من قال بهذا رديفاً لمصطلح الكلام ، حيث إن هذا هو التعريفُ الذي يرتضيه جلُّ النحاةِ حداً للكلام " (٣) يقول ابن جني : " أما الكلامُ فكلُ لفظٍ مستقلٍ بنفسِهِ ، مفيدٍ لمعناه ، وهو الذي يسميه النحويون : الجمل نحو : زيدٌ أخوك ، وقام محمدٌ ، وضُرِبَ سعيدٌ ، وفي الدار أبوك ، وصهٍ ، ومهٍ ، ورويدَ ، وحاء ، وعاء في الأصوات ، وحس ولب ، وأف وأوه ، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام . " (٤)

ويقول في موضع آخر : " ... وذلك ما كان منه تاماً غيرَ ناقصٍ ، مفهوماً غيرَ مستبهمٍ ، وهذه صورةُ الجمل ، وهو ما كان من الألفاظ قائماً برأسه غيرَ محتاجٍ إلى متممٍ فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاماً مفيداً كلاماً " .

وعلى هذا يكون الكلام عند هذا الفريق من النحاة رديفاً للجملة ، وليس رديفاً لها " وقد خرج على هذا عددٌ من النحاة من القدماءوالمحدثين مقرين أن الجملة هي الإطار الكلي الكبير الذي إنْ قُيِّدَ أصبح كلاماً . فالكلام عندهم أخصُّ من الجملة وليس رديفاً لها ، يقول ابن هشام(٥): « ... وبهذا يظهر لك أنهما ليسا رديفين كما يتوهمه كثيرٌ من الناسِ ... والصوابُ أنها أعمُ

---

(١) الكتاب ،سيبويه ، ت : عبد السلام هارون ١٢٢/١

(٢) شرح المفصل ، ابن يعيش ١٨/١

(٣) في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ٧١ .

(٤) الخصائص ١٧/١

(٥) مغني اللبيب ، ابن هشام ٤١٩/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

منه ، إذ شَرْطُه الإفادةُ بخلافِها ، ولهذا تسمعهم يقولون : جملةُ الشرط ، جملةُ الجواب ، جملةُ الصلة ، وكل ذلك ليس مفيداً ، فليس بكلام " وهذا ما ذهب إليه الأُستاذُ عبد السلام هارون ، يقول (١): " والحقُ إن الكلامَ أخصُّ من الجملةِ والجملةُ أعمُ منه " .

وهذا ما ذهب إليه عليُّ بنُ محمدٍ الجرجاني في تعريفِه الجملة(٢) " عبارة عن مركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأُخرى ، سواءٌ أفاد ، كقولك : زيدٌ قائمٌ ، أو لم يُفد كقولك : إن يكرمْني ، فإنه جملةٌ لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه ، فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً " .

فالكلام عنده هو اكتمال طرفي الإسناد بغض النظر عن حصولِ الفائدةِ أو عدمِها .(٣)

ويأخذ برأي أستاذنا د . خليل عمايرة فنرتضي " ما يرتضيه الزمخشري وابن يعيش حداً للكلام ، حداً للجملة ، ونخالفه كما نخالف من تبعه في أن الكلام هو الجملة ، ونخالف ابن هشام ومن سار على منهجه في أن الكلام أخص من الجملة وهي أعم منه ، فنرى أن الجملة ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه " (٤)فقام زيدٌ ، وزيدٌ مجتهدٌ ، جملةٌ ، وصهٍ جملةٌ ، وافٍ جملةٌ ، والنارُ جملةٌ ، وأخاك؛ جملةٌ ، وأُخاكَ أُخاكَ جملةٌ ، وإنْ تدرسْ تنجحْ جملةٌ ، وإنْ تحضرْ فأنا مكرمُك ، جملةٌ ،واللهِ إنَّ محمداً لرسولٌ ، جملةٌ ، ذلك لأنَّ كلَّ مجموعةٍ مما سبقَ تؤدي بلبناتِها كلِها معنىً يحْسُنُ السكوتُ عليه ، ولو نَقَصَتْ لَبِنةٌ واحدةٌ لاختل المعنى . ونرى كذلك : "إن الكلامَ تأتلفُ عددٍ من الجملِ للوصولِ إلى معنى أعمَ مما في الجملةِ وأشْمَلَ ، وعلى ذلكَ فقد كان القرآنُ الكريمُ كلامَ اللهِ ، والشِعْرُ والنَثْرُ كلامَ العربِ "(٥)

---

(١) الاساليب الانشائية في النحو العربي ، عبد السلام محمد هارون ، ص ١٨

(٢) التعريفات ، الجرجاني ، ص ٧٨

(٣) السابق ص ١٨٥ .

(٤) انظر الخصائص ٢٢/١ ، الكتاب ٧/١ ، المفصل ١٨/١ - ٢٠

(٥) في نحو اللغة وتراكيبها ص ٧٧ ، ٧٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولا شكَ أنَّ نظرةَ ابنِ هشامٍ كانت تفكيكيةً لا تَصِلُ المعنَى بالمبنى إذ لا يكفي الإسنادُ وَحْدَهُ ليؤديَ معنىً مفيداً ، كما أن الإسنادَ قد لا يتحققُ في جملةٍ إلاّ أنها تعطي معنىً مفيداً ، ففيما أسمّاه بجملةِ الشرطِ ، أو جوابِهِ لا تحصلُ الإفادةُ على الرغم من تحقق الإسناد ، في حين أن المعنى يتحقق في جملةِ اسمِ فعلِ الأمر ، مثل : صهٍ ، أو التحذيرِ أو التعجبِ بدون تقدير مسندٍ إليه مثل : النارُ ، وغيرهما . وحيث إن الأصلَ أن يَسْلُكَ المتكلم طريق المبنى من أجلِ الوصول إلَى المعنى الموازي في ذهنه ليتحقق في النهاية التقاء الخطين عند إفادة السامع (١)، فإننا نرفض الأخذ برأي ابن هشام آخذين برأي ابن جني ، وابن يعيش من اشتراطِ الإفادةِ ، غيرَ آخذينَ برأيهما في أن الكلامَ رَديفٌ للجملة . (٢)

---

(١) لمزيد من التفاصيل فيما يتعلق بالعلاقة بين المبنى والمعنى انظر : في التحليل اللغوي ص ٩٠، ٩١

(٢) انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ص ٧٨، ٧٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معيار اسمية الجملة وفعليتها

لم يكن ثمةَ معيارٌ واضحٌ صارمٌ لدى النحاةِ العربِ للتفريقِ بين الجملةِ الاسميةِ والجملةِ الفعليةِ .

فالنحاة يُعَرِّفون الجملةَ الاسميةَ بأنها : " .. الجملةُ التي صدرها اسمٌ صريحٌ مرفوعٌ أو مؤوّلٌ في محلِ رفعٍ أو اسمُ فعلٍ عندَ بعضِهم ، أو هي التي صَدْرُها حرفٌ غيرُ مكفوفٍ مشبهٌ بالفعل ، فالجُمَل : (سواءٌ عليهم أأنذرتَهُم أم لم تُنْذِرْهُم) ، إنْ تفعلِ المعروفَ خيرٌ لك ، هيهاتَ العقيق ، إنّ محمداً رسول ، قائم الزيدان (عند من يجيزه وهم الكوفيون والأخفش) ، جملٌ اسمية ، ومثلها في الحكم ، محمدٌ أكرمَ خالداً (عند أهل البصرة) هي جملٌ اسميةٌ ، أو هي جملةٌ كبرى كما يرى السيوطي(١) مكونةٌ من جملتين صغيرتين :

محمدٌ : مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية التي تليه (في محل رفع) (أكْرَمَ) جملة فعلية فاعلُها ضميرٌ مستترٌ تقديرُه (هو) يعود على محمد (المبتدأ) . "(٢)

فالجملة الاسمية عند النحاةِ هي التي يتصدرها اسمٌ مرفوعٌ سواءٌ أُسندَ اليه اسمٌ آخرُ أم صفةٌ أم فعلٌ(٣)

إنّ عدمَ الدقةِ في معيارِ اسميةِ الجملةِ وفعليّتِها جاء حصادَ اهتمامِ النحاةِ بالمبنى على حسابِ المعنى فلا شكَّ في أنّ إعرابَهُم وقواعِدَهُم خَدَمَت المبنى وبررت الحركةَ على أواخرِ الكلماتِ إلا أنّ المعنى أصبح مشوهاً لا يحمل وجهاً واحداً ، في مواطنَ كثيرةٍ ، بل يتغيرُ وَجْهُه حسبما يتقلبُ المبنى ، فيختلفُ وجهِ التأويل ، حتى بدا المعنى والمبنى وكأنهما متعارضان متضادان والأصل فيهما التلاحم والتلازم ، ومن هنا جاء الخلط والاضطراب في تحديد اسمية

---

(١) الهمع ١/٨٠

(٢) في نحو اللغة وتراكيبها ص ٨٠

(٣) انظر : شرح المفصل ١/٨٧-٩٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الجملة وفعليتها .

وقد قال النحاة بأن تحديد نوع الجملة ، اسميةٍ أم فعليةٍ يكون بالنظر إلى أصل الجملة الذي كانت عليه ، لا بظاهرها فالآيات : (كيف تكفرون بالله) (البقرة : ٢٨) و (ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) (البقرة : ٨٧) و (فبأي آيات الله تكفرون) (غافر : ٨١) و (خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث) (القمر : ٧) .جمل فعلية ، على الرغم من أن الأسماء تصدرتها ، ذاك أنه ينوي بها التأخير . (١)

لكن الآيات السابقة لا اختلاف بين النحاة في فعليتها لأنّ الأسماءَ التي تقدمت فيها منصوبةٌ وليس من مناصٍ من أنها مفاعيلُ وهذا ما اقتضاه تبريرُ الحركةِ ، فحركةُ النصبِ ليست إلا لمفعولٍ أو محمولٍ عليه ، وحيث إن الفعلَ متعدٍ ولم يأخذْ مفعولاً فمفعولهُ المتقدمُ . أما إذا استوفى مفعولاً له ضميراً فعند ذلك يُقدَّرُ للمفعولِ فعلٌ يُفَسِّرهُ الذي بَعْدَه ، لأن حركةَ النصب من حيث البناءِ تحتاج إلى ما يبررُها انطلاقاً من المعيارِ الأصلِ وهو العامل ، فلا بد لكل معمولٍ من عاملٍ ، لكنّ موطنَ الخلافِ عندَ النحاةِ حين يكون الاسم المتقدمُ مرفوعاً لأنه عند ذلك لا يكون أمام النحوي إلا بابان يُرْفَعُ فيهما الاسمُ :

الاول : أن يكون فاعلاً مقدماً ، كما جا ز تقديم المفعول ، وهذا رأي الكوفيين .

الثاني : أنْ يكون مبتدأً والفعلُ بعدَه جملةٌ فعليةٌ - لها فاعلٌ يعود على المتقدم - في محلِ رفعِ خبرٍ . وهذا الرأي للبصريين ، وهو رأي قائم على التأويلِ والتقديرِ الذهني الذي لا يمكن تَصَوُّرَهُ واقعاً دلالياً ووصفياً ، في حين أنّ رأيَ الكوفيين أقربُ إلى الوصفيةِ ، وأوثقُ صلةً بالدلالةِ ينسجمُ فيه المبنى مع المعنى دون تحملٍ أو تصنيعٍ فلسفي ذهني .

وهنا يتضح الاضطراب ، فالجملة عند الكوفيين فعليةٌ المسندُ فيها الفعل ، في حين أنها اسميةٌ عند البصريينَ المسندُ فيها الجملةُ السادة مسد الاسم (الخبر) ، وبذا يَخْرُجُ النحاةُ

---

(١) مغني اللبيب ٤٢١/٢ ، والهمع ٣٨/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البصريونَ عن المقولة " العبرةُ بصدر الأصل " فيكون الشكلُ عندَهمُ هو الحكمُ .

كما أن في هذا الخروجِ عن الأصلِ قتلَ المعنى الذي يلتمسه المتكلمُ من الخروج على الأصلِ ويَقْصِدُه ، بالتقديمِ أو الزيادةِ أو الحذفِ أو الحركةِ أو التنغيمِ . وهذا ما سَنُبْرِزُهُ بوضوحٍ - إن شاء الله - في مكانه من هذا البحث من خلال تحليلِ نماذجَ منَ القرآنِ الكريم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العامل النحوي

إنّ الذي أوقعَ النحاةَ في هذا الاضطراب التمسكُ ، بل المبالغةُ في الأخذ بنظرية العامل التي أُسِسَ النحوُ العربيُ عليها ، مما أسْلَمَهُمْ إلى الغوصِ في متاهاتِ التقديرِ والتأويلِ بما لا يتفق مع وصفِ اللغةِ واقعاً ، فمن ذلك أنهم صنفوا الجملةَ العربيةَ إلى صنفين :اسميةٍ وفعليةٍ ، وأخضعوا كل جملةٍ في العربيةِ لهذا التصنيف ، وإن كانت غيرَ مُتَصَدِّرَةٍ باسمٍ أو بفعلٍ ، وهي غالباً ما تكون جملاً إنصاحية لا يَقْصِدُ منها المتكلمُ إخباراً ولا طلباً ، كما في القسمِ ، والنداءِ اللذين يأوّلان على تقديرِ فعل ، أُقسمُ ، وأُنادي ، فهما جملتان فعليتان ، وكما في التعجبِ حيث تُأَوَّلُ " ما " التعجبية بشيء عظيم " فهي جملة اسمية . (١)

وتصبحُ المسألةُ أكثرَ تعقيداً حينَ يؤدي اختلافُ النحاة في تقديراتِهم إلى خلافٍ في تصنيفِ الجملة ، فتكون اسميةً حسبَ تقديرِ بعضِهم ، وفعليةً حسبَ تقديرِ الآخرين .

ومن هنا خص ابن هشامٍ باباً في كتابِه " مغني اللبيب "(٢) لهذا النمط من الجمل التي اختلف في تصنيفها .

فمن ذلك جملة : " ماذا صنعت ؟ " التي تؤول على وجهين :

الأول : ما الذي ؟ ، فهي على هذا جملةٌ اسميةٌ ، خبرُها مقدمٌ عند الأخفش ، ومبتدؤها مقدم عند سيبويه .

الثاني : أيَّ شيءٍ صنعت ؟ فهي جملة ، مَفْعُولُها مقدم .

فإن كانت الجملة : " ماذا صنعتَهُ ؟ " فهي تحتمل الاسميةَ على تقديرِ مفعولٍ به بعد " ماذا " لفعلٍ محذوفٍ يفسره المذكور .(٣)

---

(١)انظر :شرح المفصل ٧/ ١٤٩ ، و ٩/ ٩١

(٢) مغني اللبيب ٢/ ٤٢٠-٤٢٤

(٣)المرجع نفسه ٢/ ٤٢٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وليس هذا الاضطرابُ والخلطُ إلا لأن المعيارَ الذي اتخذَهُ النحاةُ أساساً في التقعيد ليس سليماً دائماً ، فهو يعتمد على الفلسفةِ التفكيكيةِ ، وهذا ما جعل ابن مضاءٍ القرطبي يهاجمُ الأصلَ الأولَ الذي اعتمده النحاةُ فنادى -بإلغاء العاملِ لا بكليته،بل بالعللِ الثواني والثوالثِ أخذا بالعللِ الأُوَل التي لا بد للمتعلم أن يَعرِفَها ليسلكَ مسلكَ العربِ الفصحاءِ منادياً بالوصفية، يقول في صدر كتابه : " قصدي في هذا الكتاب أن أحْذِفَ من االنَحْوِ ما يستغني النحويُ عنه ، وأُنَبِّهَ على ما أجمعوا على الخطإِ فيه ، ... "(١) يقول : ومما يجب أن يُسْقَطَ من النحو العللُ الثواني والثوالثُ ، وذلك مثل سؤالِ السائلِ عن (زيد) من قولنا،(قام زيدٌ) لِمَ رُفِع ؟ فيقال: لأنه فاعل ، وكل فاعل مرفوع ، فيقول : ولِمَ رُفِعَ الفاعلُ ؟ فالصوابُ أن يقالَ له : كذا نطقت به العربُ ، ثبت ذلك بالاستقراءِ من الكلام المتواتر "(٢) ، " فقوله كذا نطقتْ بهِ العربُ ، يعني أن هذا هو المنهجُ الوصفيُ للظاهرةِ اللغويةِ ، ولا يجوزُ أن يَخْرُجَ عليها المتكلمُ أو أن يغيِّرَها ، في أي عصرٍ كان ، وأنى وُجِد ، فقد ثبتَ ذلك بالاستقراء من الكلامِ المتواتر .

فالمتكلم يعرف أنه يَقْصِدُ الإخبارَ عندما يقول : دينُ الله حقٌ .

فيرفع(حق)وليس له غير ذلك ، إذ إنَّ كلمة (حقٌ) هنا جاءت ممثلاً صرفياً لبابٍ نحوي مرفوع مجردٍ في ذهن المتكلمِ وهو الخبرُ ، والخبرُ في ما ثبت بالاستقراء ، فإذا سئل عن سبب الرفع قال: هو خبر مرفوع كذا نطقت به العرب . "(٣)

ونحن نحذو حذوَ ابنِ مضاءٍ في رفضِ العللِ الثواني والثوالثِ لأنها لا تفيد المتعلمَ أو المتكلمَ ولا تَلْزَمُ السامعَ ، ونأخذ بالعللِ الأوائلِ غيرَ منكرين نظريةَ العاملِ بكليتِها ولا آخذين بها كليةً ، في محاولة للوصول إلى منهج في التحليل يوائم بين المبنى والمعنى ولا يهتم بأحدهما

---

(١)الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، ت : شوقي ضيف ، ص ٨٥

(٢) السابق ص ١٥١

(٣) في التحليل اللغوي ص ٧٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على حساب صاحبه كما هي حال القدماء الذين اهتموا بالمبنى على حساب المعنى لاعتمادهم نظرية العامل معياراً للتقعيد والإعراب . (١)

والمنهج الذي نرتضيه هو منهج الدكتور خليل عمايرة حيث يرى أن الجملة هي : " ... الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه ، وهذه تُعد عندَه الجملةَ التوليدية أو النواة ، وتقع الجملةُ التوليديةُ في إطارين كبيرين : الاسمية والفعلية ، وبذا فإنه يرى أن القول بأن الجملة اسمية أو فعلية أو ظرفية كما يرى ابن هشام (٢) هو إمساك بالجملة الثانية من التسمية ، فهي إما توليديةٌ اسمية أو توليديةٌ فعلية . ولكن إذا ما طرأ عليها عنصرٌ منْ عناصر التحويل والتي يحصرها في خمسة عناصرَ ؛ فإنها تصبح جملةً تحويليةً ولكنها تبقى كما كانت اسميةً أو فعليةً لأن العبرةَ بصدرِ الأصْلِ . وتكون الجملةُ التوليديةُ لغرض الإخبار(٣) ، أما التحويليةُ فإنها تكون لمعنىً جديدٍ تَحَوَّلَ عن المعنى الذي كان للجملةِ التوليديةِ إذْ إنّ التحويلَ لا يكونُ إلا لغرضٍ يتعلق بالمعنى ."(٤)

وعلى هذا نحلل الجمل وفقَ أُطُرِ الجملةِ كما يرى د. خليل عمايرة ، حيث حدَّدَها في الجملة الاسميةِ والفعليةِ(٥) .

١- توليدية اسمية وتتكون من :

أ - م (معرفة ، أو ما يسد مسده كالمصدر المؤول) + خـ (نكرة) .

ب - خـ (شبه جملة) + م (نكرة) .

---

(١) لمزيد من التفصيل عن العامل واقسامه ، وآراء القدماء فيه ، انظر : في التحليل اللغوي ص ٥١ : ١٠١

(٢) المغني ص ٣٧٦

(٣) يعلق المؤلف في الهامش قائلا : إلا في الاستفهامية القائمة على الخبر الذي له صدر الكلام والمبتدا المؤخر ... ص ٧٨

(٤) في التحليل اللغوي ص ٧٨

(٥) " في التحليل اللغوي " ص ٨٧ ، ٨٨ ، و" في نحو اللغة وتراكيبها " ص ٨٧ ، ٨٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جـ- م (معرفة) + خـ(معرفة هو ذاته المبتدأ) .

٢- توليدية فعلية : وتتكون من :

أ - فعل لازم + فاعل (أو ما يسد مسده ظاهراً أو مستتراً كما في فعل الأمر)

ب -فعل متعد + مفعول (أول أو ثان أو ثالث)

جـ- فعل متعد + مفعول ضمير + فاعل

فهذا الأساسُ الذي نعتمده في التفريقِ بين الجملةِ التوليديةِ الإخباريةِ التي لا يهدف المتكلمُ منها إلا الإخبارَ المحايدَ والجملةِ التحويليةِ العميقةِ وذاك بأنَّ يميلُ إلى المغايرةِ في تركيبِ الجملةِ التوليديةِ حين يريدُ معنى جديداً يُضيفه إلى معنى الإخبار بأحدِ عناصرِ التحويلِ الخمسةِ : الترتيبِ ، والزيادةِ ، والحذفِ ، والتنغيمِ ، والحركةِ الإعرابيةِ حسب المعنى الدلالي المراد ، فتصبح الجملةُ ذاتَ بعدٍ أعمقَ منها في حالتِها البسيطةِ المحايدة . (١)

(١) لمزيد من التفصيل فيما يتعلق بهذه العناصر التحويلية ، انظر : "في التحليل اللغوي" من ٨٨-١٠١ ، و"في نحو اللغة وتراكيبها" من ٨٨-١٧٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تقديم موضع الاهتمام والعناية

" والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نَكالاً من اللّهِ ، واللّهُ عزيزٌ حكيم . " (المائدة : ٣٨) .

" رفعٌ بالابتداء والخبر محذوف عند سيبويه (١) تقديره : وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة أو فيما فُرِضَ عليكم ، وكان الاختيار على مذهب سيبويه فيه النصب لأنه أمر وهو بالفعل أولى . وبه قرأ عيسى بن عمر .

والاختيار عند الكوفيين الرّفعُ على قراءة الجماعة لأنه لم يقصد به قصد سارق بعينه ، فهو عندهم مثل : " واللذان يأتيانها " (النساء : ١٦) لا يراد به اثنان بأعيانهما ، فلذلك اختير الرفع . " (٢) فهما عند الكوفيين " مرفوعان بما عاد من ذكرهما " .(٣)

وقد أشار سيبويه إلى أن القراءة بالرفع هي قراءة الجماعة على الرغم من صحة القراءة بالنصب نحوياً وقوّتها يقول : " وقد قرأ أناس : " والسارقَ والسارقةَ " (٤) و "الزانيةَ والزانيَ" (٥) ، وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ، ولكن أبت العامةُ إلا

---

(١) انظر : الكتاب ١/١٤٣

(٢) مشكل اعراب القرآن ، مكي بن ابي طالب : حاتم الضامن ، ص ٢٢٥ ، وانظر : التصريح على التوضيح الازهري ١/٢٩٩

(٣) معاني القرآن ، الفراء ١/٣٠٦ ، ولم يعربها الاخفش ، انظر : معاني القرآن ٢/٢٥٨ .

(٤) هي قراءة عيسى بن عمر ، وابن ابي عيلة ، انظر : البحر المحيط ، وعيسى بن عمر في : مشكل اعراب القرآن ، مكي بن ابي طالب ، ص ٢٢٥ ، وما عليه جمهور القراء الرفع إذ لم ترد قراءة خلافها في : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، مكي بن ابي طالب ، والنشر في القراءات العشر ، ابن الجزري كما لم ترد في كتب شواذ القراءات فلم ترد في : المحتسب في شواذ القراءات ، ابن جني ، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ابن خالويه .

(٥) وهي قراءة عيسى بن عمر ، ويحيى بن يعمر ، وعمر بن فائد وأبو جعفر ، وشيبة ، وأبو السماء ، ورويش ، انظر : البحر المحيط ٦/٤٢٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

القراءةَ بالرفع.

وإنما كان الوجهُ الآخرُ في الأمرِ والنهي النصبَ لأن حدَ الكلامِ تقديمُ الفعل ، وهو فيه أوجبُ ، إذ كان ذلك يكون في ألفِ الاستفهام ، لأنهما لا يكونان إلا بفعل . "(١)

والذي جعل سيبويهِ يرى هذا الرأي حِسُّهُ اللغوي بأن(السارقُ والسارقةُ)- من حيث المعنى - جزءٌ من المفعولِ به ، فالأمرُ بالقَطْعِ وقعَ عليهما ، وذاك في الواقع متأتٍ من وقوعِهِ على بعضِهما وهو " أيديهما " ، فقد أدرك هذا فقال بأن الأصلَ في الأمرِ والنهيِ تقديمُ الفعل ، مما يشيرُ إلى أنَّ تقديمَ الاسمِ على الفعلِ كان تغييراً في التركيبِ الأصليِّ للجملة ، وكلُ تغييرٍ في المبنى يكون لتغييرٍ في المعنى .

وفي رأي الكوفيين التفاتٌ كبيرٌ إلى أهمية الحركة الإعرابية في تغيير المعنى ، بِوَصْفِها قرينةً تحويليةً في ذاتِها ، فحركةُ النصبِ تفيدُ التعيينَ والتخصيص . والرفعُ يدلُ على التعميم يقول الفراء : " مرفوعان بما عاد من ذكرهما . والنصبُ فيهما جائز ، كما يجوز : أزيدٌ ضَرَبْتَهُ ، وأزيداً ضَرَبْتَهُ وإنما تختارُ العربُ الرفعَ في " السارقُ والسارقةُ " لأنهما مؤقتين ، فَوُجِّها توجيهَ الجزاء ؛ كقولك : مَنْ سرقَ فاقطعوا يدَهُ ، فـ(مَنْ) لا يكون إلا رفعاً ، ولو أردت سارقاً بعينه أو سارقةً بعينها كان النصبُ وَجْهَ الكلام . "(٢)

ولذلك كان الرفعُ قراءةَ الجمهور . وبه أخذ الكوفيون وبعضُ البصريين ، إذ المراد تعميمُ الحكمِ الشرعي على كلِ مَنْ يرتكبُ هذه الخطيئةَ دون تعيينٍ أو تخصيصٍ ليكون الحكمُ شاملاً ، عادلاً ، دائماً ، غيرَ محدودٍ بقومٍ أو جماعةٍ دونَ غيرِهم ، ولا بأهلِ زمانٍ أو مكانٍ دونَ غيرِهم .

يقول الزجاجي : " وقرأ عيسى بن عمر ، " والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما " وكذلك " الزانيةَ والزانيَ " ، وهذه القراءة وإن كانَ القارىء بها مقدماً لا أحب أن يُقْرأَ بها ،

---

(١) الكتاب ١/١٤٤ .

(٢) معاني الفراء ١/٢٠٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأن الجماعةَ أولى بالاتباعِ إذ كان القراءةُ سنة . قال أبو إسحاق : ودليلي أن القراءةَ الجيدةَ بالرفع في " والزانيةُ والزاني " (النور : ٢) وفي : " والسارقُ والسارقةُ " قوله جل ثناؤه " واللذان يأتيانها منكم فآذوهما " (النساء : ١٦).

وقال غير سيبويهِ من البصريين ، وهو محمدُ بنُ يزيدَ المبرد : أُختار أن يكون(السارقُ والسارقةُ)رفعاً بالابتداءِ ، لأن القصدَ ليسَ إلى واحد بعينه ، فليس هو مثل قولك زيداً فاضربه، انما هو كقولك : من سرق فاقطعْ يدَه ، ومن زنى فاجْلِدْهُ ، وهذا القول هو المختارُ وهو مذهبُ بعضِ البصريينَ والكوفيينَ "(١).

ويذكرُ أبو حيان أن سيبويه لا يجيزُ " أن يكون الخبر قوله : فاقطعوا " لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور أو جملة صالحة لأداة الشرط ،والموصول هنا (أل) وصلتها اسمُ فاعلٍ أو اسمُ مفعولٍ ، وما كان هكذا لا تدخل الفاءُ في خبرِه عندَ سيبويه ، وقد أجاز ذلك جماعة من البصريين أعني أن يكون(السارقُ والسارقةُ)مبتدأ ، والجملةُ جملةُ الأمرِ أُجروا (أل) وصلَتَها مجرى الموصولِ المذكورِ لأنَّ المعنى فيه على العموم إذ معناه الذي سرق ، والتي سرقت ... "(٢)

فالرفعُ على الابتداء عندهما (المبرد وسيبويه) واجبٌ ، والخبرُ على قول سيبويه محذوفٌ ، وهو فيما يتلى عليكم . وعلى قولِ المبردِ:مذكور ، " فاجلدوا " (٣) ، ومثله : فاقطعوا ، فالفاء زائدة عند المبرد كما هي في الشرط ، أو ما شابهه من الموصول ، وهي عاطفة عند سيبويه ، ومن هنا لم يُجَوِّز : زيدا فاضربه ، في حال رفع زيد على تقدير مبتدأ مضمر ، تقديره : هذا أو ما شابهه ، والفاء عاطفة لجملة اسمية على جملة فعلية .

---

(١) معاني القرآن وأعرابه ، الزجاج . ت : عبد الجليل عبده شلبي ٢/١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ٣/ ٤٧٥

(٣) التصريح ١/٢٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعلى الرغم من أن حمل الجملة على الموصولية المتضمنة معنى الشرط فيه موافقة للمعنى في الآية الكريمة من حيث تعميمُ الحُكْمِ ، إلا أن ثمةَ اختلافاً بيناً بين الجملة الموصولية المقدرة ، والآية الكريمة من حيثُ التركيبُ .

فمعنى التعميمِ في التقدير " من سرق فاقطع يده " - حسب ما نرى - تأتّى من اسمِ الشرطِ " مَنْ " وجوابِه

أما في تركيبِ الآيةِ الكريمةِ فقد تأتي من جهتين مختلفتين :

الأولى : حركة الرفع على السارق والسارقة ، وهو ما صرح به النحاة وذُكِرَ آنفاً .

الثانية : أن معنى الجزاء في الجملة مبعثُه فعلُ الأمر " اقطعوا " وجاءت الفاء لتؤكِدَهُ ، فهي عنصرُ توكيدٍ لا أكثر .

وعليه ، فإن الفاءَ ليستْ تتضمنُ معنى الشرطِ . ومن ثَمَّ ليس من داعٍ لتقدير موصولٍ لا وجودَ له . ولا يخفى ما في القول بالموصولية - في هذا الموضع - من بعدٍ وإسرافٍ في التمحلِ فهو يَنْسِفُ التركيبَ ويُحَوِّلُهُ إلى تركيبٍ آخر .

فأل التعريف في (السارق) تُفْصَلُ لتكونَ اسماً موصولاً له مَوْقِعُه الإعرابي فتكون مبتدأً حملاً على (مَنْ) و (الذي) ، وما يدرى من أين تتأتى لهم هذا القياس !

واسم الفاعل " سارق " يُقَدَّرُ مكانَهُ فعلٌ منه ليتناسب والاسمَ الموصولَ المقدرَ ووضعَه التركيبيَ الخاص، والذي يقتضي أن يكون صلتُه فعلاً ، ليَجُوزَ - إذ ذاك - أن يكون خَبَرُه الفعل(١) .

وعندها يتخلص من القولِ بأن(السارقُ والسارقةُ)المرفوعين مبتدأٌ مشغولٌ عنه وتكون (أل) التعريف فقط فيهما هي المبتدأ . والجملة الفعلية " فاقطعوا" الخبر " ناهيك عما في رفضِ المبردِ القياسَ على الاسمِ المشغولِ عنه في رفع المبتدأ من قياسٍ خاطئٍ على مثالٍ لا يصلح أن

---

(١) انظر : الكتاب ١/ ١٣٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُحمَل عليه الآية .

فقد قاس على المثال : زيداً فاضربه ، فقال بأن (السارقُ والسارقةُ) لا يعربان مبتدأ حملاً على هذا المثال ، لأنهما عندها يحملان ما يحمله من معنى التعيين ، والمراد هو التعميم .

وواقع الأمر أن هذا التعيين لم يتأت من إعرابه الاسمَ المشغولَ عنه مبتدأً ، بل لأنه جاء في المثال المضروب بالاسم المشغول عَلَماً ، فالتعيين جاء من العَلَمِيَّةِ لا من إعرابه مبتدأً مشغولاً عنه ولو قاس على المثال :

السارقَ فاضربه

لتأتي له معنى التعيين في حال نصب المشغول عنه ، ومعنى التعميم في حال رفعه وذاك لتغيير الحركة من الرفع إلى النصب ، لا لشيء آخر .

ونرد القول بأن " السارقُ والسارقةُ " مبتدأ خبره محذوف استناداً إلى رأي الفخر الرازي وحجته،نظراً إلى ما يحدثه هذا التقدير من خلل في المبنى والمعنى معاً،يقول : " إنا إذا قلنا (السارقُ والسارقةُ) مبتدأ وخبره هو الذي نضمره ، وهو قولنا : فيما يتلى عليكم ، فحينئذ قد تمت هذه الجملة بمبتدأها وخبرها ، فبأي شيء تتعلق الفاء في قوله : فاقطعوا أيديهما) ؟! فإن قال : الفاء تتعلق بالفعل الذي دل عليه قوله: " والسارقُ والسارقةُ " يعني إذا أتى بالسرقة فاقطعوا يديه . فنقول : إذاً احتجت في آخر الأمر إلى أن تقول : السارقُ والسارقةُ تقديره من سرق . فاذكر هذا أولاً حتى لا تحتاج إلى الإضمار الذي ذَكَرْتَه .(١)

وإن كنا لا نرى الحلّ فيما رآه أي بالحملِ على الموصولية - كما بينا سابقاً .

فحسَبَ مفهومِ النحاةِ للجملةِ الاسميةِ ومعاييرِهم لا بد أن يكونَ " السارقُ والسارقةُ " بدايةَ جملةٍ اسمية لأن المتكلم - عز وجل - ابتدأ الكلامَ بها . ومن هنا جاء الاختلاف بين تخريجاتِ النحاة .

---

(١) التفسير الكبير ،الفخر الرازي ٢٢٣/١١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمعيارُ في حدِ ذاتِهِ خاطىء ، ومن ثَمَّ كانت النتيجةُ المترتبةُ على القياسِ عليهِ خاطئةً أيضًا ولو طُبِقَ القولُ بأن " العبرة بصدر الأصل " تطبيقاً حقيقياً صحيحاً لما كان هناك مشكلةٌ .

ولا شكَ أن علماءَنا الأبرارَ أدركوا أن(السارقُ والسارقةُ)مفعولان كما أدركه سيبويه ، فأيديهما جزءٌ منهما والدليلُ الضميرُ في قوله تعالى " جزاءً بما كسبا " وهو ألفُ الاثنين والذي يعودُ عليهما ، فالفعل واقعٌ عليهما ، لكن لما شُغِلَ الفعلُ عنهما من جِهَة ، وتغيرتْ حركةُ الإعرابِ عليهما أوجَبَتْ قواعدُ النحاةِ أن يُخَرَّجَ تخريجاً يبررُ المبنى مهما كان فيه من تعقيدٍ وبعدٍ في التقدير ، فكان التقديرُ المناسبُ لقواعدهم أن يُعْربا مبتدأ .

يقول سيبويه في " والزانيةُ والزانيُ فاجلدوا كل واحد منهما ... " (النور : ٢) ثم قال : فاجلدوا ، فجاء الفعلُ بعد أن مضى فيهما الرفعُ ، ... " (١)

فليس من علةٍ أوجبت إعرابهما على الابتداء غيرَ أن الفعلَ قد تأخرَ عنهما ، وتقدمتا عليه مرفوعتين .

وما أشبه العلاقةَ بين " السارق والسارقة " و " أيديهما " بالعلاقةِ بين البدلِ والمُبْدَلِ منه ، فالأيدي بعضٌ من كلٍ إلا أن الإعراب تغير بسبب الاختلاف بين حركة " الكل " و " بعضه " .

فأصل الجملة التوليدي :

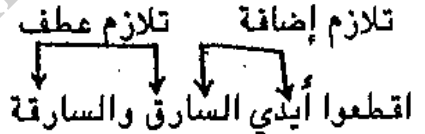

ف + فا + مف

ولما أراد المتكلم - عز وجل - الاهتمامَ والتركيزَ على موطن الداء والخطورة ، وهو مرتكبُ الجريمة ، وجذبَ انتباهِ السامعين بِذِكْرِهِ أولاً ليتأهبوا نفسياً لسماع الحكمِ عليه - قَدَّمَ موضعَ اهتمامه ، وأعطاه حركةَ الرفعِ الموهمةَ بالابتداء حتى يتصَوَّرَ ذهنُ السامعِ بادىءَ ذي

---

(١)الكتاب١/١٤٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الباب الثاني

المرفوعات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بدءٍ أنه مسندٌ إليه ، فينتظرُ بِشَغَفٍ المسندَ الذي فيه الفائدةُ وهو محطُها . ثم أدخل عنصرَ زيادةٍ لإفادةِ معنى الجزاءِ فقرن الأمرَ بالفاء ، إشارةً إلى تَرَتُّبِه على ما أقدموا عليه من جريمة .

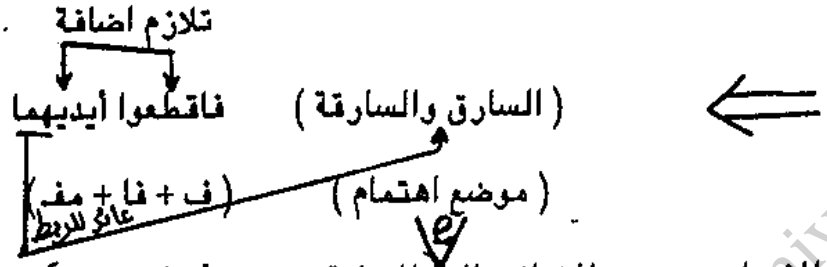

فقد قُدِّمَ بعضُ المفعولِ به ، وهو المضاف إليه للعناية به بعد أن استعيضَ عنه بعائدٍ يعود عليه للربط .

وقد أشار ابن يعيش إلى هذا الارتباطِ بينَ البدلِ وموضعِ الاهتمامِ من المتكلمِ فقال : " ... وأما الثاني وهو بدلُ الشيءِ من الشيءِ وهو بعضُه ، كقولك : رأيت زيداً وجْهَهُ ، ورأيت قومَكَ أكثرَهم وثُلُثَيْهم ، وناساً منهم ، وصَرَفْتُ وجوهها أوَّلَها " فالثاني من هذه الاشياء بعضُ الأولِ وأبْدَلْتَهُ منه ليُعْلَمَ ما قصدتَ له ولينتَبِهَ السامعُ فَتَثْبُتَ بقولك : رأيتُ زيداً وجْهَهُ موضعُ الرؤيةِ منه ، فصار كقولك : رأيتُ وجْهَ زيد ...." (١)

وكذلك يشير " المبرد " قائلاً : " ... والضرب الآخر أن تُبْدِلَ بعضَ الشيءِ منه لِتُعْلِم ما قصدتَ له وتبَيِّنَهُ للسامع ، وذلك قولهم : ضربتُ زيداً ، رأسَهُ . أردتَ أن تبينَ موضعَ الضربِ فصار كقولك ، ضربتُ رأسَ زيد " . (٢)

فتقديم(زيد)لأنه أكثرُ علميةً لدى السامع ، أو لأنه أكثرُ أهميةٍ لدى كلٍ من السامع ، والمتكلم . فيقدِمُه لجذبِ انتباه السامعِ ثم يحددُ الموطنَ أو الجزءَ منه الذي أوقع عليه الحدثَ . لكن " السارقُ والسارقةُ " موضع الاهتمام قُدِّمَ على الفعل والفاعل والمفعول الجزئي ، بمعنى أنه تقدم من آخر عنصر من عناصر الجملة إلى أولها ، لتُفْتَتَحَ به الجملة لإعطائه أقصى درجةً من

---

(١) شرح المفصل ٦٤/٣

(٢) المقتضب ، المبرد . ت : عبد الخالق عضيمة ٢٩٧/٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العناية والتوكيد ، ثم أكد مضمون الجملة والأمر فأدخل عنصر التوكيد الفاء .

ومثل هذا قوله تعالى :

" فوقاه الله سيئاتِ ما مكروا وحاق بآل فرعونَ سوءُ العذاب . النارُ يُعْرَضونَ عليها غُدوّاً وعشياً ويوم تقوم الساعةُ أدخلوا آل فرعونَ أشدَ العذاب "
(غافر : ٤٥ ، ٤٦)

" فيه ستة أوجه : يكون رفعاً على البدل من سوء " ، ويجوز أن يكون بمعنى هو النار ، (١) ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء . وقال الفراء : يكون مرفوعاً بالعائد على معنى النار عليها يعرضون ، فهذه أربعة أوجه في الرفع . وأجاز الفراء النصب لأن بعدها عائداً وقبلها ما يتصل به ، وأجاز الاخفش(٢) الخفض على البدل من " العذاب " . " (٣)

" إن القول بالبدلية من سوء العذاب مردود كما أن القول برفعه على أن يكون خبر مبتدأ محذوف، وذاك لوجود فعلٍ في الجملة يعودُ بضميرٍ على النار . فالقائلُ برفعِها على هذين الوجهين ، الابتداءِ والبدلِ يتجاهلُ الفعلَ بعدها وارتباطه بها ، إذ يفترض حسب تخريجهم أن تكون الجملة عندها قد تمت وأدت وظيفتها الدلالية لاكتمالها تركيبياً ، فأعطت معنى يحسن السكوت عليه وهو : وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار . فيقف القارىء عند العذاب إذا أراد تقدير مبتدأ للنارِ ثم يقف بعد(النار) لأن طرفي الإسنادِ يكونان قد ذكرا ، وتمت بهما الفائدة .

---

(١) خرج كل من الفخر الرازي ، والزجاج القراءة بالرفع على هذين الوجهين دون أن يذكرا اي قراءة أخرى بالنصب أو الجر . انظر : التفسير الكبير ٧٣/٢٧ ، ومعاني الزجاجي ٢٧٦/٤ ، ولم ترد في قراءة خلافا للرفع في " الكشف " و " البشر " كما لم ترد في " المحتسب " ، ومختصر ابن خالويه .

(٢) انظر : معاني الأخفش ٤٦٢/٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٢١٨/١٥ ، وإعراب القرآن ، النحاس ، ت : د . زهير غازي زاهد ١٣/٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما إذا أراد أن تكون النارُ بدلاً من " سوء " وصل "سوءَ العذاب" بـ " النار " ثم وقف بعدها، وواقعُ الامر ليس كذلك و " سوءَ العذاب " فاصلةُ الآيةِ السابقةِ وعليها الوقف . و " النار يعرضون عليها ... " جملةٌ متصلةٌ مما يدل على أنها جاءت لتؤديَ معنىً غير الذي في سابقتها ،وهذا ما حدا بالأخفش إلى أن ينفرد وحده بتجويز جر " النار " بدلاً من العذاب .(٤) .

وفي رأي الفراء التفات إلى دور " النار " التركيبي والدلالي في الجملة . فإعرابها عنده في حال الرفع والنصب سواء ، وهو بالعائدِ المذكورِ لوجودِ فعلٍ ترتبط به تركيباً ودلالةً .

يقول الزمخشريُ ملتفتاً إلى دلالةِ التركيبِ على الرغمِ من متابعتِهِ ما تَفرِضُهُ قواعدُ النحاةِ من إعراب "النارُ" مرفوعةٌ على البدلِ أو الخبرية : " النار بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدأ محذوف كأنَّ قائلاً قال : ما سوءُ العذاب ؟ فقيل : هو النارُ أو مبتدأٌ خبرُه (يعرضون عليها) وفي هذا وجهُ تعظيم النار،وتهويلٌ من عذابِها.وعَرْضُهُم عَلَيها إحراقُهم بها ، ... وقرىء " النارَ" بالنصب(١) وهي تعضد الوجْهَ الأخيرَ وتقديرُه : يدخلون النارَ يعرضون عليها . ويجوز أن ينتصب على الاختصاص . "(٢)

ولعل الذي جعلهم يعربون " النار " مبتدأً ما توقعه حركةُ الرفعِ في النفسِ للوهلةِ الأولى من معنى الإسناد ، إذ توهِمُ بالابتدائية ، يقول محمدُ بنُ عليٍ الجرجاني مشيراً إلى أثر حركةِ الإسنادِ مع حذف المسند إليه في تنبيه السامع مؤكداً ما ذهبنا إليه من أثر تقديم موضعِ الاهتمام بحركةِ الإسناد : " إنه إذا أُبْهِمَ المسندُ إليه بالحذف ، حَصَلَ للنفسِ أُلْمٌ لجهلها به ، وإذا التفتت إلى القرينةِ تَفَطَّنَتْ لَه ، فيحصُلُ لها اللذةُ بالعلمِ به ، واللذةُ الحاصلةُ بعد الألمِ أقوى من اللذةِ الحاصلةِ ابتداءً . "(٣)

---

(١) انظر : التبيان ٢ / ١١٢٠ . هي قراءة غير متواترة لم ترد في : الكشف، والنشر كما لم ترد في : "المحتسب" ،مختصر ابن خالويه .

(٢) الكشاف ، الزمخشري ٤٣/٣ . وانظر البحر المحيط ٤٦٨/٧

(٣) الإشارات والتنبيهات ، محمد بن علي الجرجاني ، ص ٣٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو وإنْ كان يتكلمُ عن الحذفِ إلاّ أن تقديمَ موضعِ الاهتمامِ فيه شيءٌ من هذا ، والفعلُ بعده ليس مجردَ قرينةٍ على حذفٍ ، بل إنه يقلِبُ نوعَ الجُملةِ ودِلالَتَها كُلِّيةً فيُخْرِجُها من إطارِ الاسميةِ المتوهمةِ إلى الفعلية ، فتجمعُ بين مزايا النمطين .

أما تعظيمُ النارِ وتهويلُها فقد تأتي من تقديمِ موضعِ العنايةِ والاهتمامِ (النارُ) ، وإعادةِ الضميرِ عليها ليَحِلَّ مَحَلَّها تركيباً .

فالجملةُ في أَصْلِها التوليدي فعلية

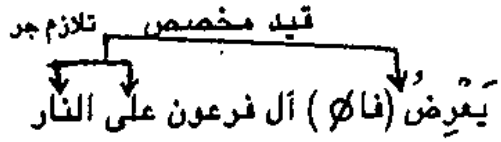

ف + فا ∅ + مف

فمعنى الفعلِ ودلالةَ الجملةِ لا تتمّ الا بتحديدِ المعروضِ عليهِ وهو النار .

ولما أراد المتكلم – عز وجل – زيادة التهويل حذف الفاعل إما للعلم به ، أو ليكون مجهولاً ، مما يوقع الهول في النفس أكثر حين لا يعرف المرء مصدر العذاب ، أو لأنّ لا اهمية وَقْتَها لمن يُنَفِّذُ عَرْضَهُم على النار ، بل المهم هو النار التي يعرضون عليها ، إذ لا يهمُ وَقْتَها ذِكْرُ الفاعلِ لأنهم في ذواتهم يُدركونَ أنه نتاجُ كُفْرِهِمْ باللّه ، لكن الذي يَهُمُّهُم العقابُ الذي أَوْقَعَهُ بهم الفاعلُ، والذي يكابدون. فالآية أَوَّلُ ما تُفْتَتَحُ بالنار تجعل الصورةَ المفاجئةَ التي يتفتقُ عنها ذِهْنُ السامعِ مع صورةِ النارِ وما تَعْكِسُهُ هذه الكلمةُ من هولٍ وما يدلُ عليهِ من عذابٍ يُحَرِّقُ الجسد، لا يلبث أن ينتقلَ إلى نفسِ السامع فيكونُ ذلك أدعى إلى تجنب الوقوع فيها فعلاً .

(قيد فخصص)

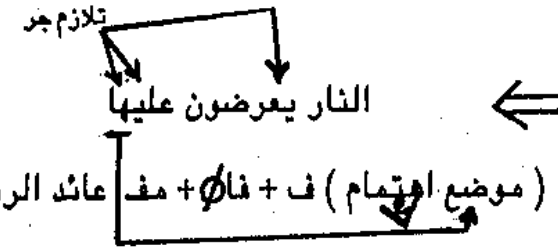

أما معنى التخصيصِ الذي ذهبَ إليه الزمخشريُ في حالِ النصبِ فمتأتٍ من حركةِ النصبِ التي تزيدُ الأمرَ تهويلاً ، فَتَخُصُّ ناراً بعينها دون غيرها ، وهي نار جهنمَ التي سمعوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عنها وحُذِروا منها على ألسنة الرسل عليهم صلوات الله ، وليست النارَ بجنسِها العام فهي ليست كنار الدنيا ؛ بل هي نارٌ مخصوصةٌ أُعِدّت لتعذيبِهم ، وليس هذا غايةَ العذابِ الذي سيسامون ، فما هو سوى عذابِ القبرِ يَتذوّقونَهُ إلى أنْ يحينَ يومُ القيامةِ فيُدْخَلُون " أشدَ العذاب " وما سبق لم يكن سوى عرضٍ ، فكيف يكونُ القرارُ بها ، يقول ابن قتيبة : " وأما قوله : " النار يعرضون عليها غدواً وعشياً " ، فإنه لم يُرد أن يكون في الآخرة ، وإنما أراد أنهم يعرضون عليها بعد مماتِهم في القبور .

وهذا شاهدٌ من كتابِ الله لعذابِ القبر ، ويَدُلُّك على ذلك قوله : " ويومَ تقومُ الساعةُ أدْخِلوا آلَ فِرْعونَ أشدَ العذاب " ، فَهُمْ في البَرْزَخِ يُعْرَضونَ على النارِ غدواً وعشياً ، وفي القيامةِ يُدْخَلون أشد العذاب ."(١)

والجملةُ في حالِ نصبِ النارِ يكون قد دخلها عنصرُ تحويلٍ جديدٍ ، وهو المغايرةُ في الحركةِ الإعرابيةِ لتفيدَ التخصيصَ والتعيين .

فهي جملة تحويليةٌ فعليةٌ حُذِفَ فاعِلُها ، وقُدِّمَ موضعُ الاهتمام فيها وهو بعضُ قيدِ التخصيص ، وغُيِّرَتْ حركتُه لغرضٍ دلاليٍ جديدٍ غيرِ معناهُ في حال الرفع . فهذه ثلاثةُ عُناصرَ تحويلٍ دَخَلَتْ على الجملة

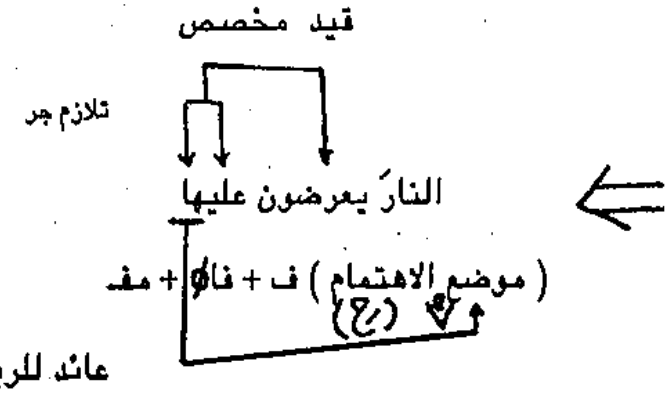

(١) تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، ص ٨٢ ، وانظر : التفسير الكبير ٧٢/٢٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زيادةُ عنصر رؤية في الجملة الاسمية :

" ويومَ القيامةِ ترى الذينَ كذَبوا على اللّه وجوهُهم مسودةٌ أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين ." (الزمر : ٦٠) .

" القراءة على رفع " وجوهُهم مسودةٌ " على الابتداء والخبر ، ويجوز " وجوهَهم مسودةً " على البدل من " الذين كفروا " (١) ، والمعنى : يوم القيامة ترى وجوهَ الذين كذبوا على الله مسودةً ، والرّفعُ أكثرُ وعليه القراءُ (٢). ومثل النصب قول عديِ بنِ زيد :

دعيني ، إن أمرَكَ لن يطاعا وما ألفيتِني حِلمِي مُضاعا (٣)" (٤)

أما الفَرّاءُ فيرى أن تُرفَعَ " وجوهُهُم " و "مسودةٌ " ، لأن الفعلَ قد وقع على " الذين " ثم جاء بعد " الذين " اسمٌ له فعلٌ فرفعتهُ بِفعلِهِ ، وكان فيه معنى نصبٍ . وكذلك فالفعلُ بكلِ اسمٍ أوقعت عليه الظن والرأي وما أشبههما فارفع ما يأتي بعده من الأسماء إذا كان معها أفاعيلُها بعدها ، كقولك : رأيتُ عبدَ اللهِ أمرُهُ مستقيمٌ ، فإن قدمت الاستقامة نصبتها ، ورفعت الاسم ، فقلت : رأيت عبدَ اللّهِ مستقيماً أمرُهُ ، ولو نصبت الثلاثة في المسألة الأولى على التكرير كان جائزاً ، فتقول : رأيت عبدَ اللهِ أمرَهُ مستقيماً . وقال عدي بن زيد :

ذريني إن أمرك لن يُطاعا وما ألفيتني حِلمِي مُضاعا

فَنَصَبَ الحِلمَ والمُضَاعَ على التكرير . ومثله :

ما للجمالِ مشيِها وئيدا(٥)

---

(١) يقصد : " الذين كذبوا "

(٢) انظر : الكشف ٢/٢٤٠ ، والنشر ٢/٣٦٣

(٣) الشاهد لعدي بن زيد في ديوانه ص ٣٥ ، انظر : معجم شواهد النحو الشعرية ، د . حنا حداد ص ٤٨٠ .

(٤) معاني الزجاج ٤/٣٦٠ . وانظر إعراب النحاس ٢/٨٢٧ ، ومعاني الأخفش ٢/٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(٥) الشاهد للزباء . انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (٣٣٢٦) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَخَفْضُ الجمالِ والمشيِ على التكرير . ولو قرأ قارىء (وجوهَهُم مسودةً) على هذه لكان صواباً" (١)

وقد اخْتُلِفَ في إعرابِ الجملةِ بعد"ترى"بحَسْبِ دِلالَتِها ، فإنْ كانتْ من رؤيةِ البَصَرِ كان تخريجُها يقتضي تَعْدِيَها لمفعولٍ واحدٍ ثم البحثُ عن مبررٍ لما بعده ، وإنْ كانت من رؤيةِ القلبِ وَجَبَ أن يكونَ لها مفعولٌ ثانٍ وإن لم يوجد قدروا لها تقديراً ، يقول الزمخشريُّ في " وجوهُهُم مسودةٌ " : " جملةٌ في موضعِ الحالِ إن كان " ترى " من رؤيةِ البصر ، ومفعولٌ ثانٍ إن كان من رؤيةِ القلب " .(٢)

والذي أدّى إلى هذا الاضطرابِ الجريُ وراءَ المبررِ النحوي للتركيبِ مع غفلةٍ عن النظرِ إلى المعنى ، إذ لا شكَ في أنَّ " ترى " هنا بَصَرِيَة ، لأن اللّه سبحانَه يُخْبِرُ بأن ذلك سيحدث واقعاً في الآخرة ، وليس مجرّد حُلْمٍ أو شعورٍ قلبي .

يقول أبو حيان في الرّدِ على الزمخشري : " والظاهرُ أن الرؤيةَ من رؤيةِ البصر وأن " وجوهَهم مسودةٌ " جملةٌ في موضعِ الحال ، وفيها رَدٌّ على الزمخشري إذ زَعَمَ أن حذف الواو من الجملةِ الاسميةِ المشتملةِ على ضميرِ ذي الحال شاذ وتَبِعَ في ذلك الفراءَ وقد أعربَ هو هذه الجملةَ حالاً ، فكأنه رَجَعَ عن مذهَبِه ذلك . وأجاز أيضاً أن تكون من رؤية القلب ، " ووجوهُهُم مسودةٌ " جملةٌ في موضع الحال ، وفيها رد على الزمخشري إذ تَعَلُّقُ البصرِ برؤيةِ الأجسام وألوانِها أظهرُ منَ تَعَلُّقِ القلبِ ، وقرىء " وجوهَهُم مسودةً " بنصبهما ، فوجوههم بدلُ بعض من كل . " (٣)

وقد ذكر سيبويه ان " رأى " من تلك الأفعالِ غيرِ المؤثرةِ والتي تدخل على جملةٍ أصلُها

---

(١) معاني القراء ٢/٤٢٣، ٤٢٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٧٤ ، والكشاف ٣/٤٠٦

(٣) البحر المحيط ٧/٤٣٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مبتدأ وخبر ، ولا غنى لها بأحدهما عن الآخر كما في المثال الذي أورده :

رأى عبدُ الله زيداً صاحبَنا

وقد يتبادرُ إلى الذهنِ أن هذه جملةٌ فعليةٌ أصليةٌ نواتُها الفعلُ "رأى" مكونةٌ من :

ف +فا + مفـ ، و"صاحبنا" بدل من المفعولِ به لأنه يُوَضِّحُه ويُبَيِّنُهُ ، فالجملة تُستغنى عنه في صورةٍ من صورِها .

وهذا صحيحٌ لو أن المتكلم أراد الإخبارَ بأنه قد رأى زيداً ، ثم أحَسَّ أنَّ السامعَ يحتاج إلى تعيينِ أيِّ زيدٍ ذاك الذي رأى ، فأبدلَ منه " صاحِبَنا " ليُوضِحَهُ ويُعَيِّنَه من بينِ غيرِه من المُسَمَّينَ باسمه .

لكن سيبويه أوضحَ مقصودَهُ ، فقال بأنها ليستْ الرؤيةُ بالعين ؛ بل رؤيةَ القلب ، فهي " رأى" التي للعلم . فكأنَّ ثمة خلافاً بين مجموعةٍ من الرجال في كون زيدٍ صاحباً حقيقياً لهم ، فهم في شكٍ من صحبتِه ، في حين يراود عبدَ الله إحساسٌ يقينيٌ بأنه صاحبٌ صادقٌ في صحبته . فالفكرة المستقرة في ذهنه :

زيد صاحبنا

ف + خـ

وموطن الفائدة ومحطها " صاحبنا ".

يقول سيبويه : " فإن قلت : رأيتُ فأردت رؤيةَ العين ، أو وَجَدْتُ فأَرَدْتَ وجدانَ الضالة ، فهو بمنزلةِ ضَرَبْتُ ، ولكنك إنما تريد بوجدتُ عَلِمْتُ ، وبرَأَيْتُ ذلك أيضاً ، ألا ترى أنه يجوز للأعمى أن يقول رأيت زيداً الصالح . " (١)

إلا أن هذا لا يعني أن رأي البصرية تكون دائماً متعدية إلى مفعول واحد ، بمعنى أنها فعل أصيل في الجملة التوليدية وهو نواتها .

---

(١) الكتاب ١/٤٠ .وانظر : الأصول في النحو ، ابن السراج ، ت : عبد الحسين الفتلي ١/١٧٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقد تأتي بصريةً دونَ أن تكونَ فعلاً مؤثراً ؛ بل عنصراً يفيدُ رؤيةَ يدخل على جملةٍ أصْلُها مبتدأٌ وخبرٌ لا غنىً لأحَدِهِما عن الآخر . وهو كما في الآية الكريمة .

إذ لا يُتَصَوَّرُ أنّ الأصلَ الإخباريَ هو : ترى الذين كذبوا على الله يوم القيامة

ف + فا + مف + (قيد زماني)

فليس الغرضُ – والله أعلم – الإخبارَ بأن السامعَ سيرى الذين كذبوا يومَ القيامة ؛ بل الإخبارُ بعقابِ أولئكَ الذين كذبوا على اللهِ في ذلك اليومِ العصيبِ . فليستْ رؤيةُ السامعِ هي موضعَ الكلامِ ومحورَه ، بل الذين كذبوا على الله ومصيرُهم .

فالجملة الأصل : تلازم اضافة تلازم صلة تلازم اضافة

وجوه الذين (كذبوا على الله) مسودة يوم القيامة

م + خـ (قيد زماني)

فمحط الفائدة هو " مسودةٌ " لأن فيه الجزاءَ والعقابَ المنتظر .

كما أن في القول بأن " وجوهُهُم مسودةٌ " جملةٌ مكونةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ استشعاراً بأصل الجملة التوليدية ، إذ الضمير في " وجوههم " يعود على الذين ، ولو أُعيد المضاف إليه الأصل "الذين " لكانت الجملةَ التوليديةُ التي ذكرنا .

إلا أنه لا يجوز أن يُنْظَرَ إلى " وجوهُهُم " على أنها جملةٌ " اسمية " لأن ذلك يعني أنها مستقلةٌ عن الجملة السابقة والتي يَعُدُّها النحاةُ والمفسرون فعليةً ، فكأنهما جملتان مستقلتان:

الأولى فعليةٌ : ترى الذين كذبوا على الله

ف + فا ∅ + مف

والثانيةُ اسمية : وجوههم مسودة

وهذا يعني انهما مستقلتان دلالياً أيضا كما هما تركيبياً اذ استوفت كل واحدة منهما عناصر الإسناد فيها ، والأمرُ ليس كذلك . فالجملةُ الاولى لا تكتمل دلالةً بدون الثانية .

وقد أدرك النحاةُ والمفسرون هذا بشكلٍ خفيٍ فربطوا دائماً بين الجملتين ، فتارة جعلوا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"وجوهُهُم مسودةٌ" في محل نصبِ حالٍ للفاعلِ في جملة " ترى " ، وتارة جعلوها في محلِ نصبِ مفعولٍ به ثانٍ لترى إن كانت قلبية .

فالفائدة في " مسودة " و"وجوههم" مرتبطة - كما أشرنا سابقاً - بـ " الذين كذبوا " وكل هذا مرتبط بالظرف الزماني الذي يحوي الخبر ، ويدور في فَلَكِه ، كما يرتبط بالرؤية مستقبلاً . ولما أراد الله العنايةَ بظرفِ الزمان " يوم القيامة " قدمه وذاك لما يوقِعُه البدءُ به من رهبةٍ وترقبٍ في نفسِ السامعِ مما يَجْعَلُه يَتَحَفَّزُ بكلِ حواسِه لمعرفةِ ما الذي سيكونُ من أحداثٍ وأحوالٍ في ذاك اليوم

تلازم إضافة تلازم صلة

ويوم القيامة ، وجوه الذين (كذبوا على الله) مسودة

استئناف:(قيد زماني) م + خـ

ولما اراد سبحانه أن يحول هذا الموقفَ الغيبيَ إلى واقعٍ مُتَصَوَّرٍ يَسْهُلُ على السامع تَخَيُّلُه ، وإخبارَه بأنّ سيكونُ ذلك واقعاً حقيقياً معاشاً يوم القيامة مرئياً رأى العين ، أدخل عنصرَ الرؤيةِ لِيَلِجَ السامعُ في الصورةِ ويكون فيها حاضراً فيشاركُ في مُعَايَنَةِ عِقابِ الكاذبين وعذابِهم . وذاك فيه من البلاغةِ ما لا يكون في الإخبارِ بدون إقحامِ السامعِ في الصورةِ ومشاركتِه في الرؤية . فهو يعيشها بكل جزئياتِها وألوانِها ومرارتِها ، فيكون أدعى إلى الاتعاظِ ، مما يدفَعُهُ إلى تجنبِ ما يوجبُ إيقاعَهُ في العذابِ كما وقَعَ الكاذبون على الله . أملاً في أن يكون يوم القيامة مُتَفَرَّجاً على إيقاع العذاب بالخاطئين ، وليس واحداً منهم يُتَفَرَّجُ عليه .

تلازم اضافة تلازم اضافة تلازم صلة

ويوم القيامةترى وجوه الذين (كذبوا على الله) مسودة

استئناف : (قيد زماني) عنصر رؤية (م + خـ)

وهذا ما التفت إليه الزجاج فذكر هذه الجملةَ بتركيبِها ودِلالَتِها نظراً إلى المعنى سابقاً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فقال في تحليل الاية : " المعنى : <u>ويومَ القيامةِ ترى وجوهَ الذين كذبوا على اللّٰه مسودةً</u> ".

فمسودةٌ منصوبةٌ إشارةً إلى أنها أَخَذَتْ حركةَ الاقتضاءِ لترى ، فالمبتدأ " وجوه الذين كذبوا ...." والخبر أخذ حركة النصب ذاتَها اقتضاءً لـ "ترى " .

ومن هنا جاز إعراب النحاةِ "وجوهَهُم "بدلَ بعضٍ من كل في النصب عند تقديم " الذين " للعناية و " مسودة " خبراً ، قياساً على الشاهد الشعري ، وإن كانت هذه ليست من القراءات المعتمدة ، إلا أن الإعراب على هذا النحو جائزٌ لغوياً ، لأنه يحافظ على نمطِ الجملةِ الأصل ، فلا تَفْقِدُ أحدَ رُكْنَيْها الرئيسين وهما المبتدأ والخبر ، ويكون الخبرُ منصوباً على أنه أخذ حركةَ اقتضاءٍ لترى كما أخذها " الذين " الذي حل محل المبتدأ تركيبياً .

أما على قراءة الرّفعِ ، وهي القراءة المتواترة المعتمدة فقد حل " الذين " محل "وجوهُهُم "تركيبياً كما حل المفعول به محل الفاعل فناب عنه تركيبيا لا دلاليا عندما بُنِيَ فِعْلُه للمجهول مع بقائها مرفوعةً على الأصل ، فلم تأخذ حركة اقتضاءٍ لـ "ترى " ودليل ذلك أنّ خَبَرها بقي مرفوعاً مثلها .

يقول ابن يعيش وقد أُدركَ أن في الإبدال تغييرٌ عن النمط الأصل ، بتقديم المضاف إليه وتأخيرِ المضاف ملتفتاً إلى أصل الجملة : " .... وأما الثاني ، وهو بدل الشيءِ من الشيء ، وهو بَعْضُه كقولك : " رأيتُ زيداً وَجْهَهُ ، ورأيتُ قومَكَ أَكْثَرَهُم وثُلْثَيْهِم ، وناساً منهم ، وصَرَفْتَ وجوهاً : أوّلَها " فالثاني من هذه الأشياء بعضُ الأول وأَبْدَلْتَهُ منه لِيُعْلَمَ ما قَصَدْتَ له ولينْتَبِهَ السامعُ فَتَثْبتَ بقولك : رأيتُ زيداً وجْهَهُ موضعَ الرؤيةِ منه ، فصار كقولك : رأيتُ وجهَ زيد ...." (١) وإلى هذا ذهب المبرد (٢)

---

(١) شرح المفصل ٣/٦٤

(٢) انظر المقتضب ٤/٢٩٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالمتكلم – جل وعلا – لما أراد العناية بأصحاب تلك الوجوه أكثرَ من عنايته بها ، وتنبيه السامع إليهم – قدمهم ، فبدأ بهم أنفسِهم لما في ذلك من إيحاءٍ بأن ثمةَ جزاءً يترتب على ذكرهم ، ثم بَيّنَ الموضع الذي أرادَ تخصيصَه منهم بالذِكرِ والعذاب ، وهي الوجوه المسودة ، كنايةً عن تحريقِها بالنار ، ووجوهُهُمْ أشرفُ بقعةٍ فيهم فهي موطنُ الجَمالِ والحَواسِ . وقد جاءت الفاصلة القرآنية " أليس في جهنم مثوىً للمتكبرين " لتدل على أنهم واقعون في النار بكليتهم ، بل مقيمون فيها فهي مثواهم ، إلا أن تخصيصَ وجوهِهِم بالسَّوادِ جاء لتبيانِ ما هم فيه من إهانةٍ وعذابٍ وضعةٍ ، فإذا كانت هذه حالُ وجوهِهِم أكرمَ ما فيهم ، فكيف تكون حالُ ما بقي من أجسادِهم ؟ !

والعربُ إذا أرادت الكنايةَ عن شرفِ فلانٍ من الناسِ قالت : فلانٌ وجهُ قومِهِ وعشيرتِهِ ، فكأنما هو محضُ وجهٍ لشرفِهِ .

وكأن اللهَ أراد لأولئك المعذبينَ بالنار أن يكونوا وجوهاً ، لكنْ سوداءُ كناية عن ذِلّتِهِم وضعتهم وهوانهم ، فَهُمْ أعلامٌ في الذّلة .

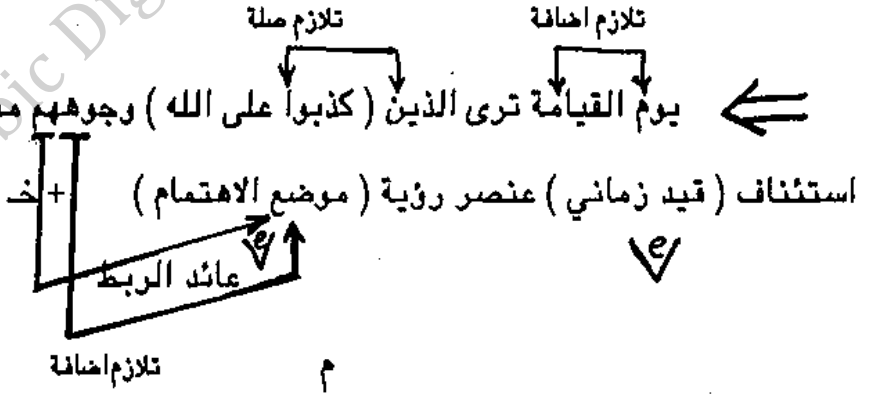

فالجملة اسمية تحويلية قدم فيها القيد الزماني للعناية ، كما قدم بعض المبتدأ وهو المضاف إليه للعناية والأهمية ، وداخَلَها عنصرُ زيادة ، وهو دخولُ عنصرِ الرؤيةِ لغيبٍ مُسْتَقْبَل .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

توكيد المبتدأ بضمير مقدم

٣- " ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم وتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أُسارى تفادوهم وهو محرّمٌ عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاءُ من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويومَ القيامة يردّون إلى أشدِ العذاب وما الله بغافل عما تعملون . " (البقرة : ٨٥)

يقول الفراء (١): " إن شئت جعلت (هو) كناية عن الإخراج " وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم " أي وهو محرم عليكم ، يريد : إخراجُهُم محرمٌ عليكم ، ثم أعاد الإخراجَ مرةً أخرى تكريرًا على " هو " وإن شئت لما حال (بين الإخراج وبين "هو " كلام) . فكان رفعُ الإخراج بالتكريرِ على "هو " وإن شئت جعلت " هو " عماداً ورفعت الإخراجَ بمحرم : كما قال الله جل وعز : "وما هو بمزحزحه من العذاب ان يُعَمَّرَ " (البقرة : ٩٦) . فاطعنى - والله أعلم -ليس بمزحزحه من العذاب التعمير ، .... فإذا رأيت الواو في موضعٍ تطلبُ الاسمَ دون الفعلِ صَلُحَ في ذلك العمادُ ؛ كقولك : أتيتُ زيداً وأبوه قائمٌ ، فقبيحٌ أن تقول : أتيتُ زيداً وقائمٌ أبوه ، وأتيتُ زيداً ويقومُ أبوه ؛ لأن الواوَ تطلبُ الأب ، فلما بدأت بالفعل وإنما تطلب الواوُ الاسمَ أُدخلوا لها " هو " لأنه اسم . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : كان مرة وهو ينفع الناس أحسابُهُم . وأنشدني بعض العرب :

فأبلغ أبا يحيَ إذا ما لَقيتَـــهُ ... على العيس في آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ

بأنّ السُّلامِيَ الذي بضَرِيّةٍ ... أميرَ الحِمَى قد باع حَقّيْ بِني عَبْسِ(٢)

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ ... فهل هو مرفوع بمـــا هاهنا رأسُ

---

(١) معاني الفراء ١/٥١، ٥٢ . ولم نجد للأخفش رأيا في هذا الموضع . انظر : معاني الأخفش ١/١٣٤ .

(٢) في البيت إقواء .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فجعل مع "هل" العماد وهي لا تَرْفَعُ ولا تَنْصِبُ ، لأن "هل" تطلب الأسماءَ أكثرَ من طَلَبِها فاعلاً .

قال : وكذلك "ما" و أما " تقول ما هو بذاهبٍ أحد ، وأما هو فذاهبٌ زيدٌ ، لقبح أما ذاهبٌ فزيد .

" هو " مبتدأٌ وهو كنايةٌ عن الإخراج ، و" محرمٌ " خَبَرُه ؛ و " إخراجُهم " بدلٌ من " هو " وإن شئت كنايةٌ عن الحديث والقِصّةِ والجُمْلَةُ التي بَعْدَهُ خَبَرُه ؛ أي والأمر محرمٌ عليكم إخراجُهم ، فـ " إخراجهم " مبتدأٌ ثانٍ و "محرمٌ" خبرُه ، والجملة خبر عن " هو " ؛ وفي " محرمٌ " ضميرُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه يعودُ على الإخراج ، ويجوز أن يكونَ " محرمٌ " مبتدأً ، و " إخراجُهم " مفعولَ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُه يَسُدُّ مسدَّ خبرِ " محرم " ، والجملةُ خبرٌ عن " هو " . وزعم الفراء أن " هو " عمادٌ ؛ وهذا عند البصريين خَطَأٌ لا معنى له ؛ لأن العماد لا يكون في أول الكلام . "(١)

أما أن يكون ضميرٌ فصلٍ (عماد) كما أجازه الكوفيون فغيرُ مرجحٍ لأنه يخالف قواعدَ النحويينَ من جهة ؛ ولأن التقديرَ فيه يرفضُه سياقُ الآيةِ من جهةٍ أخرى ؛ فقد .... أجاز الكوفيون أن يكون عماداً وهو الذي يُعَبِّرُ عنه البصريون بالفصلِ وقد تقدم مع الخبر، والتقديرُ : وإخراجُهم وهو محرمٌ عليكم ، فلما قَدَّمَ خبرَ المبتدأ قَدَّمَ معه الفَصْلَ . قال الفراء لأن الواو ههنا تطلب الاسمَ وكلَّ موضع تطلبُ فيه الاسمَ فالعمادُ فيه جائز ، ولا يجوز هذا التخريج عند البصريين لأن فيه أمرين لا يجوزان عندهم :

أحدهما : وقوع الفصل بين معرفة ونكرة لا تقارب المعرفة إذ التقدير وإخراجهم هو محرم فمحرم نكرة لا تقارب المعرفة .

والثاني : إن فيه تقديم الفصل وشرطه عند البصريين أن يكون متوسطاً بين المبتدأ والخبر أو بين ما هما أصله وهذه كلها مسائل تحقق في علم النحو . ؛(٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢/٢ . وانظر إعراب النحاس ١٩٥/١ ، والميزان في تفسير القرآن ، محمد الطباطبائي ٢١٩/١ ، والتبيان ٨٧/١ ، والبيان ١٠٥/١ ، والتفسير الكبير ١٧٣/٣ .

(٢) البحر المحيط ٢٩٢/١ ، وانظر الاصول في النحو ١٢٥/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بل ذهب الفراءُ فيما نَقَلَهُ عنه ابن السراج إلى أنهم " أدخلوا العِمادَ ليفرقوا بين المخبرِ والنعتِ لأنك لو قلت : زيدٌ العاقل لأشبهَ النعتَ ، فإذا قلتَ : زيدٌ هو العاقل ، قطعت " هو " عن توهمِ النعت ، .... " (١)

فالجملة في أصلها : زيدٌ عاقل

م (معرفة) + خـ (نكرة)

ثم أراد المتكلم تعظيمَ زيدٍ بصفةِ العقل ، فأضاف إلى الخبر" أل"التعظيم ، لتشير إلى تفرده في هذه الصفة أو لتخصصه بها

⇐ زيدٌ العاقل

تعظيم

لكن هذه الصيغة قد توهم السامع بأن " زيدا " مبتدأ ، و " العاقل " نعت له وعلى هذا تكون الجملة غير مكتملة ، خبرها محذوف ولا دليل عليه .

⇐ زيدٌ زيدٌ العاقل

م (م) + (خـ)

زيدٌ هو العاقل

توكيد تعظيم

الاخبار

فقد جاء الضمير في سياق التعظيم ، والتوكيد به بدلٌ من الاسم الظاهر المؤكد الأول .

ثم إن قول الكوفيين بتقدم ضمير الفصل جعله ملتبساً بضمير الشأن مما يُسَلِّمُ إلى فوضى في تحديد نوعِ الضميرِ ووظيفتِهِ عندهم . كما أن تقديرَهم لا دليلَ عليه وهو تقديرٌ ضعيفٌ يرفُضُه سياقُ الآية الكريمة فالتقديرُ عندَهُم " وإخراجُهُم " في الجملة الفعلية " وتخرجون فريقاً منكم " هو محرم عليكم إخراجهم " .

---

(١) الأصول ٢/١٢٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتقديرهم أن الضميرَ يعودُ على سابقٍ (تُخْرِجونَ) ثم إعادةَ ذكرِ "إخراجَهُمْ" على البدلِ جعل الإخراجَ كما لو كرر ثلاثاً : مرة بصيغة الفعل ، وأخرى بالضمير العائد ، وثالثة بصيغة الاسم المصدر ، فبدا إعرابُهم " إخراجُهُم " على البدل ضمن هذا السياق الذي يستغني عن البدليةِ والتي وظيفتها الإيضاحُ والتبيينُ والتفسيرُ - طالما أن ثمة ضميراً سابقاً يؤكد الإخراج - وكأنها لغو من المتكلم - سبحانه - أو اشارةٌ إلى غباءٍ غيرِ عاديٍ في السامع ، بحيث يشكّ المتكلمُ في قُدْرَتِهِ على الرَّبْطِ بين مباني الجملة من الكلمات ، وقُدْرَتِهِ على استيعاب معناها ، فيحتاجُ إلى أن يذكره كلَ حين بمفردةٍ من مفرداتها عله يستطيع تجميعَ معنى منها ، وهذا غير وارد لأن السامع لو لم يكن عاقلاً مكلفاً فصيحاً لما خُوطِب بالقرآن الذي اخْتُصَ به أفصحُ الأممِ وأبلَغُها ، وهم العرب .

ومعاذ الله أن يكون في القرآن،كلامِ الله لغوٌ . وإنما هي مبررةٌ موظفةٌ في سياقِها القرآني : " **وهو محرم عليكم إخراجهم** " فقد " تقدمت أربعة أشياء : قتل النفس ، والإخراجُ من الديار ، والتظاهرُ ، والمفاداة ، وهي محرمةٌ ، واختُصَ هذا القسمُ بتأكيد التحريمِ وإن كانت كلُّها محرمةٌ لما في الإخراجِ من الديارِ من مَعَرَّةِ الجلاء والنفيِ الذي لا ينقطعُ شرُه إلا بالموت ، وذلك بخلاف القتل ؛ لأن القتل وإن كان من حيثُ هو هدمُ البنيةِ أعظمُ لكنّ فيه انقطاعَ الشر وبخلاف المفاداةِ بها فإنها من جريرةِ الإخراجِ من الديارِ والتظاهر ؛ لأنه لولا الإخراجُ من الديار والتظاهرُ عليهم لما وقعوا في قيدِ الأسر ، .... " (١)

فقد جاء قوله تعالى : " **وهو محرم عليكم إخراجُهُم** " مُؤكِداً حرمةَ الأساسِ الذي تتفرّعُ عنه بقيةُ المصائب ؛ لذِكْرِهِ معطوفاً ، ثم الاستئنافُ بعدَه بجملةٍ يعود الضميرُ فيها عليه.

" ووقع في كتاب ابن عطية في هذا المكان أقوالٌ تُنتقدُ وهو أنه قال : قيل في " هو " أنه ضمير الأمر تقديرُه : " والأمر محرم عليكم وإخراجهم " في هذا القول بدل من " هو " انتهى ما

---

(١) البحر المحيط ٢٩١/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نقله في هذا القول وهذا خطأٌ من وجهين : أحدُهما : أنه أخبرَ عن ضميرِ الأمرِ بمفردٍ ولا يجيز ذلك بصريٌّ ولا كوفيٌّ . أما البصريُّ فلأن مُفسِّرَ ضميرِ الأمرِ لا بدَّ أن يكونَ جملةً وأما الكوفيُّ فلأنه يجيزُ الجملةَ ، ويجيزُ المفردَ إذا كان قد انتظم منه ومما بعدَه مسنداً ومسنداً إليه في المعنى نحو قولك : ظننتُه قائماً الزيدان * الثاني أنه جعلَ "إخراجُهُمْ" بدلاً من ضميرِ الأمر ، وضميرُ الأمرِ لا يُعْطَفُ عليه ولا يُبْدَلُ منه ولا يُؤَكَّد قال ابن عطية : وقيل هو فاصلةٌ وهذا مذهب الكوفي وليست هنا بالتي هي عماد و"محرمٌ" على هذا الابتداءُ و"إخراجهم" خبر ." (١)

أما من أعرب " هو " على أنه ضميرُ الشأن فعلى " .... أن يكون "إخراجُهم" مبتدأ و "محرمٌ" خبراً وفيه ضميرٌ مرفوعٌ فلا يجيزون قائمٌ ، زيد على أن يكون " قائم " خبراً مقدماً فلذلك عدلوا إلى أن يكون خبر "هو" قوله "محرمٌ إخراجهم" مرفوعٌ به مفعولاً لم يسم، وتبعهم على هذا المهدوي ولا يجيز هذا الوجهَ البصريون لأن عندهم أن ضميرَ الشأن لا يُخْبَرُ عنه إلاّ بجملةٍ مصرحٍ بجزأيْها وإذا جعلت قوله : " محرم "خبراً عن هو وإخراجهم مرفوعاً به لزم أن يكون قد فَسَّر ضميرَ الشأن بل هو عائدٌ على الإخراجِ و"محرمٌ" خبرٌ عنه و"إخراجُهُمْ" بدلٌ وهذا فيه اختلاف.

منهم من أجاز أن يُفَسِّرَ المضمرُ الذي لم يَسْبِقْ له ما يعود عليه بالبدلِ ومنهم من منع وأجازَهُ الكسائيُ في بعضِ النُّقول " (٢)

وقد بُيِّنَ سابقاً أن كونه ضميرَ الأمر مرفوضٌ يخالف قواعدَ اللغة والنحاةِ أنفسِهم . لكنَّ الذي جعلهم يلجأون إلى التقديرِ هو تجنبُ الاصطدامِ بالقاعدة النحوية التي لا تبيح عودَ ضميرٍ متقدمٍ على لاحق .(٣) على الرغم من أنهم . أدركوا أهميتَه الدلالية ، يقول ابن

---

(١) السابق ١/١٩٢

(٢) السابق ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) انظر : ابن عقيل ١/٢٨١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعيش (١): " ...وإذا أرادوا ذكرَ جملةٍ من الجملِ الاسميةِ أو الفعليةِ فهم يُقَدِّمونَ قبلَها ضميراً يكونُ كنايةً عن تلك الجملةِ ، وتكونُ الجملةُ خبراً عن ذلكَ الضميرِ وتفسيراً .... ، ولا يفعلون ذلك إلا في مواضعَ التفخيمِ والتعظيمِ .... ، ولم تأتِ في هذه الجملة بعائدٍ إلى المبتدأ لأنها هو في المعنى، ولذلك كانت مفسرةً ، فهو ضميرٌ لم يتقدمْهُ ظاهرٌ .... ويُسَمِّيه الكوفيون الضميرَ المجهولَ لأنه لم يتقدمْهُ ما يعودُ عليه . "

فقد أدرك بعضُ النحاةِ أن معنى التفخيمِ والتعظيمِ والذي هو درجةٌ من التوكيدِ متأتٍ من هذا الضميرِ لكن المانعَ عندَهُمْ أنه لم يتقدمْه ظاهر .

والذي تراه الباحثة أن هذه القاعدةَ لا قيمةَ لها ، تُسْلِمُ إلى تعقيدٍ في التقديرِ والتأويلِ ، مما يمزقُ المعنى ويَهْدِرُه ، فترى أن "هو" عنصرُ توكيدٍ يُقَدَّمُ على مُؤَكَّدِه ، وبذا يمكن تفسيرُ رأيِ ابنِ عطيةَ في الآية الكريمة : " قال ابن عطية : وقيل هو ضميرُ الإخراج وتقديرُه : وإخراجهم محرم عليكم .... ولم يبين وجهَ ارتفاع " إخراجُهم " ولا يتأتى على أن يكون " هو ضميرُه ويكون " إخراجُهُم " تفسيرٌ لذلك المضمرِ إلا على أن يكون " إخراجُهُمْ " بدلاً من الضمير وقد تقدم أن في ذلك خلافاً فمنهم من أجاز ومنهم من منع . (٢)

والذي تراه الباحثة موافقاً لتقدير ابن عطية ، فالضمير عائد مقدم على "إخراجهم" وأصلَ الجملة :

تلازم جر (قيد مخصص)

وإخراجهم محرم عليكم

عنصر عطف : م (معرفة) + خـ (نكرة)

لكن المتكلم – جل وعلا – أراد توكيد الحرمة فقدم موضع الفائدة

قيد مخصص

ومحرم عليكم اخرجهم -

عنصر عطف : خـ + م

(١) شرح المفصل ٢ /١١٤

(٢) البحر المحيط ١ / ٢٩٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما كان السياق يقتضي وجودَ عائدٍ يَرْبطُ الجملةَ بما قبلها ، عائدٌ يعود على بؤرةِ الجملةِ الاسميةِ المبتدأِ ، ويؤكد مضمونَها بعامةٍ بالإضافة إلى تخصيصِ الخبرِ بالعنايةِ أُضاف " هو "

تلازم جر (قيد مخصص)

وهو محرم عليكم إخراجهم

عنصر عطف : ض (خ+م)

" فقد أدى الضمير (هو) دورَهُ الدلاليَ بشدِ انتباهِ السامعِ إلى أمرٍ عظيمٍ يريد اللهُ أن يُلْقِيَهُ : محرمٌ عليكم ، وهو نكرةٌ لا يتبينُ معناها مع أنها ركنٌ رئيسٌ في الجملة – مسندٌ – أي هو خبرٌ مقدم ، والعربُ إن أرادت العنايةَ بشيء قدمَتْهُ ، ففي الآية موضعان للتوكيد : أحدهما في شدِ الانتباهِ بالضميرِ (هو) ، والآخرُ في تقديم المسندِ ،والموضعان مبهمان ، أحدهما مبهمٌ لأنه نكرةٌ أصلاً ، وهذا ما الأصل عليه ، والثاني مبهمٌ مع أنه معرفة ، فاحتاج إلى تفسير وتوضيح ، فذكر الله تعالى (إخراجُهُم) بعد أن أصبح ذِهْنُ السامعِ في غاية التَّنَبُّهِ والترصدِ سَيُبَيِّنُ الضميرَ ويكشفُ ما فيه من غموض . "(١) فهي جملةٌ اسميةٌ تحويليةٌ مؤكدةٌ بمؤكد ، والخبرُ فيها مؤكد بمؤكدين الأول بالتقديم ، والثاني بضميرِ التوكيدِ المرتبطِ ببؤرةِ الجملة .

آخذين بذا برأي نحاةِ الكوفةِ في إعراب الوصفِ خبراً مقدماً كما في : قائمان الزيدان ، أو قائم الزيدان . و " زيدان " مبتدأ مؤخر .

يقول السيوطي : " حَدُّ النحاة المبتدأ بأنه : الاسمُ المجردُ من عاملٍ لفظي غيرُ المزيد ونحوه مخبراً عنه ، أو وصفاً سابقاً رافعاً لمنفصلٍ كافٍ ، .... وقولنا : " غيرُ المزيد " يَدْخُلُ فيه المجرورُ بحرفٍ زائدٍ نحو " هل من خالق غير الله " (فاطر : ٣) وبحسبك درهم ، فـ "خالق "و" حسبك " مبتدأن ، لأن العاملَ الداخلَ عليهما كَلَا عاملٌ لزيادتهِ .... وما قالوه في "

---

(١) آراء في الضمير العائد ولغة " أكلوني البراغيث " ، د . خليل عمايرة . ص ٨١ ، ٨٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" بحسبك درهم " خبر مقدم ، وأن المبتدأ " درهم " نظراً للمعنى ، لأنه محط الفائدة ، إذ القصد الإخبار عن "درهم" بأنه كافيه ، وما قاله شيخُنا (١) هو الصواب . " (٢)

وقد أخذ بهذا صاحبُ الكشاف ملتفتاً إلى المعنى الذي يتوخاه المتكلم بتقديم الخبر (الوصف) على المبتدأ في تفسيرِه قولَه تعالى : " قال : " أراغبٌ أنت عن آلهتي يا إبراهيم "

(مريم : ٤٦)

" قدّم الخبر على المبتدأ في قوله " أراغبٌ .... " لأنه كان أهمَّ عنده وهو عنده أعنى ، وفيه ضربٌ من التعجبِ لرغبتِه عن آلهتِه ، وأن آلهتَه ما ينبغي أن يُرْغَبَ عنها أحدٌ . " (٣)

---

(١) ويقصد بـ(شيخنا) الكافيجي ، يقول في مكان سابق: " والمختار وفقا لشيخنا الكافيجي أنه خبر .... " الهمع ٥٠٤/٢

والكافيجي : هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي البرعمي ، أستاذ الاستاذين ، محي الدين أبو عبد الله الكافيجي الحنفي . ولد سنة ٧٨٨ هـ ، كان إماما في الكلام ، وأصول اللغة ، والنحو والتصريف والاعراب ، والمعاني ، والبيان ، والجدل ، والمنطق ، والفلسفة ، وبرع في التفسير وعلوم الحديث . توفي سنة ٨٧٩ هـ انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ١١٧/١-١١٩ .

(٢) الهمع ٥٠٤/٢ .

(٣) الكشاف ٥١١/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حذف المبتدأ

" وجاءوا على قميصه بدمٍ كَذِبٍ قال : بل سولتْ لَكُم أنفسُكم أمراً ، فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تصفون . " (يوسف : ١٨)

" في رفعه وجهان :

أحدهما : أن يكون مرفوعاً لأنه مبتدأ ، وخبرُه محذوف ، وتقديرُه فصبرٌ جميل أمثلُ من غيره.

والثاني : أن يكون [illegible] مرفوعاً لأنه خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ ، وتقديرُه ، فصبري صبرٌ جميل " (١)

ويذكر الفراء أن اللغة تجيزُ النصبَ إلا أن سياقَ الآية ومعناها ومناسَبَتَها تقتضي الرفعَ يقول : " إن الصبرَ مرفوعٌ لأنه عَزّى نفسَه وقال : ما هو إلا الصبرُ ولو أَمَرَهُم بالصبر لكان النصبُ أسهلَ كما قال الشاعر :

يشكو إليَّ جَمَلي طولَ السُّرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى *

وقوله : " فصبرٌ جميلٌ " يقول : لا شكوى فيه إلا إلى الله جل وعز . " (٢)

ويقول في موطنٍ آخر : " مثل قوله ، (فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ) (البقرة : ١٩٦ ، والمائدة : ٨٩) (فإمساكٌ بمعروف) (البقرة : ٢٩) ولو كان : فصبراً جميلاً يكون كالأمر لنفسه بالصبر لجاز . وهي قراءة أُبي (فصبراً جميلاً) كذلك على النصب بالألف (٣) " (٤)

من قال بأن "صبرٌ" مبتدأٌ اعتمد في إعرابه هذا على أنه جاء موصوفاً ، يقول ابن يعيش : " وجاز الابتداء بقوله "صبرٌ جميلٌ" وهو نكرة لأنها قد وُصِفَت والنكرةُ إذا وُصِفَتْ جاز الابتداءُ

---

(١) البيان في غريب القرآن ، الأنباري ، ت : طه عبد الحميد طه ٢/٣٥ ، ٣٦ ، وانظر التبيان في إعراب القرآن ، العكبري ، ت: علي البجاوي ٢/٧٢٦ ، وشرح المفصل ١/٩٥.

* الشاهد لملبد بن حرملة ، انظر معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٧٥٢) .

(٢) وقراءة الجمهور بالرفع : اذ لم يرد خلافها في الكشف ، والنشر ، كما لم يرد في المحتسب ومختصر ابن خالويه .

(٤) معاني القرآن ٢/٣٩ ، ولم يعربها الأخفش ، انظر : معاني القرآن ٢/٣٦٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بها ، .... ، ويجوز أن يكون (صبرٌ جميل) خبراً والمبتدأ محذوف والتقدير فأمري صبرٌ جميلٌ أو صنعي صبرٌ جميلٌ . (١)

لكن ماذا يقول أولئك إ ن كان " صبرٌ " غيرَ موصوفٍ كما جاء في شواهد سيبويه كحنانٌ ، وعجبٌ ، ومعذرةٌ ، والتي سنوردها لاحقاً بإذن الله !

والمرجحَ أنه خبرٌ لمبتدإٍ محذوفٍ ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه(٢) . و"جميلٌ" نعت للخبر ذلك أن المتكلم استغنى عن المبتدإ لدلالة حالِهِ وواقِعِه عليه : " من ذلك أن ترى رجلاً قد سدد سهماً نحو الغرضِ ثم أرسَلَهُ فتسمعُ صوتاً فتقول : القرطاسَ والله ، أي أصاب القرطاس . فـ(أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتة ، وإن لم يوجد في اللفظ غيرُ أن دلالةَ الحالِ عليه نائبٌ مناب اللفظِ به . وكذلك قولُهم لرجل مهوٍ بسيفٍ في يده : زيداً ، أي اضربْ زيداً . فصارت شهادةُ الحالِ بالفعل بدلاً من اللفظ به . "(٣)

غيرَ أننا لا نتفقُ وابنَ جنيٍّ على أنّ ليسَ في اللفظِ دلالةٌ على المعنى غيرُ الحال ، بل إن هناك قرينةً لفظيةً أيضاً جعلت السامعَ يدركُ مرادَ المتكلم ، وجعلت النحويَ يُقَدِّرُ فعلاً مُفَسِراً مناسباً ، وهي حركة النصب على القرطاس ، وعلى زيد . وكذلك رَفْعُ " صبر " ونصبُها .

يقول الطباطبائي ملتفتاً إلى دلالةِ التنكير في " صبر " وصفتِه ، رابطاً ذلك بحال المتكلم : (" فصبر جميل ") مدحٌ للصبر وهو من قبيلِ وضعِ السببِ موضعَ المُسَبَّبِ والتقديرُ : سأصبرُ على ما أصابني فإنّ الصبرَ جميلٌ،وتنكيرُ الصبرِ وحذفُ صِفَتِهِ وإبهامُها للإشارةِ إلى فخامةِ أمرِه وعِظَمِ شأنِهِ أو مرارةِ طَعْمِهِ وصُعوبةِ تَحَمُّلِه . وقد فَرَّعَ قولَهُ : " فصبر جميل " على ما تقدم للإشعارِ بأن الأسبابَ التي أحاطت به وأفرَغَتْ عليه هذه المصيبةَ هي بحيث لا يَسَعُ

---

(١) شرح المفصل ٩٥/١ .

(٢) انظر الكتاب ٣١٩/١ ، ٣٢٠ . وسنورد نص سيبويه كاملا عند الحديث عن القراءة بنصب " صبر جميل " .

(٣) الخصائص ٢٨٤/١ ، ٢٨٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مَعها إلا أن يسلكَ سبيلَ الصبر ، وذلك أنه عليه السلام فَقَدَ أَحَبَّ الناسِ إليه ،يوسفَ،وهوذا يُذكَرُ له أنهَ صارَ أكلةً للذئبِ وهذا قميصُهُ ملطخاً بالدم وهو يرى أنهم كاذبون فيما يخبرونه به ويرى أن لهم صنعاً في افتقاده ومكراً في الأمرِ ولا طريقَ له إلى التحقيقِ فيما جرى على يوسف .... ولهذا كُلِّهِ لَمّا قال يعقوبُ عليه السلام : " فصبرٌ جميلٌ": عَقَّبَهُ بقوله : " والله المستعان على ما تصفون " فتمَّمَ كلمةَ الصبرِ بكلمةِ التوكلِ نظيرَ ما أتى به في قوله في الآيات المُستَقبَلة : " فصبرٌ جميلٌ عسى أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم " الآية "٨٣ من السورة .)(١)

إذ إن شكواه لله ، والله – سبحانه – عالمٌ مطلعٌ على وضع يعقوبَ ويوسفَ وإخوانِه ، فلا أهميةَ لذكرِ المبتدأ ، والزُبدةُ في الخبرِذلك " ... أن خبرَ المبتدأِ هو الجزءُ المستفادُ الذي يستفيدهَ السامعُ ويصيرُ مع المبتدأِ كلاماً تاماً ، والذي يدل على ذلك أن به يقع التصديقُ والتكذيبُ ألا ترى أنك إذا قلتَ عبد الله منطلق ، فالصدق والكذب إنما وقعا في انطلاق عبد الله لا في عبدِ الله لانُ الفائدةَ في انطلاقه وانما ذكرتَ (عبد الله) وهو معروف عند السامع لتُسْنِدَ إليه الخبرَ الذي هو الإنطلاق . "(٢)

ولما كان لا حاجةَ إلى ذكر المسندِ إليه لعدمِ إمكانيةِ الشكِ مطلقاً في إدراكِ المُخاطَبِ – عز وجل – الكامل للأمر ، وتَنَزُّهِهِ عن اللَّبْسِ سبحانه ، بالإضافة إلى احتلالِ الخبرِ الجزءَ الأكبرَ من همِّهِ وذهنِهِ ، حُذِفَ المبتدأ .

فالمتكلم قصد من جملته تأكيد ولائِهِ لله ، وصَبْرِهِ على ما امْتُحِنَ به ، وأن هذا الصبرَ ليس مُجَرَّدَ تجلدٍ ، أو أنه ممزوجٌ أحياناً ببعضِ الضجر ، أو الشكوى لغيرِ الله ولذلك قال بعدها: " والله المستعان " فهي مصيبة يستعين عليها بالصبر المطلق سائلاً الله أن يَمُدَّه بالعونِ على الثباتِ على الصبر والتسليم الكاملِ له.

(١)الميزان ٢/٢٥، ٣٦.

(٢)شرح المفصل ١/٨٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الزمخشري : "والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع أنه الذي لا شكوى فيه(١) إلى الخلق ، ألا ترى إلى قوله : وإنما أشكو بثي وحزني إلى الله .... والله المستعان .... " (٢) فهي جملة أراد بها "توطئةً لنفسه "(٣) فما الداعي إذاً إلى ذكرِ المسندِ إليه ؟!

ومن هنا كانت تقديرات النحاةِ والمفسرين ـ وإن كنا لا نتفق معهم ـ في جواز إظهار وتقدير ما حذفَهُ المتكلمُ لِغايةٍ ومعنىً في نفسه يُفسِدُه الإظهارُ ـ تدل على أنه المعنىُ المرادَ هو الدلالةُ على استقرارِهِ على الصبرِ وثباتِهِ في نفسِهِ " أي فشأني والذي أعْتَقِدُهُ صبرٌ جميل . وقال قطرب أي فصبري صبرٌ جميل . " (٤)

وبناء على ما سبق فالمرجحُ أن يكون "صبر" خبراً لمبتدأٍ محذوف وليس مبتدأً خبرُه محذوف . فالجملة تحويلية مبنية على حذف المسندِ إليه لدِلالة السياق عليه :

تلازم نعت

... صبرٌ جميلٌ

م ∅ + خ

والحذف من ميزات العربية البلاغية ، وسنن العرب في كلامِهم حسبَ اقتضاء المعاني والأحوال . يقول الجرجاني : " هو باب دقيقُ المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأمرِ شبيهٌ بالسحر ، فإنك ترى به تَرْكَ الذكرِ أفصَحَ مِنَ الذكر ، والصَمْتَ عن الإفادةِ أزيدَ للإفادة ، وتَجِدُكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تَنْطِقْ ، وأتمَ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن . " (٥)

" وقد حذفت العربُ الجملةَ والمفردَ والحرفَ ، والحركةَ . وليس شيءٌ من ذلك إلا عن دليلٍ عليه

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٩ ، ومعاني القراء ٥٣/٢ ، ٥٤ .

(٢) الكشاف ٣٠٨/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٥١/٩

(٤) السابق ، الموضع نفسه ، وانظر اعراب النحاس ١٢٩/٢ ، ومعاني الزجاج ٩٦/٢ .

(٥) دلائل الاعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت : محمود محمد شاكر ، ص ١٤٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإلا كان فيه ضرب من تكليفِ علمِ الغيب في معرفتهِ . "(١)

فالحذفُ البلاغيُ ما ليس فيه إخلالٌ بالمعنى ، بل ما كان خروجاً بالمعنى من القربِ والإخبارِ إلى معنىً أوسعَ لا يتسنى بدونه .

ومن هنا كان الحذفُ عنصراً من عناصرِ تحويلِ الجملةِ من التوليديةِ النواةِ إلى تحويليةٍ عميقةٍ تحملُ غرضاً جديداً أكثرَ عمقاً وتعقيداً . (٢)

وعليه فإنه لا يَحِقُ للسامع أن يُقَدِّرَ ما لم يُرِدْ المتكلمُ إظهارَه أو تقديرَه ، لإن ذلك يفسدُ عليه غَرَضَه ُولا يُحقِقُ الفائدةَ التي يتوخاها من التغيير في بناءِ الجملة . إذ كل تغييرٍ في المبنى لا بد أن يقابلَه تغييرٌ في المعنى. فإظهارُ ما حذفَ المتكلمُ إعادةٌ للجملةِ إلى بِنْيَتِها الأصل.

وقد أسرفَ النحاةُ في تقديرِ العواملِ في أبوابٍ من النحوِ مثل:الإغراء ، والتحذير ، والنداء،والاستغاثة،والمفعول المطلق .... وغيرِها مما يحمل حركة النصب خاصة ، إذ الجملةُ المبتدأةُ باسم جملةٌ اسميةٌ عندَهم بغضِ النظرِ عن وجودِ فعلٍ أولا فيها ، ولذلك حين كان يتصدرَ الاسمَ ولا يوجد فعلٌ ظاهرٌ أحدَثَ حركةَ النصبِ ، والأصلُ أن يكونَ هذا الاسمُ مرفوعاً على الابتداءِ أو الخبريةِ ، مالوا إلى تقديرِ ما لو ظَهَرَ لأفسدَ المعنى . والنحاةُ العربُ قد تنبهوا إلى هذا ؛ لذلك قالوا في الأبواب السابقة : منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ وجوباً ، أي لا يجوز ظهوره بحال من الأحوال . ولو ظهر لنقل الجملةَ من بابِها إلى بابٍ آخرَ ، من بابِ الإنشاءِ والانفعالِ كما في النداء مثلاً الى بابَ الخبرية " وهذا ما لا يقصِدُه المتكلم . فمثلاً تقدير : أُحذِّرُك وأُحذِّرُ الأسدَ ، ليس إلا عبارةٌ موضحةٌ لقولِ العرب : (إياك الأسدَ) . ولولا أن هذا التركيبَ الأخيرَ يفيد في ذاتِهِ معنى تركيبياً دونَ حاجةٍ إلى تقديرٍ لما استطعنا أن نفهمَهُ ولا أن نقدرَ له هذا المعنى . فالذي حدث أننا فهمنا معنى التركيب ثم أتينا بعبارة له على سبيل التقريب ثم

---

(١) الخصائص ٢/٣٦٠

(٢) انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ١٣٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قدروا زيادات في التركيبِ تُعَدُّ من اللغوِ الذي لا طائل تحتَهِ وتَعملُ على تشويهِ التركيبِ ومسخِهِ ، وإنما دفعهم إلى تقديرِهم رغبتَهم في إخضاعِ الكلامِ لنظريةِ العاملِ والمباديءِ التي وضعوها لها . "(١)

ومن هنا كان التعبيربـ(∅) عن الكلمة المحذوفة موفقاً إذ لا يُفسدُ المعنى بتقدير ما لو أُظْهِرَ لأفسدَ المراد . (٢)

وكأن هذه الاشارةَ (∅) ترجمةٌ لقول الجرجاني(٣) : " فتأمل الآنَ هذه الأبياتِ كُلَّها ، واستقرِها واحداً واحداً ، وانظرْ إلى موقِعِها في نفسِك ، وإلى ما تَجِدُه من اللطفِ والظُّرفِ إذا أنت مررت بموضعِ الحذفِ منها ، ثم فَلَيْتَ النفسَ عنها ، وألْطَفْتَ النظرَ فيما تُحِسُّ به ، ثم تَكَلَّفْ أن تَرُدَّ ما حذفَ الشاعرُ ، وأن تخرجَه إلى لَفْظِكَ ، وتوقعَهُ في سَمْعِك ، فإنك تعلمُ أن الذي قلتُ كما قلتُ ، وأنّ رُبَّ حذفٍ هو قلادةُ الجيدِ ، وقاعدةُ التجويد ، .... " .

" قال أبو حاتم : قرأ عيسى بن عمر فيما زعمَ سهلٌ "بنُ" يوسفَ " فصبرٌ جميلاً " قال : وكذا قرأ الأشهبُ العُقيلي ، قال وكذا . في مصحف أنسٍ وأُبي صالح(٥) . قال المبرد : " فصبر جميل بالرفعِ أولى من النصبِ ؛ لأن المعنى : قال ربِّ عندي صبرٌ جميل ؛ قال : وإنما النصبُ عن المصدر ، أيَ فلأصبرن صبراً جميلاً ؛ قال :

شكا إليَّ جَمَلي طُولَ السُّرَى صبراً جميلاً فكِلانا مُبْتَلَى "(٤)

ولا شك ان النحاة والمفسرين أدركوا أن ثمة اختلافاً دلالياً بين القراءة بالرفع ، والقراءةِ

---

(١) المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ١٢٨ .

(٣) دلائل الإعجاز ، ص ١٥١ .

(٤) الجامع ٩/١٥٢

(٥) معجم القراءات القرآنية ٣/١٥٦ ، وانظر الكشاف ٢/٢٠٨ ، واعراب النحاس ٢/١٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالنصب .

فالمبردُ من خلالِ تقديرِه الفعلَ " فلأصبرن " يشيرُ إلى أن واقعَ حالِ المتكلمِ عندَ نطقِ جملتِه لم يكن الصبرَ ، فهو ليس بصابر ، وإنما يقهرُ نفسَه ،ويحاول تحفيزَها على أن تسلكَ مسلكَ الصبر ، فهو لمّا يصلْ إلى مرحلةِ الثباتِ والرسوخِ على الصبر ، فما زالت حَرَكةُ التفاعلِ والمقاومةِ تدور في داخلِه وتصطرِعُ .

وكذلك التفتَ الفراءُ إلى هذا المعنى بقوله " ولو كان : " فصبرٌ جميلٌ يكون كالأمر لنفسه بالصبر لجاز . "(١)

" .... ومثلهُ في الكلام أن يقول لك الرجل : كيف أصبحت فتقول أنت : صالحٌ ، بالرفع ، ولو أجبته على نفسِ كلمتِه لقلتَ : صالحاً . فكفاك إخبارُك عن حالِك أن تَلْزَمَ كَلِمَتَه . ومثله قول الله تبارك وتعالى " ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله " (الأحزاب : ٤٠) وإذا نصبتَ أردتَ : ولكن كان رسول الله ، وإذا رفعتَ أخبرتَ ، فكفاك الخبرُ مما قبله . وقوله : " ولا تحسبن الذيـــن قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ " (آل عمران : ١٦٩) رفعٌ وهو أَوْجَهُ من النصب ؛ لأنه لو نَصَبَ لكان على ولكن أَحْسَبْهُمْ أحياء ؛ فَطَرْحُ الشكِ من هذا الموضعِ أجود . ولو كان نصباً كان صواباً كما تقول : لا تظنَّنَهُ كاذباً ، بـل اظْنُنْهُ صـادقاً . "(٢)

" والفرق بين الرفعِ والنصبِ أنك إذا رفعتَ كأنك ابتدأتَ شيئاً قد ثبتَ عندك واستقرَ وإذا نصبت كأنك تَعْمَلُ في حالِ حديثِكَ في إثباتِها . "(٣)

كما أولى سيبويهِ عنايَتَهُ بهذا النمطِ منَ الكلام ، وما لتغيرِ الحركةِ من الرفعِ إلى

---

(١)معاني الفراء ٢/٣٩

(٢) السابق ١/١٧٠، ١٧١ .

(٣)شرح المفصل ١/٨٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النصبِ من أهميةٍ في تَغَيُّرِ الدلالةِ . ومن هنا كان تقديرُه الفعلَ في حالِ النصبِ ، والاسمَ في حالِ الرفع ، إدراكاً منه لما تعكِسُه حركةُ النصبِ من معنى التغييرِ والتحولِ والحدوثِ والتجددِ كما هي حالُ الفعل ، وما تَعْكِسُهُ حركةُ الرفعِ من معنى الثبوتِ والاستقرارِ كما هي حالُ الاسم.

يقولُ سيبويه : " هذا بابُ ما ينتصبُ على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهارُه من المصادرِ في غيرِ الدعاءِ من ذلك قولُك : حمداً وشكراً لا كفراً وعجباً ، وأفْعَلُ ذلك وكرامةً ومسرةً ونعمةَ عينٍ ، ولا أفعل ذاك كيداً ولا همّاً ، ولأفعلن ذاك رَغْماً وهواناً .

فإنما ينتصبُ هذا على إضمارِ الفعلِ كأنك قلتَ : أحمدُ اللهَ حمداً وأشكرُ اللهَ شكراً ، وكأنك قلتَ : أعجبُ عجباً ، وأُكرِمُك كرامةً ، وأُسَرُّكَ مَسَرَّةً ، ولا أكاد كيداً ولا أَهُمُّ همّاً ، وأُرغِمُك رَغْماً .

وإنما اختُزِلَ الفعلُ ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظِ بالفعل ، كما فعلوا ذلك في بابِ الدعاء . كأن قولَكَ : حمداً في موضع أحمدُ الله ، وقولَكَ : عجباً منه في موضع أعجبُ منه ، وقولَهُ : ولا كيداً في موضع ولا أكاد ولا أهم .

وقد جاء بعض هذا رفعاً يُبْتَدَأُ ثم يبنى عليه . وزعمَ يونسُ أن رؤبةَ بنَ العجاجِ كان يُنْشِدُ هذا البيتَ رفعاً ، وهو لبعضِ مَذْحِجَ ، وهو هَنِيُّ بنُ أُحمرَ الكناني :

عجبٌ لتلك قضيةٌ وإقامتي ... فيكم على تلك القضيةِ أعجبُ(١)

وسمعنا بعضَ العرب الموثوق به ، يقال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمدُ الله وثناءٌ عليه ، كأنه يحمله على مضمرٍ في نيتهِ هو المظهر ، كأنه يقول : أمري وشأني حَمْدُ الله وثناءٌ عليه . ولو نَصَبَ لكان الذي في نفسِه الفعلُ ، ولم يكنْ المبتدأ ليبنى عليه ولا ليكونَ مبنياً على شيء

---

(١) " تعددت نسبة هذا الشاهد في كتب النحو ، وعند رواة الشعر ، فقد نسب لهني بن أحمد الكناني ، وزرافة الباهلي ، وهمام بن مرة ، ورؤبة بن العجاج ، وضمرة بن ضمرة ، وعمرو بن الحارث الكناني ، وعمرو بن يغوث الطائي . " معجم حداد ، رقم الشاهد (٦١)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هو ما أظهر .

وهذا مثل بيتٍ سمعناه من بعضِ العربِ الموثوقِ بهِ يرويه :

فقالتْ حنانٌ ما أتى بك هٰهُنا أذو نسبٍ أم أنت بالحي عارفُ(١)

لم تُرِد حنٌّ ، ولكنها قالت : أمرنا حنانٌ ، أو ما يصيبنا حنانٌ . وفي هذا المعنى كله معنى النصب .

ومثله في أنه على الابتداء وليس على فعلٍ قولُه عز وجل : " قالوا معذرةٌ إلى ربكم "(٢)، ولو قال رجل لرجل : معذرةً إلى الله وإليك من كذا وكذا ، يريد اعتذارا ، لنصب .

مثل قول الشاعر :

يَشْكو إلي جملي طولَ السُّرى صبرٌ جميلٌ فكِلانا مُبْتَلى

والنصبُ أكثرُ وأجودُ ، لأنه يَأْمُرُه ؛ ومثلُ الرفعِ " فصبرٌ جميلٌ والله المستعان " كأنه يقول : الأمرُ صبرٌ جميل .

والذي يُرْفَعُ عليه حنانٌ وصبرٌ وما أشبهَ ذلك لا يُستَعْمَلُ إظهارُه ، وترك إظهارِه كترك إظهارِ ما يُنْصَبُ فيه .

ومثله قول بعضِ العرب : من أنتَ زيدُ ، أي من أنت كلامُك زيد ، فتركوا إظهارَ الرافع كتركِ إظهارِ الناصب ، ولأن في ذلك المعنى،وكان بدلاً من اللفظ والفعل "(٣)

فالعربُ حينَ تكلمتْ رفعت ونصبت وجرت وجزمت على سجيتِها حسبَ ترتيبِ المعاني في نفوسِها ، دونَ معرفةٍ بالمصطلحاتِ النحويةِ من عاملٍ ومعمولٍ ، وفاعلٍ ،مفعولٍ ، وإنما قامتْ المعاني في نفوسِها ، فنطقتْ حسبما عَنَتْ ، فأعطَتْ كل معنىً حركَتَه المناسبةَ وفقَ

---

(١) الشاهد لمنذر بن درهم الكلبي في " ابن السيرافي ، والخزانة ٢٧٧/١ ، والدرر ١٦٣/٢ ، " معجم حداد رقم الشاهد (١٧١٤) .

(٢) (الأعراف: ١٦٤)

(٣) الكتاب ٣١٩/١-٣٢١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قواعدِها وأصولِها المستعملةِ في كلامِها والقائمةِ في أذهانِها[1]

فلا شك أن العربيَ كان يدرك أن : الأسد ، بالنصب للتحذير من خلالِ القرينةِ الإعرابيةِ التي جَعَلَها المتكلمُ في آخرِ الكلمة ، فمعنى التحذيرِ جاء من الفتحةِ في آخرِ الكلمةِ ، ولذا فإنه حين يسمعُ هذه الجملةَ يتوقعُ أن يحتاطَ من الخطرِ الداهم الذي حُذِّرَ منه . كما يُدْرِكُ أن المتكلمَ حين قال له : الأسدُ بالرفع ، أراد أن يخبره بأن هذا الجسم المتمثل أمامه يطلق عليه اسم أسد . وذلك دون أن يقدر الفعل " احذر " في الجملة الأولى ، ولا مبتدأ في الجملة الثانية .

وليس صحيحاً ما ذهب إليه إبراهيم مصطفى من (.... إن التقدير في هذه الأمثلة ليس لتكملة نظرية العامل ، وإنما هو في أكثرِها ليتحصلَ المعنى ، فمثلاً " إياك والأسدَ " تقديرُهُ ضروريٌ للمعنى لأن إياك ضميرٌ يَدُلُ وضعاً على المخاطَبِ المُفْرَدِ المُذَكَرِ ، والأسدُ يدل وضعاً على ذلك الحيوانِ المفترس ، وليس فيهما دلالةٌ على المعاني التركيبية ، فلا يُفْهَمُ منهما المعنى التركيبي وهو تحذيرُه من الأسد إلا بتقديرِ لفظِ " احذر واحذر " يرتبطان بهما ارتباطاً على جهةِ الوقوعِ عليهما ، ولولا هذا لما دلَّ التركيبُ على معنى ، فالمعنى إذن هو الذي اقتضى هذا التقدير . "[2]

" وهذه مغالطة فإن تقدير: أُحذرك وأُحذر الأسد ، ليس إلا عبارةً موضحةً لقول العربِ (إياك والأسدَ) . ولولا ان هذا التركيبَ الأخيرَ يفيد في ذاته معنى تركيبياً دون الحاجة الى تقديرِ لما استطعنا أن نفهَمَهُ ، ولا أن نُقَدِّرَ له هذا المعنى . فالذي حدث أننا فهمنا معنى التركيب ، ثم أتينا بعبارة موضحةٍ له على سبيلِ التقريب .

وقد قدروا زياداتٍ في التركيب تُعَدُّ من اللغوِ الذي لا طائلَ تحتَه ، وتعمل على تشويه التركيب ، وانما دفعهم إلى تقديرها رغبتهم في إخضاع الكلام لنظرية العامل والمباديء والتي وضعوها لها .... اذن ينبغي أن نفرق بين أنواع من التقديرات : تقديرِ عبارةٍ موضحةٍ

---

(1) انظر: الإيضاح في علل النحو ص ٦٦ .

(2) النحو الجديد ، عبد المتعال الصعيدي ص ٦٣ ، ٦٤ ، نقلا عن إحياء النحو لابراهيم مصطفى .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لتركيبٍ ما ، وهذا لا ينبغي أن يلتزم به المُعْرِبُ ، لأن الجملةَ المقدرةَ تُعَدُّ بمثابةِ جملةٍ أخرى غيرِ التركيب الأصلي يُقْصَدُ بها توضيحُه ، وتقديرٍ يعملُ على تشويهِ التركيبِ ومَسْخِه وهذا نرفضُه وكذلك نرفض نظريةَ العامل التي دفعت إليه ، .... "(١)

وقد أشار ابن الحاجبِ إلى أهميةِ الحركةِ الإعرابيةِ وأنها الأصلُ في الإعراب لأنها علاماتٌ المعنى لا بأثرٍ من عملِ عاملٍ ، يقول معترضاً على قولِ النحاة بأن العاملَ في المبتدأ هو الابتداء ، وهو تجريدُ الاسم عن العوامل : " واعترض بأن التجريدَ أمرٌ عدمي فلا يُؤَثِّرُ ، وأجيبُ بأن العواملَ في كلامِ العربِ علاماتٌ في الحقيقة لا مؤثراتٌ والعَدَمُ المخصوصُ أعني عدمُ الشيء المعَينِ يَصِحُّ أن يكون علامةً لشيءٍ لخصوصيتِه . "(٢)

وعلى الرُّغْمِ من إدراكِ النحاةِ أن تَغَيُّرَ الإعرابِ إنما يكون بتغيرِ المعاني إلا أنهم لم يستطيعوا إلا أن يجعلوا ذلك بأثرٍ من مؤثر .

يقول ابن يعيش : " الإعرابُ هو الإبانةُ عن المعنى باختلافِ أواخرِ الكلم لتعاقبِ العواملِ في أولِها "(٣)

ويقول ابن السراجِ في الإعراب : " أَنْ يتعاقبَ آخرُ الكلمةِ حركاتٌ ثلاث ، ضمٌ وفتحٌ وكسرٌ ، أو حركتان منهما فقط ، أو حركتان وسكون باختلاف العوامل ، فإذا زال العامل زالت الحركةُ أو السكون "(٤)

" ونقول لابن السراج وللسيوطي الذي يقول : " .... هو أثرٌ ظاهرٌ أو مقدرٌ يجلبُه

---

(١) المدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) الكافية في النحو ، ابن الحاجب ٨٧/١ .

(٣) شرح المفصل ٧٢/١

(٤) الموجز في النحو ، السراج ، ص ٢٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العاملُ في محل الإعراب "(١)، وللأشموني الذي يقول : " الإعراب هو ما جيء به لبيان مقتضى العامل من حركةٍ أو حرفٍ أو سكون أو حذف "(٢) لهؤلاء نقول : إن الحركةَ الإعرابية ، شأنُها شأنُ أي فونيم في الكلمة ، له قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النفس من معنى فيكون تغييرها محققاً لما في نفس المتكلم من معنى يريد الإبانة والإفصاح عنه (هذا فيما نسميه بالحركةِ الإعرابيةِ التي لا تأتي اقتضاءً لعنصر تحويلٍ جديدٍ ، عنصرِ زيادةٍ ، كما ذكرنا سابقاً) ، فإذا قال المتكلم ، مثلا : الأسدُ (بالضمة) ، فإن السامعَ يدركُ أنه قد أراد نقلَ خبرٍ ليس غير ، ولكنه إن قال : الأسدَ (بالفتحة) فإن المعنى يتغيرُ إلى معنى التحذيرِ الذي هو في ذهنِ المتكلم ويريدُ أن يُفْصِحَ عنه ، ولا يستطيعُ تغيير أيِ فونيمٍ في الكلمة غيرِ هذا الفونيم ، فإنه إن غَيَّرَ فونيماً آخر في الكلمة تغيرت الصورةُ الذهنية التي ترتبط بها الكلمة بسبب – كما ذكرنا – فلا سبيل إذاً إلى التغيير إلا في فونيم الحركة الذي يؤدي إلى صورة ذهنيةٍ جديدةٍ ولكنها تتصل بالأولى بسبب ، فما كان التغييرُ في الحركة إلا نتيجةً للتغييرِ في المعنى ، يقولُ ابن جني :" ولما كانت معاني المُسَمَّيْنَ مختلفةً كان الإعرابُ الدالُ عليها مختلفاً أيضاً "(٣)، وليست الحركةُ نتيجةً لأثرِ عامل كما يرى جمهور النحاة .... فكان من نتائج الإسراف في البحث عن العاملِ وأثرِه أن أخذ النحاة يُبحثون عن مبررٍ لكلِ حركةٍ إعرابيةٍ على أواخرِ الكلمِ في الجمل ، وانصرفوا عن المعنى والبحثِ فيه انصرافاً كبيراً في حين كان عليهم أن ينظروا إلى الحركةِ الإعرابيةِ على أنها رمزٌ لتغيرٍ في المعنى وليست بأثر – كما ذكرنا – لأن المتكلمَ عندها إنما يقصد أن يوصلَ إلى السامعَ معنى بعينه ، فإن شاء أن يغير هذا المعنى غيرَ الحركةَ ، يقول الزجاجي " إن الاسماءَ لما كانت تعوزها المعاني فتكونُ فاعلةً ومفعولةً ومضافاً

---

(١) الهمع ٢/٤٢

(٢) شرح الأشموني . ت : محي الدين عبد الحميد ١/١٩

(٣) الخصائص ١/٣٧ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إليها . ولم يكن في صورِها وأبنيتِها أدلةٌ على هذه المعاني ... وليَتَّسِعوا في كلامِهم ويُقَدِّموا الفاعلَ إن أرادوا ذلك أو المفعولَ عندَ الحاجة إلى تقديمِه ، وتكونَ الحركاتُ دالةً على المعاني " (١)

ويقول ابن مضاء : " إن حركاتِ الإعرابِ لم توجدْ لتدلَ على عواملَ معينةٍ وإنما جاءت لتدلَ على معانٍ في نفسِ المتكلم "(٢) وفي هذا كلِهِ ما يشيرُ بجلاءٍ إلى أن الحركةَ الإعرابية - في حالات - لها دورٌ في أهميتِه عن دورِ أي حرف من حروف الكلمة في الوصول إلى المعنى الدلالي للجملة ."(٣)

فالجملة على قراءة النصب داخَلَها عنصرُ تحويلٍ آخرُ غيرُ الحذف ، وهو المغايرة في الحركةِ الإعرابيةِ لتغير الدلالة ، فالجملة كالآتي :

تلازم نمت

... صبرًا جميلاً

م (∅) + خـ (ح)

فالمعنى على قراءة النصب أن يعقوب عليه السلام كان يصبّرُ نفسَه ، ولا يقدَحُ هذا في إيمانه ، فهو إنسانٌ يعتوره ما يعتور الناسَ من جزعٍ وحزنٍ وألمٍ إلا أنه يقاومُ نفسَه ويُحَفِّزُها على سلوكِ مسلكِ الصبرِ ، ويستعين بالله على أن يسير على خطه وأن يجعل صبره جميلاً .

إلا أن المعنى بالرفع أقوى في دلالَتِه على رسوخِ الصبرِ في نفسِه جزءاً من إيمانه واعتقادِه ، ويدل على أنه متمسكٌ به منذُ البداية ولم يَزِلَّ عنه .

وفي القراءتين فائدةٌ جمةٌ تشير إلى أن الإنسان حيالَ ما ينزل به من نوازلَ أحدُ اثنين : إما صابرٌ صبرُه راسخٌ لا يتزعزع ولا يَحيدُ عنه ، فذاك أكثرُ رسوخاً وثباتاً .

---

(١) الايضاح في النحو ص ٦٩

(٢) الرد على النحاة ص ٧٨ .

(٣) في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ١٥٦ - ١٦٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإما متصبرٌ ، أخذتْهُ الصدمةُ ، ثم أفاقَ وتنبّهَ إلى وجوبِ مقاومةِ نوازعِ النفسِ الأمارةِ بالسوءِ، حاثاً إياها على سلوكِ مسلكِ الصبرِ والثباتِ عليهِ بحسنِ التوكلِ على الله . وكلاهما مؤمن ، ذاك أن الأول لم تُزغْهُ الصدمةُ عن الصبر ، والثاني لما أزاغَتْهُ الصدمةُ ذكرَ اللّهَ ورجع إليه ، فكان كمن لا ذنب له لجهادِ نفسه . والله أعلم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- " والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون * أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * " (النحل : ٢٠ ، ٢١)

يقول الفراءُ : " رَفَعْتَه بالاستئناف وإن شئتَ رددتَه إلى أنه خبرٌ للذين فكأنه قال : والذين تدعون من دون الله أمواتٌ . الأمْوات في غير هذا الموضع أنها لا روحَ فيها يعني الأصْنام . ولو كانت نصباً على قولك : يخلقون أمواتاً وعلى وقوع الفعلِ أي ويخلقون أمواتاً ليسوا بأحياء " (١)

أما أن يكون " أمواتٌ " خبرَ " الذين " في الآية السابقة فمردودٌ لأن الآيةَ تمت الفائدةُ فيها بقوله تعالى : " لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . " ثم إن الذين في الآية السابقة فاعل تقدم على فعله ، فالجملة فعلية أصلها بعد أن داخلها عنصر النفي :

تلازم صلة وموصول

لا يخلق الذين يدعون من دون الله شيئاً

∼(ف + فا + مف)

ولما كانت المعضلة تكمن في الفاعلِ تركيباً ودلالة ، والمفعولِ دلالةً وهو " الذين " الذي لعب دوري الفاعلِ والمفعولِ في الوقتِ نفسِه إذ هو فاعلُ الخلقِ المنفي ، ومفعولُ يُدعونَ ، قدّمَه المتكلمُ جل وعز ليلفت نظرهم إلى ضَعْفِ هذا المَدْعُوِّ من دونه ، فالمعضلةُ ليست في نفي الخلقِ عن الذين يدعون من دون الله ، لأن الأصلَ أنهم لا يَخْلُقون ؛ بل في شخصِ المدعوِّ الضعيف فقدم الفاعل

تلازم صلة وموصول

الذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً ⟸

فا +∼(ف) + فا

---

(١) معاني القرآن ٩٨/٢ ، وانظر : البحر المحيط ٤٨٢/٥ ، وإعراب النحاس ٢٠٧/٢ . ولم يعربها الأخفش ، انظر : معاني القرآن ٣٨٢/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الكائنات تُخْلَقُ ، فإن كانت تُخلَقُ فالاولى أن تبحثَ أيُّها العاكفَ لها عمن خَلَقَها بمعنى صَنَعَها ، وقد بني الفعل للمجهول " يُخْلَقون " فلم يحدد الخالق : فهل هو ذلك الذي صنع خامتها الأولى فهو الله ، أم ذاك الذي نحتها وهو الإنسان ! فإن كان الانسان الضعيف خَلَقَها فمن باب أولى أن يُعْبَدَ من خَلَقَهُ وخَلَقَها معه ، فَرَبَطَ الجملة الثانية بالأولى :

وهم يخلقون ⟸

رابط : ∀(ف + فا ∅ +مف)

فالمفعول مؤكد بعنصر توكيد وهو " هم " الضميرُ العائد على الذين .

وعلى هذا فالأرجحُ أن يكون " أمواتٌ " خبرَ مستأنفٍ مبتدؤه محذوفٌ دلّ عليه السياقُ في قوله " وهم يخلقون " . : أي هم أمواتٌ ، يعني الأصنام ، لا أرواحَ فيها بالحياة لا تسمع ولا تبصر ، أي هي جمادات فكيف تعبدونها ، وأنتم أفضلُ منها بالحياة . "(١)

يقول صاحب الميزان : " إشارةٌ إلى فَقْدِ الركنِ الثالثِ من أركانِ الربوبيةِ في أصنامِهم وهو العلم بما يُسِرّون وما يُعْلِنون ، وهو بالغٌ في نفي أصلِ الحياةِ المستلزمِ لنفيِ مطلقِ العلمِ فضلاً عن نوعه الكامل الذي هو العلمُ بما يَسِرونَ وما يُعْلِنون فقال : " أمواتٌ غير أحياءٍ " ، فأثبت الموت أولاً وهو لا يجامعُ الشعورَ ثم أكده بنفي الحياة ثانياً "(٢) ، وكذلك حمل الأخفش " غير أحياء " " على التوكيد (٣) .

فالجملة أموات غير أحياء مستأنفة حذف المبتدأ منها

م ∅ + خـ (نكرة)

وذلك للعلم بالمبتدأ به ، ولصب الاهتمام على الخبر موطن الفائدة ، فهو تقريرٌ في أشدِ صوره بأنهم أمواتٌ ، ثم زادَ في تأكيد حقيقةِ موتِهم بعد أن أثبته لهم بصريح لفظ الموت

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٩٤ .

(٢) الميزان ١٢/٢٢٠ ، ٢٢١

(٣) معاني الأخفش ٢/٢٨٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بأن نفى عنهم الحياة ، فهم لم يكونوا أحياء أصلاً ولن يكونوا مستقبلاً . فالموت فيهم أصيل منذ أول خلقة خلقهم الله عليها .

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل الآيات التالية :

١ - " صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون " (البقرة : ١٨)

٢ - " وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين " (البقرة : ٥٨)

٣ - " وقالوا : كونوا هوداً او نصارى تهتدوا ، قل بل ملةَ إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " . (البقرة : ١٣٥)

٤ - " غفرانَك ربنا وإليك المصير " (البقرة : ٢٨٥)

٥ - " ويقولون : طاعةٌ فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون .... " (النساء : ٨١)

٦ - " ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم .... " (الانبياء : ٢،٣)

٧ - " وجاهدوا في الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملةَ ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل .... " (الحج ٧٨)

٨ - " لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً " . (الأحزاب : ٦٠ ، ٦١)

٩ - " ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغن النذر " (القمر : ٤ ، ٥)

١٠ - " يشربون من كاس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً " (الإنسان : ٥ ، ٦) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١- " ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " (البقرة : ١ ، ٢)

يقول الفراء (١) : " فإنه رفعٌ من وجهين ونصبٌ من وجهين ؛ إذا أردتَ بـ " الكتابِ" أن يكون نعتاً لـ " ذلك " كان الهدى في موضعِ رفعٍ لأنه خبر لـ " ذلك " ؛ كأنك قلت : ذلك هدى لا شكَ فيه . وإن جعلت " لا ريبَ فيه " خبرَهُ رَفَعْتَ أيضاً " هدى " تجعَلُهُ تابعاً لموضعِ " لا ريب فيه " ، كما قال الله عز وجل : " هذا كتابٌ أنزلناهُ مبارك " (الانعام :٩٩ و ١٥٥) كأنه قال : وهذا كتابٌ ، وهذا مبارك ، وهذا من صفته كذا وكذا . وفيه وجه ثالث من الرفع : إن شئت رفعته على الاستئنافِ لتمامِ ما قبلَه ، كما قرأت القراءُ : " الـمـ . تلكَ آياتُ الكتابِ الحكيم . هدىً ورحمة للمحسنين " (لقمان : ١ -٣) بالرفع والنصب . وكقوله في حرف عبد الله : " ألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخٌ " وهي في قراءتنا "شيخاً" فأما النصبُ في أحدِ الوجهين فأن تجعل " الكتابَ " خبراً لـ " ذلك " فتنصبَ " هدى " على القطع ؛ لأن " هدى " نكرةٌ اتصلت بمعرفةٍ قد تم خبرُها فنصبْتَها ، لأن النكرةَ لا تكون دليلاً على معرفة . وإن شئت نصبتَ " هدى " على القطعِ من الهاءِ التي في " فيه " ؛ كأنك قلت : لا شكَ فيه هادياً . "

حمل الفراء " هدى " على قوله تعالى : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك " ولا يجوز حملُ أحداهما على الأخرى لأن الآية الأولى اسمية ، أما الثانية ففعلية .

فأصل الجملة التوليدي في قوله تعالى : " وهذا كتاب أنزلناه مبارك " .

أنزلنا كتاباً مباركاً

تلازم نعت

ف + فا (ض) + مف

---

(١) معاني الفراء ١٢/١ ، ١٣٠ . وانظر الجامع ١٦٠/١ ، مشكل إعراب القرآن ص ٧٤ . ومعاني الزجاج ٦٧/١ - ٧٠ . ولم يذكر الاخفش اي وجه اعرابي فيها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما أراد المتكلم – والله أعلم – العناية بالمفعول قدمه

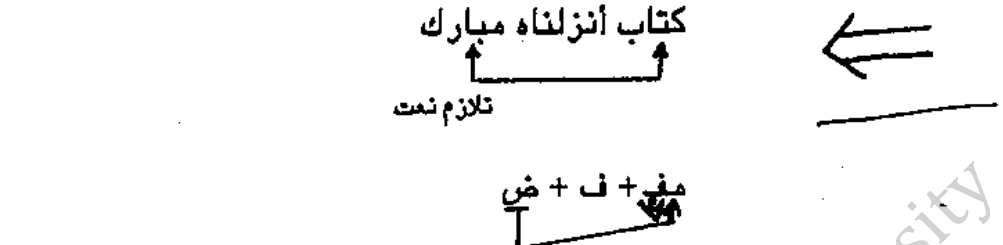

ومن عادةِ العربِ في كلامها إذا قدم موضع الإهتمام وكان مفعولاً أن يأخذَ حركةَ النصب على الأصل ، أو يأخذَ حركةَ الرفعِ إيهاماً بالابتدائيةِ والإسنادِ الذي هو من خصائصِ الجملةِ الاسميةِ وذلك أُدعي لشدِ اهتمام السامع وانتظارِه طرفَ الاسناد الثاني .

ولما كان " مبارك " نعتاً له ، ولا بد للنعت أن يتبع مَنْعوتَهُ في حركَتِه فقد أخذ حركة الرفع .

ولما أراد المتكلم العناية أكثر أدخلَ عنصرَ الاشارة " هذا " و الذي يؤدي دورين في الجملة العربية : دورَ العِمادِ بحيث لا تستغني عنه الجملة ، ودورَ المُخَصِّصِ المؤكِدِ في مَواطنَ أخر .

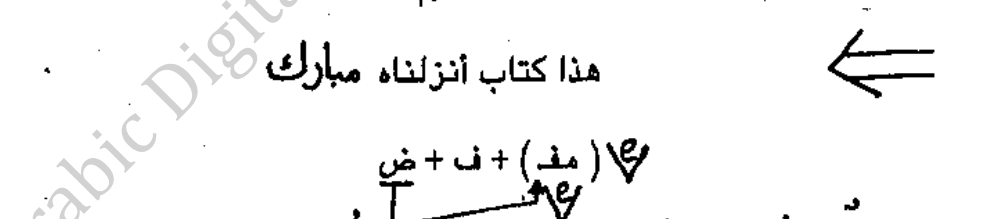

فالجملة فعليةٌ بؤرتُها الفعلُ ، والمفعولُ به فيها مؤكدٌ بالتقديم ، وبدخول عنصرِ التوكيدِ عليه ، فهي جملة فعليةٌ تحويليةٌ مؤكدةٌ بمؤكدين .

فـ " في هدى ستة أوجه : تكون في موضعِ رفعٍ خبراً عن ذلك ، وعلى إضمارِ مبتدأ ، وعلى أن تكون خبراً بعد خبر ، وعلى أن تكون رفعاً بالابتداء . قال أبو اسحق : يكون المعنى : فيه هدىً ولا ريب . فهذا أربعة أوجهٍ في الرفع ، وحكي خامس:وهو أن يكون على موضع "لا ريبَ فيه " أي حقّ هدىً ، ويكون نصباً على الحال من ذلك ، والكوفيون يقولون قطعٌ ، ويكون حالاً من الكتاب وتكون حالاً من الهاء " (١) .

(١)إعراب النحاس ١/١٢٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الزمخشري في هذه الآية الكريمة(١) : (.... ومَحَلُّ هدى للمتقين الرفعُ لأنه خبرُ مبتدأٍ محذوف ، أو خبرٌ مع "لا ريب فيه" لذلك،أو مبتدأٌ إذْ جُعِلَ الظرفُ المقدم خبراً عنه ، ويجوز أن يُنْتَصَبَ على الحالِ والعاملُ فيه معنى الإشارةِ أو الظرفِ ، والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يُضْرَبَ عن هذه الحال صفحاً وأن يقال : إن قوله : " الـم " جملةٌ برأسها أو طائفةٌ من حروفِ المعجمِ مستقلةٌ بنفسها ، و " ذلك الكتابُ " جملةٌ ثانيةٌ ، " ولا ريب فيه " ثالثةٌ ، و"هدى للمتقين " رابعةٌ ، وقد أُصيبَ بترتيبها مَفْصِلُ البلاغةِ وموجِبُ حسنِ النظمِ حيثُ جيء بها متناسقةً هذا من غيرِ حرفِ نسقٍ وذلكَ لمجيئِها متآخيةً آخذاً بعضُها بِعُنُقِ بعضٍ فالثانيةُ متحدةٌ بالأولى معتنقةٌ لها وهلم جراً إلى الثالثةِ والرابعةِ .

بيانُ ذلك أنه نَبَّهَ أولاً على أنه الكلامُ المُتَحَدَّى به ، ثم أشير إليهِ بأنه الكتابُ المنعوتُ بغايةِ الكمال ، فكان تقريراً لجهةِ التحدي وشداً من أعضادِه ، ثم نَفى عنه أن يَتَشَبَّثَ به طَرَفٌ من الريب فكان شهادةً وتسجيلاً بكماله لأنه لا كمالَ أكملُ مما للحق واليقين ، .... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقررَ بذلك كونَهُ يقيناً لا يحومُ الشكُ حولَه ، وحقاً لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ، ولا من خلفِه ، ثم لم تخلُ كلُ واحدةٍ من الأربعِ بعد أن رُتِّبَتْ هذا الترتيبَ الأنيقَ ونُظِمَتْ هذا النظمَ الشريَّ مِنْ نُكْتَةٍ ذاتِ جَزالة ، ففي الأولى الحذفُ والرمزُ إلى الغرضِ بألطفِ وجهٍ وأرشقِه ، وفي الثانية ما في التعريفِ من الفخامة ، وفي الثالثةِ ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعةِ الحذفُ ووضعُ المصدرِ الذي هو " هدى " موضعَ الوصفِ الذي هو هادٍ ، وإيرادُه منكراً والإيجازُ في ذكر المتقين .... " .

أما أبو حيان فيردُ على الزمخشري قائلاً(١) : " .... وقد قَيَّدَ بعضُهُم الريبَ فقال "لا ريبَ فيه" عند المتكلم به وقيل : هو عمومٌ يراد به الخصوصُ أي عند المؤمنين ، وبعضُهُم جعله على حذفِ مضاف،أي لا سبب فيه لوضوحِ آياتِه وإحكامِ معانيهِ وصدقِ أخباره . وهذه التقاديرُ

---

(١) الكشاف ١/١٢١-١٢٣ .

(٢) البحر المحيط ١/٢٧، ٣٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

لا يُحتاج إليها ، واختيارَ الزمخشري أن فيه خبراً وبذلك بنى عليه سؤالاً وهو : إن قال : هَلاّ قُدِّمَ الظرفُ على الريبِ كما قُدِّمَ على القولِ في قولِهِ تعالى : " لا فيها غولٌ " وأجاب بأن التقديمَ يُشْعِرُ بما يَبْعُدُ عن المرادِ وهو أن كتاباً غيرَه فيه الريبُ كما قصد في قوله " لا فيها غول " تفضيلُ خمرِ الجنةِ على خمورِ الدنيا ، بأنها لا تغتالُ العقولَ كما تغتالُها هي كأنه قيل : ليس فيها ما في غيرِها من هذا العيبِ والنقيصةِ ، وقد انتقل الزمخشريُّ من دعوى الاختصاصِ بتقديمِ المفعولِ إلى دعواهُ بتقديمِ الخبر ولا نعلمُ أحداً يُفَرِّقُ بين ليس في الدار رجلٌ ، وليس رجلٌ في الدار ....وأبعدَ من ذهبَ إلى أن قولَه " لا ريب " صيغةُ خبرٍ ومعناهُ النهي عن الرّيب ، وجوزوا في قوله تعالى " هدىً " للمتقين ان يكونَ "هدى" في موضعِ رفعٍ على أنه مبتدأٌ و " فيه " في موضعِ الخبر أو بَعْدَ خبرٍ فتكونُ قد أخبرتَ بالكتابِ عن ذلك وبقوله ، " لا ريب فيه " ثم جاء هذا خبراً ثالثاً أو كان " الكتاب " تابعاً و " هدى " خبرٌ ثانٍ على ما مر في الإعرابِ أو في موضعِ نصبِ حالٍ وبولغَ بجعلِ المصدرِ حالاً وصاحبِ الحالِ اسمَ الإشارة أو الكتابَ والعاملُ فيها على هذين الوجهين معنى الإشارةِ أو الضميرُ "فيهِ" والعاملُ ما في الظرف من الاستقرارِ وهو مُشْكِلٌ لأن الحالَ تقييدٌ فيكونُ انتقالُ الريبِ مقيداً بالحال إذ لا ريبَ فيه " يستقرّ فيه في حال كونِهِ هدىً للمتقين لكن يُزيلُ الإشكالَ أنها حالٌ لازمة ، والأَوْلى جعلُ كلِ جملةٍ مستقلةً " فذلك الكتابُ " جملةٌ " ولا ريب " جملةٌ ، و " فيه هدى للمتقين " جملةٌ لم يحتج إلى حرفِ عطفٍ لأن بعضَها أخذٌ برقابِ بعضٍ فالأُولى أخبرت بأن المشارَ إليه الكتابُ الكاملُ .... والثانيةُ نعتٌ لا يكون شيءٌ ما من ريب ، والثالثةُ أُخبرت أن فيه هدىً للمتقين وإعجاز أما في هدىً أي استمرارُ هدىً لأنّ المتقين مهتدون فصار نظيرَ " اهدنا الصراط " وأما في المتقين أي المشارفين لاكتسابِ التقوى .... " .

ويُرَدُّ رأيُ أبي حيانٍ في أن أحداً لا يفرق بين (ليس رجلٌ في الدار ، وليس في الدار رجلٌ) إذ إن "العرب إذا أرادت العناية بشيء قدمته " . فأصل الجملة :

في الدار رجل

خـ (شبه جملة + م (نكرة)

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهذا النمط يجب فيه تقديمُ الخبرِ شبهِ الجملة على مبتدئِه النكرةِ والخروجُ على هذا النمطِ بتقديمِ المبتدأِ وتأخيرِ الخبرِ يكونُ لغرضٍ جديدٍ في المعنى غيرَ الإخبارِ المحايد .

يقول ابنُ يعيشَ في هذا النمطِ من أنماطِ الجملةِ الاسميةِ والذي يَتَقدّمُ فيها الخبر على المبتدأ " .... انهم استفتحوا الابتداءَ بالنكرةِ في الواجبِ فلما سُمِّجَ ذلك عندهم في اللفظ أخروا المبتدأَ وقدموا الخبرَ وإنما كان تأخيرُه أحسنَ من تقديمِه لأنه وقَعَ موقعَ الخبرِ ومِنْ شرطِ الخبرِ أن يكونَ نكرةً فَصَلُحَ اللفظُ وإن كنا قد أحطنا علماً أنه المبتدأ ، ومن ذلك قولهم : سلامٌ عليك ، وويلٌ له قال الله تعالى:(سلامٌ عليك سأستغفر لك ربي " (مريم: ٤٧) و" ويلٌ للمطففين" (المطففين : ١) ومن ذلك أَمتُ في حجرٍ لا فيك ، فهذه الأسماء كلها إنما جاز الابتداءُ بها لأنها ليستْ أخباراً في المعنى إنما هي دعاءٌ أو مسئلةٌ فهي في معنى الفعل كما لو كانت منصوبةً والتقديرُ : ليسلمِ اللهُ عليك ، ولْيَلْزَمْهُ الويل ، .... " (١)

فقد أدرك ابن يعيش أن تقديمَ المبتدأِ النكرةِ على الخبر (شبهِ الجملةِ) خروجٌ عن الأصلِ وهو تقديمُ الخبر ، و تأخيرُ المبتدأ النكرةِ .

كما أدرك أن هذا الخروجَ كان لغرضٍ في المعنى ، وهو الدعاءُ ، فهو خروجٌ عن معنى الإخبارِ المحايدِ الكامنِ في الجملةِ التوليديةِ إلى معنىً أعمقَ منه هو الدعاء .

غيرَ أنه حَمَلَ الجملةَ على معنى الفعلِ على الرُّغْمِ من أنهُ ليس ثمةَ دليلٌ عليه ، وهو ليس ببؤرةِ الجملة ، إذ الجملةُ قائمةٌ بذاتِها دونَ تقديرِ فعل ، نواتُها المبتدأُ المقدمُ لغرضِ العنايةِ وليس ذلك في الدعاءِ فحسب ، بل للمتكلمِ أن يقدّمَهُ متى شاء معنىً أعمق من مجرد الإخبار ، من دعاء ، وتعجب ، وتوكيد ، وغيرها .

وعليه فإن المتكلمَ لما أراد العنايةَ بالمبتدأ كأن يتعجبُ من وجودِ جنسِ الرجل بخاصةٍ في الدار ، أو يستفهمَ أو يستنكرُ أو غيرَ ذلك من المعاني التي يخرجُ إليها الكلام قَدّمَ المبتدأَ

---

(١) شرح المفصل ٨٧/١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

رجلٌ في الدار

م + خـ

ولما أراد نفي ذلك أدخل عنصر التحويل ليس

⟸ ليس رجل في الدار

ن (م + خـ)

ينتفي عندنا أن تكون " هدى " حالاً أخذاً برأي أبي حيان وجمهورِ النحاة من أن الحال تدل على تحولِ الصفة وعدمِ الثبات ، أما الوصفُ فيدلُ على ملازمةِ الصفةِ للموصوف يقول سيبويـــه(١) : " .... ومثله في أن الوصف أحسن : هذا رجلٌ عاقلٌ لبيبٌ ، لم يجعلْ بينهما في الإجراء على الاسم . والنصبُ فيه جائز على ما ذكرت لك ؛ وإنما ضَعُفَ لأنه لم يُرِدْ أنَّ الأولَ وقعَ وهو في هذه الحال ، ولكنه أراد أنهما فيه ثابتان ، ولم يكن واحدٌ منهما قبلَ صاحبه ، كما تقول : هذا رجل سائرٌ راكباً دابةً . وقد يجوزُ في سِعَةِ الكلامِ على هذا ، ولا يُنْقَضُ المعنى في أنهما شرعٌ سواءٌ فيه . وسترى هذا النحوَ في كلامِهم " .

فقد تأتي الحال وفيها معنى الثبات كما في الأحوال الدالة على الله سبحانه ، لكن المعنى في الآية الكريمة " هدى " لا يحتملُ الحاليةَ ؛ بل هي إلى الإسنادِ أقرب ، فحتى مصطلحُ "حال" يدل على التحولِ و " هدى " لا تدل على آنيةِ وقوعِ الهدى وارتباطها بحالِ وجود المتقين ، بل هو ارتباطُ إسنادٍ وتلازم . فدائماً وأبداً الهدى للمتقين ، بمعنى الذين يجتنبون الوقوع في الحفر ، فهم حِراصٌ على ألا يقعوا وحرصُهم هذا يترتبُ عليه أن يَهْدِيَهُمُ الله سبحانه الى الهدى

ولعل في رأي الزمخشري كثيراً من الالتفاتِ إلى المعنى واقتراباً من الصحة إذ رأى أن " هدى للمتقين " جملةٌ قائمةٌ على حذفِ المبتدأ ، وهذا الحذفُ أورثَها جمالاً وإيجازاً بليغاً من شأنِ العربيةِ أن تميلَ إليه حينَ توجدُ القرينةُ . لكننا لا نتفقُ مع أبي حيانٍ والزمخشري في أنَّ "ذلك الكتابُ" جملةٌ و"لا ريبَ فيه" جملةٌ ثانية ؛ والذي نراه أنهما جملةٌ واحدةٌ قُدِّمَ فيها موضعُ

---

(١) الكتاب ٢/٥١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاهتمام .

فالجملة تبدأ عندنا نحواً وإعراباً من " ذلك الكتاب ... " وحروف الافتتاح لا ينظر إليها في الإعراب أخذاً برأي الزمخشري لأنها رموز لا نملك حلها .

فعلى هذا يكون الأصل التوليدي الذي يعتقده الجاحدون في الكتاب ريب

خـ (شبه جملة) + م (نكرة)

أراد المتكلم العناية بالمبتدأ فقدمه وذلك تمهيداً لتسليط النفي عليه مباشرة

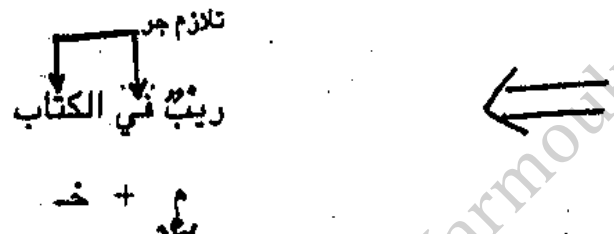

ولما أراد المتكلم نفيَ المعنى أدخلَ عنصرَ النفي على المبتدأ

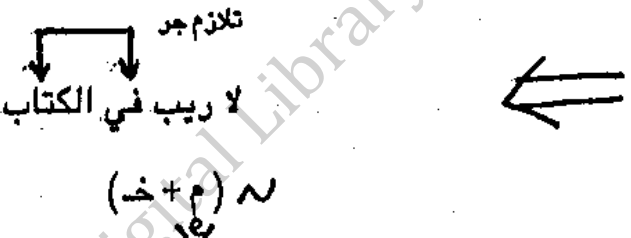

ولما كان تحديد الكتاب يعني المتكلم ويَهُمُّه كما يَهُمُّهُ التركيز على نفي الريب عنه أضاف عنصرَ تعظيمٍ وتخصيصٍ جديد على الجملة

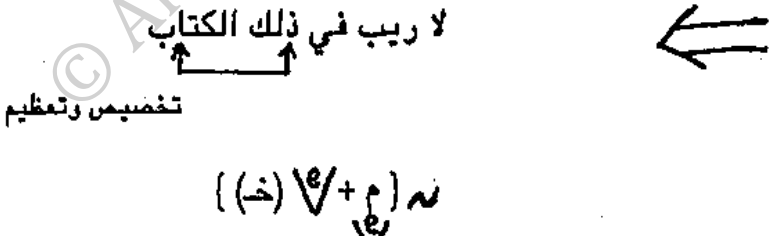

ثم أراد تأكيدَ عظمةِ الكتابِ أكثرَ فقدمَ موضعَ الاهتمام واستعاضَ عنه بضميرٍ يعودُ عليه الرابطُ لغرض تركيبي لا دلالي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

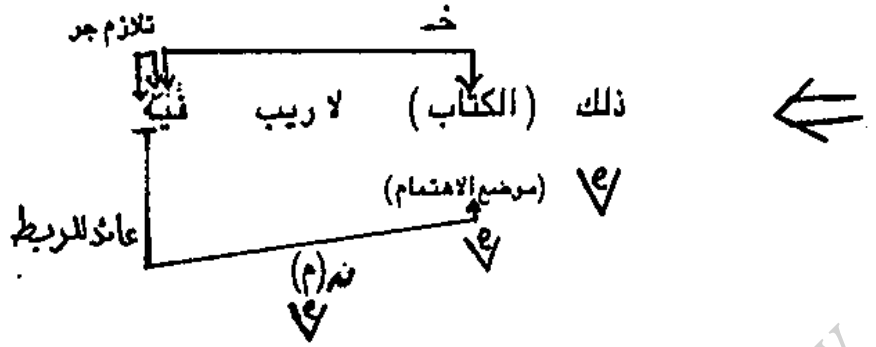

فالجملة اسمية تحويلية منفية بالزيادة ، والمبتدأ فيها مؤكد بالتقديم ، وبعض الخبر (الكتاب) مقدم للعناية ، ومخصص بدخول الإشارة ، فهو مؤكد بمؤكدين ، بالتقديم ، وبالزيادة .

وعلى هذا يستغني الخبر " هدىً للمتقين " عن المسند إليه لتقديمه في موضع الاهتمام ، فالسياق يدل عليه ، والحذف لم يُخِلَّ بالمعنى ، بل زاده جمالاً وخلّصه من زوائد لا أهمية لها في المعنى وقد صلُحَ استغناء المسند عن المسند إليه لدلالة السياق عليه .

يقول ابن السراج(١) : " وقد يَعرِضُ الحذفُ في المبتدأ أو إضمارُه إذا تقدم من ذكره ما يعلمه السامع فمن ذلك أن ترى جماعة يتوقعون الهلال فيقول القائل : الهلالُ والله ، أي : هذا الهلال فيحذف "هذا" ، .... ومثله قوله تعالى : " بشرٍ من ذلكم ؟ النارُ " (الحج : ٧٢)

يقول الجرجاني : " ومن المواضع التي يطرد فيها حذفُ المبتدأ ، " القطعُ والاستئناف " يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعضَ أمرِه ، ثم يَدَعُونَ الكلامَ الأولَ ويستأنفون كلاماً آخر . وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ مثال ذلك قوله :

وعَلِمْتُ أني يوم ذا ... ك منازلٌ كعباً ونهداً

قومٌ إذا لبسوا الحديـ ... ـدَ تَنَمَّروا حَلَقاً وَقِدّا "(٢)

والآية الكريمة " هدى للمتقين " من هذا النمط حُذِفَ المبتدأ فيها للعلم به ودلالة السياق عليه ،

---

(١) الاصول ١/٦٧، ٦٨

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٤٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أن حذف المبتدأ المعلوم ترك فرصة لمحط الفائدة والعناية للظهور .

وتحليل الآية السابق على قراءة من قرأ بالوقف على "فيه "، أما على قراءة من قرأ بالوقف على" ريب" فإن الجملة تتحول كما يلي :

الأصل التوليدي الإخباري الراسخ في ذهن السامع ، والفكرة الأم التي يعتنقها هي :

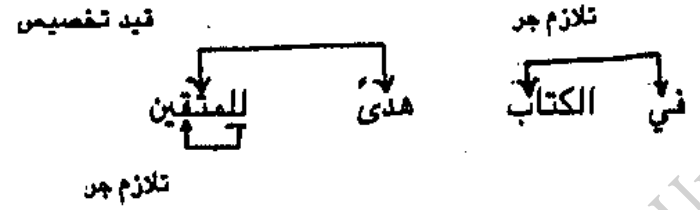

خـ (شبه الجملة) + م (نكرة)

وهي ذاتها الفكرة الأصل التي يريد المتكلم أن يُقرّها حقيقة ، وهي التي يؤمن بها المسلم حقيقة ثابتة ويعتقد بها .

ولما أراد المتكلم إقناع الجاحد بهذه الحقيقة وتكذيب من ادعى ضلال المتقين ، وزيادة الطمأنينة في قلوب المؤمنين وتثبيتهم قدم موضع اهتمامه واهتمام السامع وهو " الكتاب " ليؤكد أنه هو خاصة من الكتب هدى للمتقين دون غيرهم .

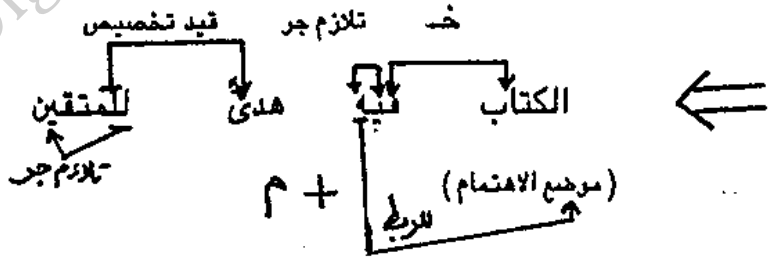

ولما أراد أن يَخُصّ الكتابَ المنزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم ليقطع أدنى شك أو لبس في أي كتاب هو المخصوص بأن فيه هدى للمتقين ، بالإضافة إلى تعظيمه أشار اليه بـ " ذلك " عنصر الإشارة للبعيد ، ليدل على علو قدره ، وبعد مكانه وشرفه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

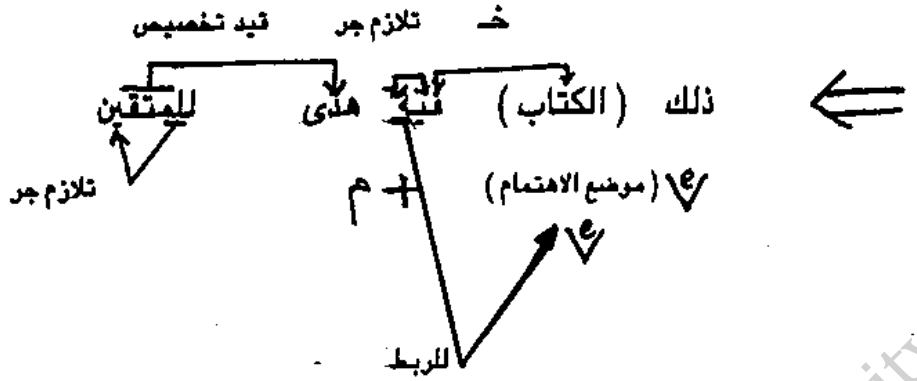

ثم دخلت " لا ريب " جملةً معترضةً لتنفيَ جنسَ أيِ شكٍ في كونِ القرآنِ الكريم فيه هدى للمتقين

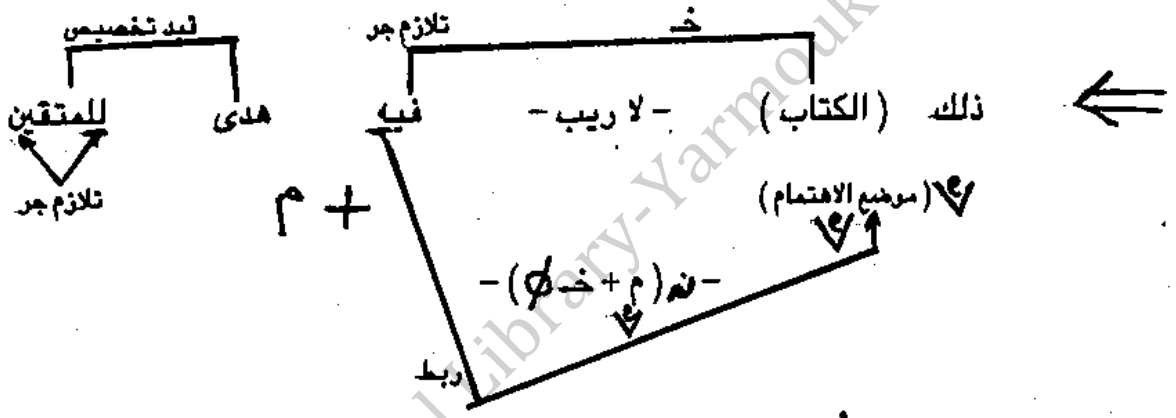

فالجملة اسميةٌ تحويليةٌ بعضُ الخبرِ فيها (الكتاب) مقدمٌ للأهميةِ والتوكيدِ ، ومؤكدٌ أيضاً بزيادة عنصرِ تخصيصٍ وتوكيدٍ وهو الإشارة . والمبتدأ فيها مقيدٌ بقيدِ تخصيص .

وعليه فإن الجملةَ التوليديةَ في القراءتين مختلفةٌ ، بمعنى أنَّ الفكرةَ الأصلَ التي بني الكلام عليها مختلفةٌ .

والقراءةُ الأولى أقوى في دلالتِها من القراءةِ الثانية .

فالأولى تنفي الريبَ بكُلِّيَتِهِ عن الكتابِ نفياً تاماً . وفي الوقت نفسِه تُثْبِتُ أن الكتاب كُلَّه هدى بتنكير " هدى " لتعميمِهِ ، وهو متأتٍ من أن " هدى للمتقين " جملةٌ مستقلةٌ عن "ذلك الكتاب لا ريب فيه" ، ذلك أنها جملةٌ اسميةٌ فيها قوةُ التماسكِ بين طرفي الإسنادِ ومعنى الثبات ، وزادها قوةً حذفُ المبتدأ مما أتاح لمحطِ الفائدةِ الظهورَ والقوةَ .

أما الثانية : فتوحي بأن "هدى المتقين" جزءٌ من محتوى الكتاب ، وليس كلُ الكتابِ هدىً لهم . وقد أدرك الزمخشريُ هذا الفرقَ في الدلالةِ كما أدركَهُ الفخرُ الرازي وبَيَّنَهُ كما بين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أهمية تقديم " ريب " على الضمير إحساساً منه بأن ثمة تقديماً في الجملة .

يقول : " .... فقوله لا شبهة في صحته ولا في كونه من عند الله ، ولا في كونه معجزاً ولو قلت المراد لا ريب في كونه معجزاً على الخصوص كان أقرب لتأكيد هذا التأويل بقوله : (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) (البقرة : ٢٣) .... السؤال الثاني : لم قال ههنا (لا ريب فيه) وفي موضع آخر (لا فيها غول) ؟ الجواب : لأنهم يقدمون الأهم فالأهم ، وههنا الأهم نفي الريب بالكلية عن الكتاب ، ولو قلت : لا فيه ريب لأوهم أن هناك كتاباً آخر حصل الريب فيه لا ها هنا ، كما قصد في قوله (لا فيها غول) تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا ، فإنها لا تغتال العقول كما تغتالها خمرة الدنيا .

السؤال الثالث : من أين يدل قوله (لا ريب فيه) على نفي الريب بالكلية ؟ الجواب : قرأ أبو الشعثاء (لا ريب فيه) بالرفع . واعلم أن القراءة المشهورة توجب ارتفاع الريب بالكلية ، والدليل عليه أن قوله (لا ريب) نفي لماهية الريب ، ونفي الماهية يقتضي نفي كل فرد من أفراد الماهية لتثبت الماهية ، ولهذا السر كان قولنا " لا إله إلا الله " نفياً لجميع الآلهة سوى الله تعالى . وأما قولنا " لا ريب فيه " بالرفع فهو نقيض لقولنا : " ريب فيه " وهو يفيد ثبوت فرد واحد ، فذلك النفي يوجب انتفاء جميع الأفراد ليتحقق التناقض .

(المسألة الثانية) الوقف على (فيه) هو المشهور ، وعن نافع وعاصم أنهما وقفا على (لا ريب) ولا بد للواقف من أن ينوي خبراً ، ونظيره قوله : (قالوا لا ضير) ، وقول العرب : لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز ، والتقدير : (لا ريب فيه . فيه هدى) .واعلم أن القراءة الأولى أولى ؛ لأن على القراءة الأولى يكون الكتاب نفسه هدى ، وفي الثانية لا يكون الكتاب نفسه هدى ؛ بل يكون فيه هدى .

والأول أولى لما تكرر في القرآن من أن القرآن نور وهدى . والله أعلم " (١) .

غير أن لا أهمية لحركة النصب أو الرفع على " ريب " إذ المعنى في الحالين نفي الريب

---

(١) التفسير الكبير ٢/١٨، ١٩

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

بكليته عن الكتاب ، فمن رفع " ريب " تركه على أصله قبل دخول " لا " ومن نصبه فعلى لغة من بنى " ريب " على الفتح اقتضاء لـ" لا " النافيه للجنس .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- " وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " . (الأنفال : ٣٢)

" في (الحق) النصبُ والرفعُ ، إن جعلت (هو) اسماً رفعت "الحقّ" "بهو" وإن جعلتها عماداً بمنزلةِ الصلةِ نصبتَ الحق . وكذلك فافعل في أخواتِ كانَ ، و" ظن " وأخواتها ، كما قال الله تبارك وتعالى (ويرى الذين أوتو العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) تنصب الحق لأن (رأيت)من أخوات ظننت . وكل موضع صَلُحَتْ فيه يَفْعَلُ أو فَعَلَ مكان الفعل المنصوب ففيه العمادُ ونصب الفِعْل . وفيه رفعه " بهو " على أن تجعلهما اسماً ، ولا بد من الألف واللام إذا وجدت إليهما السبيلُ ." (١)

والأخفش يختارُ النصبَ على أن " هو " زيادةٌ على الجملة لغرضِ التوكيد ، وإن كان يجيز الوجهين ، يقول : « فَنَصَبَ "الحق" ؛ لأن " هو " - والله أعلمَ - جُعِلَتْ ها هنا صلةً زائدةً توكيداً كزيادة " ما " ، ولا تزاد إلا في كل فعل لا يستغني عن خبر ، وليست " هو " بصفة لـ" هذا" ؛ لأنك لو قلت : رأيت هذا هو ، لم يكن كلاماً ، ولا تكون هذه المضمرةُ من صفة الظاهرة ، ولكنها تكون من صفة المضمرة ، في نحو قولك : "ولكن كانوا هم الظالمين" (الزخرف :٧٦) و : (تجدوه عند الله هو خيراً وأعظمَ أجراً) (المزمل : ٢٠) ، لأنك تقول : وجدته هو ، و : أناني هو ، فتكون صفة . وقد تكون في هذا المعنى أيضاً غيرَ صفة ، ولكنها تكون زائدةً كما كان في الأول .

وقد يُجْرَى في جميع هذا مجرى الاسم ، فيرفع ما بعده إن كان ما قبله ظاهراً أو مضمراً في لغة لبني تميم ، في قولهم : " ان كان هذا هو الحق : " ، " ولكن كانوا هم الظالمون " ، و : "تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا " ، كما تقول : " كانوا آباؤهم الظالمون .

وإنما جعلوا هذا المضمر ، نحو قولهم " هو وهما وأنت " ، زائداً في هذا المكان ، ولم يُجْعَلْ

---

(١)الفراء١/٤٠٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في مواضعِ الصفة ، لأنه فَضْلٌ أراد أن يبينَ به أنه ليس بصفةٍ لما بعده لما قبله ، ولم يحتج الى هذا الموضع الذي لا يكون له خبر "(١)

اختلف النحاة في إعراب "كان" وخبرِها .فقال البصريون بأنها فعلٌ ناقصٌ والاسم المرفوع بعدها كالفاعل ، والمنصوب كالمفعول ، وقال الكوفيون : (إن المنصوبَ بعدها منصوبٌ على الحال .(٢)

واستناداً إلى تعريف النحاة الحالَ فإنه لا يمكن أن يكون حالاً ؛ لأن الحالَ فضلةٌ وكونه فضلةٌ يعني أن الجملةَ يمكن أن تستغنيَ عنه مع بقائِها جملةً مفيدة (٣) تعطي معنى يحسن السكوت عليه .

فجمَلة : كان هذا هو الحق لا تقاس على:جاء علي راكضاً .

فحذف كلمة " الحق " يهدم الجملةَ كلَّها ، أما حذف " راكضا " فيبقي الجملة على أُصلها .

فحذف الحال في الجملة الثانية لا يوجب تقدير " ∅ " مكانه لأن الحال أصلاً ليست بعمدة لها مركزُها الأصيل في الجملة ؛ بل هي طارىء تحويلي بالزيادة .

- أما الجملة الأولى فلا يجوز أن يوضعَ مكان محذوفها " ∅ " لا لأنه ليس ثمة محذوفٌ ، بل لأن الحذفَ فيها غيرُ جائز أصلاً .

والذي أوقع النحاة في هذا اضطرابهَم في تحديدِ طبيعة " كان " وأخواتِها وشبيهاتِها من الأدواتِ التي تدخلُ على الجملةِ الاسميةِ فتغيرُ إعرابها .

فمذهب الكوفيين " .... أن " كان" وأخواتِها إنما دخلت على الجمل لتدل على الزمان فإذا كان الخبر يعطي الزمان لم يحتج اليها ، ولا ترى أن المفهوم من قام زيد ، ومن كان زيد قائماً

---

(١) معاني الأخفش ٢/٣٢١، ٣٢٢.

(٢) لمزيد من التفصيل: انظر الانصاف (١١٩) ٢/٨٢١

(٣) انظر: شرح المفصل ٢/٥٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

واحداً .... " (١)

وفي هذا إشارةٌ واضحةٌ إلى أنها تدخل على جمل ، فهي ليست عنصراً أساساً في تركيب الجملة النواة ، فالجمل قائمةٌ بدونها ، ودخولها حادثٌ للدلالة على الزمان ، فزيادتها لغرض دلالي وهو الإشارةُ إلى الزمان ومن هنا عد ابنُ السراج "كان" وأخواتها أفعالاً غيرَ حقيقية ، يقول فيها : " أفعالٌ في اللفظ وليست بأفعال حقيقيةٍ ، وإنما تدل على الزمان فقط ، وذلك قولك : كان عبد الله أخاك ، وأصبح عبد الله عاقلاً ، لست تُخْبِرُ عن فعلٍ إنما تخبرُ أن عبدَ الله أخوك فيما مضى وأن الصباح أتى عليه وهو عاقلٌ (٢)

فهي عناصر تزاد لغرض دلالي ، وإن كنا لا نوافقَ صاحبَ التصريح الرأيَ بأن جملة :

قام زيد = كانَ زيد قائماً

وذلك من حيث المعنى المترتبُ على تغيير المبنى وطبيعته . فالأولى إخباريةٌ فعليةٌ ، والثانيةُ تحويليةٌ اسميةٌ ، والأولى تدلُ على أن الحدثَ قد تمَ وربما ظلَّ مستمراً ، أما الثانية فتدلُ على انقضاءِ صورةِ القيام في الماضي ، إلا أننا نوافقُه من حيثُ الدلالةُ على الزمن .

فالمعضلةُ تكمنُ في كونِ " كان " فعلاً أم أداة ؟

لا شك أن قول النحاة بفعليتها لم يكن إيماناً حقيقياً منهم بذلك ؛ بل جاء حكمهم مبنياً على مشابهتِها الفعلَ في التأثيرِ في ما بعدها بتغييرِ حركةِ إعرابه ، فما بعدها مرفوع ، والذي يليه منصوبٌ فكأنها جاءت على نمط الجملة العربية :

ف (متعد) + فا (مرفوع) + مف (منصوب)

كان (؟) + اسم (مرفوع) + اسم (منصوب)

هذا هو التصور الذي كان في أذهان النحاة حين قالوا بفعليةِ كانٌ وأخواتها . ومن هنا سمى

---

(١) التصريح ١/١٨٢

(٢) الأصول ١/٧٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سيبويه اسمَها بالفاعل ، وخبرَها بالمفعول ، فقال : (١)هذا باب الفعل الذي يتعدى اسمُ الفاعل إلى اسم المفعول ، واسمُ الفاعلِ ،والمفعولِ فيه لشيء واحد .

فمن ثم ذُكِرَ على حِدَتِه ولم يُذْكَر مع الأول ، ولا يجوزُ فيه الاقتصارُ على الفاعل ، كما لم يَجُزْ في ظننتُ الاقتصارُ على المفعولِ الأول ، لأن حالَك في الاحتياج إلى الآخر ههنا كحالك في الاحتياج إليه ثمة .... وذلك قولك : كان ويكون وصار .... ، وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عنه الخبر . فنقول : كان عبد الله أخاك ، فإنما أردت أن تخبرَ عن الأُخُوّةِ ، وأدخلت "كانَ" لتجعل ذلك فيما مضى ، وذكرت الأولَ كما ذكرت المفعول في "ظننت" . وإن شئت قلتَ : كان أخاك عبدُ الله فقدمتَ وأخرتَ كما فعلتَ في ذلك في ضَرَبَ ، لأنه فعلٌ مثلُه ، وحالُ التقديم والتأخير فيه كحاله في ضَرَبَ ، إلا أن اسم الفاعلِ والمفعولِ فيه لشيء واحد " .

فلا يجوز الاقتصارُ على الفاعل (اسم كان) كما لا يجوز الاستغناءُ عن مفعول "ظنّ" الثاني ؛ لأن كلاً منهما جزءٌ أساسٌ ، وعنصرٌ ركنٌ من عناصر الجملة الأصل ، ولا شك أن سيبويهِ قد تنبه إلى أن "ظنّ" تدخل على اسمين أصلُهما مبتدأ وخبر ، كما أن "كانَ" تدخل على الجملة الاسمية ، مع اختلاف كل منهما عن الأخرى ، فلأن العرب نصبت الاسمين بعد "ظنّ" اقتضاءً لها قيل فيها : فعل متعد إلى مفعولين ولما أبقت العربُ المبتدأ بعد كان مرفوعاً ونصبت الخبر قالوا : فعل ناقص يرفع الأول وينصب الثاني .

وسيبويهِ مدركٌ عدم جوازِ حذفِ خبرِ "كانَ" ، وذا يعني أنه ليس بفضلةٍ ، لأنه خبرٌ لمبتدأ ، فهو مسندٌ ، والمسندُ لا يستغني عنه المسندُ إليه لأن الفائدة فيه وهو محطها ؛ بل لا يكون كلاماً إذا حذف ، يقول(٢) : " ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك : كان عبد الله منطلقاً ، وليس زيداً منطلق ؛ لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده .

واعلم أن الاسمَ أولَ أحوالِه الابتداءُ وإنما يدخل الناصبُ والرافعُ سوى الابتداءِ والجسارُ

---

(١)الكتاب١/٤٥

(٢)الكتاب١ /٢٣، ٢٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على المبتدأ . ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد دخل عليه هذه الاشياءَ حتى يكونَ غيرَ مبتدأ ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرتُ لك إلا أن تدَعَهُ . وذلك أنك إذا قلت : عبدُ الله منطلق إن شئت أدخلت رأيتُ عليه فقلتَ : رأيت عبد الله منطلقاً ، أو قلتَ : كان عبد الله منطلقاً .... فالمبتدأ أولُ حرفٍ كما كان الواحد أولَ العدد ، والنكرةُ قبلَ المعرفة . "

فالمبتدأ والخبرُ متلازمان تلازمَ الجار والمجرور ، فلا غنىً لأحدهما عن الآخر .

ومن هنا عد ابنُ السراج أفعالَ القلوب أفعالاً غيرَ حقيقية يقول : " ومنها الأفعالُ الداخلةَ على الابتداءِ والخبرِ وانما تُنْبِيء عن الفاعلِ بما هجس في نفسِه أو يقينِهِ غيرِ مؤثرةٍ بمفعول ، ولكن إخبارُ الفاعلِ بما وقع عنده نحو : ظننت زيداً أخاك ، وعلمت زيداً خيرَ الناس " . (١)

ويورد صاحبُ شرحِ التصريح نصاً ندعم به ما ذهبنا إليه رافضاً أن يكون الخبرُ حالاً تشبيهاً بالفاعل وتنصب خبرها اعتماداً على الجملة الأساس يقول (٢): " .... فترفعُ المبتدأ تشبيهاً بالمفعول ويسمى خبرها حقيقة ومفعولَها مجازاً ، لأنها أُشبهتْ الفعلَ التامَ المتعدي لواحدٍ كضَرَبَ زيدٌ عمراً ، هذا مذهبُ البصريين ، وذهبَ جمهورُ الكوفيين إلى أنها لا تعمل في المرفوع شيئاً وإنما هو مرفوع بما كان قبل دخولها وخالفهم الفراء فذهب إلى أنها عملت فيه الرفعَ تشبيهاً بالفاعل واتفقوا على نصبِها الجزءَ الثاني ، ثم اختلفوا فقال الفراء تشبيهاً بالحال لأنها شبيهةٌ بقام ، وقال بقية الكوفيين منصوباً على الحال ، والصحيح مذهبُ البصريين لوروده مضمراً ومعرفةً وجامداً ولكونه لا يستغني عنه ، وليس ذلك شأن الحال .... " .

فقد حُمِلَتْ كانَ على الفعل في الجملة وهذا لا يتفق وطبيعةِ العربية ، ولا يجوز حملُ الجملةِ الاسمية على الفعلية بأي حال ، ورأيُ الفراء حملاً على الفعلية ، وهذا معيارٌ خاطيءٌ من أساسه . ثم حَوَّرَ الكوفيون هذا الرأي فقالوا بحاليته المطلقة .

---

(١) الأصول ١/٧٣

(٢) شرح التصريح ١/١٨٤ . وانظر الهمع ٢/٦٣، ٦٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتذهب الباحثة إلى أنها أدوات دخلت على الجملة الاسمية .

ومن هنا فقد عد بعض المحدثين " كان " عنصر زمان ، وحركة النصب على الخبر حركة اقتضاء لا أثر لها في المعنى وإن كانت مما تقتضيه سلامة المبنى ، وليست كغيرها من الحركات التي هي في ذاتها عنصر تحويل من باب نحوي إلى آخر لغرض دلالي جديد يريده المتكلم ، أغيرٌ معنى الإخبار .(١)

والدليل على أن حركة النصب جاءت حركة اقتضاء لكان ليس غير ما جاء في كتاب الهمع : " جوز الجمهور رفع الاسمين بعد كان ". وأنكره الفراء وردّ بالسماع . قال :

إذا مِتُ كان الناسُ صِنْفان : شامتٌ وآخرُ مُثْنٍ بالذي كُنْتُ أصْنَعُ (٢)

.... وقد اختلفوا في توجيه ذلك فالجمهور على أن في "كان" ضمير الشأن اسمها . والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب على الخبر . ونُقِل عن الكسائي ، أن "كان" ملغاة ولا عمل لها ،ووافقه ابن الطراوة " .(٣)

فهذا دليل سماعي على أن أصل الجملة مبتدأ وخبر ، ثم دخلها عنصر الزمان . والشاهد كما هو واضح منسوب ثقة لا شك فيه ، ولا ضرورة شعرية ، والتأويل بإضمار ضمير شأن فيه من التكلف شيء كثير . وسواء كان خبر " كان " مرفوعاً أو منصوباً فلا تأثير على المعنى . فالحركة حركة اقتضاء ليس غير . ولم يختلّ معنى حدوث الجملة في الزمن الماضي برفع خبر " كان "، ومن هنا يُرَجَّحُ أن الرفع والنصب في هذه الحال ليس سوى اختلاف لهجي ، فبعض القبائل العربية تُدْخِلُ "كان" مع إبقاءِ بناءِ الجملة على ماهو عليه فلا تُغَيِّرُ في الحركةِ الإعرابية وبعضُها ينصبُ الخبرَ . كما هي الحال مع " إن " واختلاف حركة الاقتضاء هذه من رفع إلى نصب جعل النحاة يضطربون في تخريجها من جهة ، ثم تحكمُ القاعدة النحوية التي تمنع أن

---

(١) لمزيد من التفصيل فيما يتعلق بباب الزيادة الذي هو عنصر من عناصر التحويل ، وحركة الاقتضاء انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ص ٩٦ . وفي التحليل اللغوي ص ٤٣ - ٥١ .

(٢) الشاهد للعجير السلولي . انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد : (١٥٠٢)

(٣) الهمع ٢/٦٤، ٦٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعود المضمرُ على مظهر من جهة أخرى .

فإذا كانت حركة " حق " بالرفع جعلوا الضمير " هو " ركناً رئيساً لا تستغني عنه الجملة ، ولا تقوم إلا به ، وإذا كانت حركتها بالنصب فـ (هو) ضمير فصل زائد ، أي ذو وظيفة تركيبية لا قيمة لهفي الدلالة . وذلك لحاجتهم إلى أن يكون " حق " خبراً للمبتدأ الأول .

" فحق " خبر" كان " هو " عند الخليل وسيبويهِ فاصلة . قال أبو جعفر : وسمعت أبا إسحاقَ يفسر معنى فاصلة قال : لأنه إنما جيء بها ليُعْلَمَ أن الخبرَ معرفةٌ أو ما قارب المعرفةَ وأن الحقَ ليس بنعت وأن (كان) ليست بمعنى وقع .

وقال الأخفش : " هو " صلة زائدة كزيادة " ما " وقال الكوفيون "هو " عماد . قال : الأخفش : وبنو تميم يرفعون فيقولون : إن كان هذا هو الحق من عندك . قال أبو جعفر : يكون " هو " ابتداءً و " الحق " خبرَهُ والجملة خبرَ كان "(١)

ولو نُظِر الى رفع خبرٌ كانَ على أنه ظاهرةٌ لغويةٌ مسموعةٌ من قومٍ من العرب الفصحاء ، لما احتاج الأمر إلى احتيال على المعنى من أجل تبرير الحركة ، ولا إلى تقدير فلسفي ، ولا إلى اضطرابٍ بعيدٍ بحيث تكون كلمةٌ عماداً عند قوم لا تستغني عنها الجملة ولا تقوم إلا بها ، وزائدةً في المبنى لا قيمةَ لها في المعنى عند آخرين .

وتسلك الباحثةُ مسلكاً وسطاً فلا ترى أن " هو " عماداً إذ العماد " .... عبارة عما لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به . "(٢)

وفي الوقت نفسه لا نرى أنها زائدة لا قيمة لها في المعنى ، وإنما " هو " عنصر زيادة لغرض في المعنى أراده المتكلمُ وهو التوكيدُ وإن كانت القاعدةُ النحوية " لا يُؤَكَّدُ المظهرُ بالمضمرِ " تمنعُ ذلك ؛ لأن الأصلَ الواقعُ الوصفي للغة ، فالقاعدة لاحقةٌ للغة لا سابقةٌ عليها . ومن

---

(١) اعراب النحاس ٦٧٤/١ ، وانظر الاصول ١٢٥/٢

(٢) الهمع ٣/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هنا فإن الباحثة تميل إلى رأي د . خليل عمايرة من " أن الضمير " هو " توكيد للظاهر " زيد " لأنه هو هو في حقيقة الأمر "(١) وذلك في نحو: زيدٌ هو الظريف .

وقد استشهد د . خليل بقول الرضي(٢) : .... وإنما قلنا : إن الفضل يفيد التأكيد ، لأن المعنى : زيد هو القائم ، زيد نفسه القائم " إلا أن الرضي يعود ليرفض هذا وينقضه خشية من سطوة القاعدة(٣) فيقول متابعاً قوله السابق " لكنه ليس توكيداً ، لأنه يجيء بعد الظاهر ؛ والضمير لا يؤكد به الظاهر "(٤)

ويقول الزركشي : " الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة ، وأصل المحدث عنه كذلك ، والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أن يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق "(٥)

وفي هذا الرأي التفات كبير لربط المبنى والمعنى معاً عند التقعيد .

ويتضح إهمال القدماء المعنى في ضمير العماد وأثره الدلالي في سابقه من بعض الجمل التي مثّل بها ابن السراج لضمير الفصل (٦) منها :

أ - إن زيداً هو الظريف .

ب - إن زيداً لهو الظريف

فهما عنده متساويتان والضمير فيهما مجرد ضمير لا قيمة له ، لكن الأمر ليس كذلك فالجملة الأولى أصلها : زيد ظريف

م + خ

---

(١) في التحليل اللغوي ص ٢٥٩ .

(٢) شرح الكافية ٢/٢٤ .

(٣) في التحليل اللغوي ص ٢٥٩

(٤) شرح الكافية ٢/٢٤

(٥) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي . ت : محمد أبو الفضل وبراهيم ، ٢/٤٨٤

(٦) الأصول ٢/١٢٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زيد الظريف

التعظيم

م + خـ

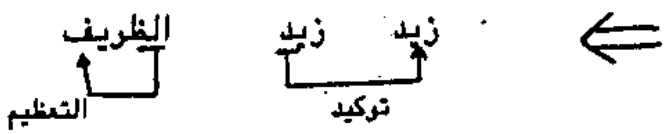

م + خـ

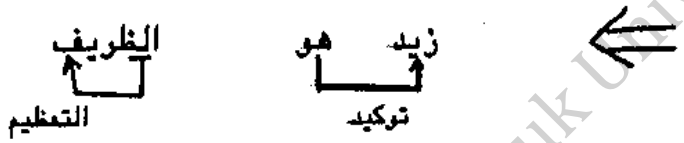

م (∀) + ∀ (خـ)

إن زيداً هو الظريف

∀ [(م (ض)) + ∀ (خـ)]

فالجملة تحويلية اسمية ، المبتدأ فيها مؤكد بمؤكدين : سابقٍ ولاحقٍ . السابقُ مؤكدٌ الجملةَ كلَها، وضميرَ العمادِ مؤكدٌ لاحقٌ للمبتدأ . والخبرَ فيها داخله عنصرُ توكيدٍ يفيد تعظيم محطِ الفائدة .

أما الجملة " ب " فتزيد على الجملة السابقة بعنصر توكيد وتحويل ، فهي أعلى درجة من التوكيد حيث تحولت الى :

∀ [(م ∀ + ∀) + ∀ (خـ)]

فهي جملة تحويلية اسمية مؤكدة كلها بعنصر التوكيد " إن " والمبتدأ مؤكد بمؤكدين لاحقين فهو مؤكد بثلاثة مؤكدات . والخبر بمؤكدين .

إذاً أ ≠ ب

ولعله من أكثر ما يلفت النظر في هذا الباب تفريق القدماء بين ضمير الفصل وضمير التوكيد على أسس تركيبية شكلية على الرغم من أن المتفحص في دلالتهما سرعان ما يكتشف أنهما يؤديان الوظيفة نفسها . وهي توكيد سابق ، وأن الفروق المزعومة ليس لها

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قيمة ، فضمير الفصل يقع بعد الظاهر والمضمر ، فإذا وقع بعد المضمر جاز أن يكون توكيداً ، والتوكيد لا يقع إلا بعد مضمر ، وضمير الفصل لا محل له من الإعراب أما التأكيد والبدل فهو تابع لحركة المُؤَكَّدِ والمُبْدَلِ منه . (١)

" ومن الفرق بين الفصل والتأكيدِ والبدلِ أن لام التأكيد تدخل على الفصل ، ولا تدخل على التأكيد والبدل ، .....ولا يجوز ذلك في التأكيد والبدل لأن اللام تفصل بين التأكيدِ والمُؤَكَّدِ والبدلِ والمُبْدَلِ منه ، وهما من تمام الأوّل في البيان " (٢)

وما يدرى كيف يصح أن تدخل لام التوكيدِ على ضمير الفصل ولا يكون مُؤَكِّداً ، بل هذا دليلٌ على أنه ضميرٌ مُؤَكَّدٌ به ، ودخول لام التأكيد - كما يتضح من اسمها - تؤكده بمعنى أنها تؤكد ذلك الذي يعود عليه الضمير . فما سر هذا التناقض !

يتضح هذا من قول ابنِ يعيشَ متابعاً قوله السابق : " وقد ذهب قوم إلى أنّ " هو " ونحوها من المضمرات لا تكون فصلاً وإنما هي في هذه المواضع وصفٌ وتأكيدٌ . وهي باقية على اسميتها ، وقد بينا فسادَ ذلك بوقوعه بعد الظاهر والمضمر ، ولا يؤكد به الظاهر ، وبدخول لام التأكيد عليه فاعرفه " (٣)

ففساد ذلك ليس إلا للتعارض مع قاعدةٍ غيرِ سليمة . وترى الباحثةُ أنّ ليس من فرقٍ بين ضمير البدل ، و ضمير الفصل ، و ضمير التوكيد ، وإنما هي ضميرٌ واحد ، ضميرٌ التوكيد نظراً إلى وظيفتها الدلالية .

وعلى الرغم من أن النحاة أدركوا أن وظيفة ضمير الفصل هي التوكيد كضمير البدل ، وضمير التوكيد إلا أنهم رفضوا الاعتراف به تركيباً تمسكاً بقاعدتهم النحوية .

ويؤيد هذا ما رآه الزركشي في ضمير الفصل وقد أورده في فصل " أدوات التوكيد " فقال : " الفصل ، وهو من مؤكدات الجملة ، وقد نص سيبويه على أنه يفيد التأكيد ، وقال في

---

(١) شرح المفصل ٣/١١٣

(٢) السابق الموضع نفسه .

(٣) السابق ص ١١٣ ، ١١٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قوله تعالى : " إن ترن أنا أقلَّ منك مالاً وولداً) (١)(أنا) وصف للياء في"ترنِ" يزيد تأكيدا(٢) وهذا صحيح ، لأن المضمرَ يؤكِدُ الضميرَ ، وأما تأكيدُ المظهرِ بالمضمر فلم يعهد ولهذا سماه بعضهم " دعامة " لأنه يُدَعَّمُ به الكلامُ أي يُقَوى ، ولهذا قالوا : لا يجاءِ مع التوكيد ، فلا يقال زيدٌ نفسه هو الفاضل " "(٣).

فعلى الرغم من تحكم القاعدة " لا يؤكد الظاهر بالمضمر " إلا أنه عَدَّ ضمير التوكيد ضميرَ فصل فهما في الأصل واحد ودلالتُهُمَا واحدة وهي التوكيد ، ولم يفرق النحاةُ بينهما بالاسم إلا لمجرد قاعدةٍ شكلية لا أهمية لها .

ولذا ذهب الكوفيون الى أنه ضميرُ توكيدٍ حُكْمُه حُكْمُ ما قبله خلافاً للبصريين الذين تمسكوا بقاعدتهم فقالوا : " إنما قلنا إن حكمَه حكمُ ما قبله لأنه توكيد لما قبله ، فَتَنَزَّلَ منزلة النفس إذا كانت توكيداً ، وكما أنك إذا قلت " جاءني زيد نفسُه " كان"نفسه" تابعاً لزيد في إعرابه ، فكذلك العماد ،إذا قلت " زيد هو العاقل " يجب أن يكون تابعاً في إعرابه " (٤) .

وفي تفسيرِ الزمخشري الآيةَ الكريمة " إن كان هذا هو الحق .... " مايشير الى دورٍ " هو " الدلالي ومن ثَمَّ التركيبي يقول (٥) : وهذا أسلوب من الجحود بليغ (٦) : يعني : إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالتَّجهيل (كما عاقبت) كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ، ومُرادُه نَفْيُ كَونِهِ حقاً ، وإذا انتفى كَونُه حقاً يستوجبُ منكِرُه عذاباً ،فكان . تعليق

---

(١) (الكهف:٣٩)

(٢) جوز سيبويه في هذه الآية أن يكون ضمير فصل وظيفته تركيبية وهي مجرد الفصل ، وأن يكون وظيفته تركيبية دلالية وهي التوكيد . انظر الكتاب ٣٩٢/٢

(٣) البرهان ٤٠٩/٢

(٤) الانصاف في مسائل الخلاف ،ابن الانباري م (١٠٠) ٧٠٦/٢

(٥) الكشاف ١٥٥/٢

(٦) وانظر البحر المحيط ٤٨٨/٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

العذاب بكونه حقاً مع اعتقاده أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك : إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة ، وقوله - هو الحق - تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق " .

فالكفار يرفضون الخبرَ في أقصى درجات توكيده ، فهم جاحدون إلى أقصى درجة بحيث لا تَسِعُ لغةُ داعيهم مجالاً أكثرَ من هذا الحد في الإقناع بالتوكيد المخلِص لهم ومن هنا كان أسلوباً من الجحود بليغاً ، بالإضافة إلى الدعاءِ على أنفسهم بوبال ذلك .

ومن هنا فإن الداعي أول ما دعاهم قال وهو يتوقع منهم التصديق كما يتوقع منهم التكذيب ،

هذا حق

(م) معرفة + خـ (نكرة)

ثم أراد تعظيمَ موطنِ الاهتمام ومحطِ الفائدة في نفوسهم فأدخل أداة التعريف لتفيدَ توكيدَ محطِ الفائدة

⇐ هذا الحق

ثم أراد التوكيد أكثر (م) + ﻷ (خـ)

⇐ هذا هو الحق .

م (ﻷ) + ﻷ (خـ)

أي : لا حق غيره

لكن السامعَ (الكافر) ربط هذا الخبر بأقصى صورِه توكيداً ، بِحَدَقِه وهو

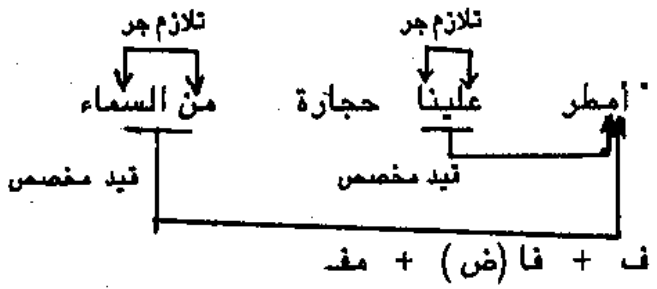

فقد خصوا أنفسهم بوقوع الحدث عليهم ، وخصوا الحدثَ بأقصى درجةٍ من الرهبة والرعب

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهو أن تمطر السماءُ عليهم حجارةً فلا يكونَ لهم منها ملجأٌ ، وبدل أن تمطرَ الحياةُ والغيثَ تُمْطِرُ الدمارَ والموتَ ، فكان أقصى درجةً من العذاب يمكن أن تتصور .

ولما أراد درجةً عاليةً من الجحود ، هي أقصى درجة منه ، تربط بين مضمون الجملة الأولى ، والثانية ؛ إذ إن الجملة الفعلية الفعل فيها مترتب على ثبوت معنى الجملة الاسمية .

⟸ إن كان هذا هو الحق فـ أمطر علينا حجارة من السماء .

عنصر شرط [عنصر ربط (م (ﷺ) + ﷺ (خـ)) عنصر ربط (ف + فا (ض) + مف)

وعلى الرغم من تجويز النحاة رفعَ الحق ونصبَه إلا أن صاحبَ الكشفِ لم يذكر خلافاً بين القراء ، وكذلك ابن الجزري (١) ، مما يشير الى أن القراءةَ بالرفع ليست من القراءات التي يعتد بها .

وعلى أي حال ، فإن كونها غيرَ موثوقٍ بها لا يمنع من أنها ظاهرةٌ لغويةٌ موجودة . فقد قال النحاةُ والمفسرونَ بجواز الرفعِ لغوياً ، إلا أن هذا لا يعني أن القراءة بها صحيحةٌ ما لم تكن مرويةً موثوقة .

يقول العكبري : " القراءة المشهورة بالنصب و " هو " ها هنا فصل . ويُقرأُ بالرفع على أن " هو " مبتدأ ، و " الحق " خبرُه ، والجملةُ خبرُ كان " . (٢)

يقول الزجاج : " القراءةُ على نصبِ " الحق " على خبر " كان " ودخلت " هو " للفصل ، .... واعلم أن " هو " لا موضع لها في قولنا ، وأنها بمنزلة " ما " المؤكِدة ، ودخلت لِيُعْلَمَ أن الحقَ ليس بصفة لهذا أو أنه خبر ، ويجوز هو الحق من عندك ولا أعلم أحداً قرأ بها . ولا اختلافَ بين النحويين في إجازتهما ولكن القراءةَ سنةٌ لا يُقْرَأُ فيها إلا بقراءة مروية " (٣)

---

(١) انظر : الكشف ٤٩١/١ ، والنشر ٢٧٦/٢ . كما لم يذكر ابن جني في " المحتسب " قراءة خلاف ما عليه الجمهور ، وكذلك في مختصر ابن خالويه .

(٢) التبيان ٦٢٢/٢

(٣) معاني الزجاج ٤١١/٢ ، وانظر : الجامع ٢٩٨/٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما (كـان) فـي هـذهِ الآيةِ فِهـي مجردة مـن الدلالةِ الزمنـيةِ ، فلم تأت لتدُلَّ علـى أن مضمونَ الجملةِ حادثٌ في الزمن الماضي . وإنما رابطٌ اقتضاهُ المبنى ، وظيفتها تركيبية دخلت على الجملة اقتضاء لدخول أداة الشرط على الجملة الاسمية فالجملة بدون " كان " :

إن هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء

جملة غير تركيبياً ، فدخولُ "كانَ" عليها ضرورة اقتضتها سلامة المبنى ، وذاك للربط بين عنصر الشرط ، والمشروط .

وقد قال النحاة بعدم جواز دخولِ أداةِ الشرطِ على الاسم حتى وإن كان في الجملةِ فعل . واختلفوا في ذلك ؛ فذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدمَ الاسمُ المرفوعَ بعد "إن" الشرطية فهو مرفوع بما عاد عليه من الفعل من غير تقدير فعل .

في حين ذهب البصريون إلى أنه يرتفعُ بتقديرِ فعل ، يفسرُهُ الفعل المظهر ، وذاك في الاسم المرفوع بعد " إنْ " خاصةً دونَ غيرِها من أدواتِ الشرط معللين بأنها أقوى منهن لأنها أم الباب . وعدوا الشواهدَ الشعريةَ على غيرها من الأدوات ضرورةً شعريةً ، ضعيفٌ في مطلقِ الكلام . في حين ذهب الأخفشُ إلى أنه يرتفع بالابتداء . (١)

فالبصريون قدروا فعلاً يفسره المذكور على الرغم من أن الأصلَ عندَهُم حين يتقدم الفاعلُ على فِعْلِه أن تُعَدَّ تلك الجملةُ اسميةً ، الفاعلُ المقدمُ فيها مبتدأٌ خبرُهُ الجملةُ الفعلية . وهذه هي الحالةُ الوحيدةُ التي يَنْظُرُ فيها البصريون إلى الجملةِ التي تَقَدَّمَ فاعِلُها على فِعْلِها على أنها فعلية متجاوزين قاعدة أصيلة من قواعدهم لتعارضها مع قاعدة أخرى وهي : أن أداة الشرط تختص بالدخول على الأفعالِ دونَ الأسماءِ بمعنى أنها يجب أن يليها فعل وإذا تأخر فإنهم يقدرون فعلاً يعود عليه في محاولة للتهرب من الأخذ برأي نحاةِ الكوفة والذي هو أقرب إلى وصفِ اللغة وواقِعِها في هذا الموضع ، محافظين في الوقت نفسه على رأيهم في أن الاختصاص شرطٍ أساسٍ للعمل .

---

(١) انظر : الانصاف مسألة (٨٥) ٢/٦١٥ ؛ إلا أن الاخفش في كتابه " معاني القرآن " يرجع رفعه على تقدير فعل مضمر ٢/٢٢٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن هنا أخذ البصريون على الأخفشِ حفاظَه على قاعدتِهم الأصلِ في تقديمِ الفاعلِ على فعله حين قال بأنه مبتدأ . وقد رد ابنُ الانباري عليه بقوله إنه رأي " .... فاسد وذلك لأن حرفَ الشرط يقتضي الفعل ، ويختص به دون غيره ، ولهذا كان عاملاً فيه ، وإذا كان مقتضياً للفعل لا بد له من تقدير الابتداء ، ..... "(١)

ففي الوقت الذي يُعْرِبُ الكوفيون " أحد " فاعلاً ، " واستجارك " فِعْلَه في قوله تعالى : "وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره " (التوبة : ٦) يعرب البصريون فعلَ الشرط بعد " إن " مباشرة محذوفاً يفسره المذكورَ مقدرين ما يستغني عنه المبنى والمعنى معاً . فيكون التقدير :

إن استجارك أحد من المشركين استجارك فأجره

ولا يخفى ما في هذا التقدير من بُعْدٍ أخرج النصَ القرآني عن غايتِهِ وجماليَتِهِ ، وذلك بأن أصبحتْ الجملةُ مؤكِدَةً ما لم يرد المتكلم – جل وعلا – توكيدَه بتكرار الفعلِ " استجارك " ، في حين أَهْمَلَتْ ما أراد توكيدَهُ والعنايةَ به ، وهو الفاعل " أحد من المشركين " ، فالعرب اذا أردت العناية بشيء قدمته .(٢)

يقول الفخر الرازي :(٣) " أحد " مرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر وتقديره : وإن استجارك أحد ، ولا يجوز أن يرتفع بالابتداء لأن " إنْ " من عوامل الفعل لا يدخل على غيره .

فإن قيل : لما كان التقدير ما ذكرتم فما الحكمة في ترك هذا الترتيب الحقيقي ؟

قلنا : الحكمة فيه ما ذكره سيبويه ، وهم أنهم يقدمون الأهم والذي هم بشأنه أعنى . وقد بينا ههنا أن ظاهرَ الدليل يقتضي إباحةَ دم المشركين ، فقدم ذكره ليدل ذلك على مزيد من العناية

---

(١) الانصاف مسالة (٨٥) ٢/٦٢٠

(٢) انظر : البحر المحيط ١/٤٢ ، والكتاب ١/٣٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن ١/٤٢١ – ٤٢٣ ، ومعاني الزجاج ٢/٤٢١ ، ٤٢٢ ، ومشكل إعراب القرآن ص ١٠٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٨/٧٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بصونِ دمهِ على الإهدار ، ..."(١)

وليس هذا فحسب ، بل إنهم بتحريمهم أن يلي اسمٌ أداةَ شرطٍ غيرَ " إنْ " يَسُدون باباً من أبوابِ البلاغةِ والفصاحةِ يَسْلُكُه المتكلمُ من أجل معنى عميقٍ في نفسِهِ أعمقَ من مجردِ الإخبار، على الرغم من وجودِ شواهدَ قرآنيةٍ ، وشواهدَ شعريةٍ هم أنفسُهُم ناقضوا أنفسَهُم بها حين عارضوا " من ذهب من الكوفيين إلى أن الاسم بعد " إذا " مرفوعٌ لأنه مبتدأ إما بالترافع أو بالابتداء في نحو قوله تعالى : " إذا السماءُ انشقت " (الانشقاق : ١) لأن إذا فيها معنى الشرط ، والشرطُ يُقتضي الفعلَ ، فلا يجوز أن يُحْمَلَ على غيرِه " (٢)

مما سبق يستخلص ما يلي :

١ - إن أداة الشرط تدخل على الجملة الفعلية المحولةِ بالترتيب ، وذاك بتقديم الفاعل على فعلِ الشرطِ كما تدخلُ على الجملةِ الفعليةِ في صورتِها التوليديةِ دونَ حاجةٍ إلى رابط .

٢ - إن أداةَ الشرطِ تدخلُ على الجملة الاسمية بشرط دخول عنصر يربط بينها وبين الجملة ، هذا الرابط هو " كان " المجردة من الدلالة الزمنية ، والتي تدخل على الجملة لغرض تركيبي فحسب .

٣ - إن القولَ بالاختصاصِ وارتباطِه بفكرة العملِ والمعمولِ يفضي إلى فلسفة لا طائل من ورائها تتناقض وواقعَ اللغة .

وعلى هذا يحلل قوله تعالى " وإن كان رجل يورث كلالةً أو إمرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس .... " (النساء : ١٢)

---

(١) التفسير الكبير ١٥/٢٢٧

(٢) الانصاف مسألة (٨٥) ٢/٦٢٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

زيادة عنصر تصيير في الجملة الاسمية

" وجعلوا لله شركاءَ الجنَ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون " (الانعام : ١٠)

" هذا ذكر نوع آخر من جهالاتهم ، أي فيهم من اعتقد شركاء من الجن . قال النحاس : " الجن " مفعول أول ، و" شركاء " مفعول ثان ، مثل " وجعلكم ملوكاً " (المائدة : ٢٠) . " وجعلت له مالاً ممدوداً " (المدثر : ١٢) وهو في القرآن الكريم كثير . والتقدير وجعلوا لله الجن شركاء ويجوز أن يكون " الجن " بدلاً من شركاء والمفعول الثاني " لله " (١)

أما الأخفش فيأخذ بالوجه الثاني فهو منصوب " على البدل ، كما قال : " إلى صراط مستقيم صراط الله " (الشورى : ٥٢ ، ٥٣) .... " (٢)

يقول أبو حيان رادا الوجهَ الثاني من الإعراب ذاكرًا أوجهاً أخر " .... وأجاز الحوفي (٣) وأبو البقاء فيه أن تكون(الجن) بدلاً من شركاءَ " لله " في موضعِ المفعولِ الثاني وشركاء هو المفعول الاول(٤) ، وما أجازه لا يجوز لأنه يصير للبدل أن يحل محل المبدل منه(٥) فيكون الكلام مُنْتَظِماً ، لو قلت : وجعلوا لله الجن،لم يصح وشرطُ البدل أن يكون على نية تكرار العامل على أشهر القولين أو معمولاً للعامل في المبدل منه على قول . وهذا لا يصح هنا البتة ، كما ذكرنا ، وأجاز أبو البقاء أن يكونَ لله شركاءَ حالاً وكان لو تأخر للشركاء ، وأحسن مما أعربوه ماسمعت من أستاذنا العلامة أبي جعفر إبراهيم بن الزبير الثقفي يقول فيه : قال :

---

(١) إعراب النحاس ١/٥٧٠ وانظر الجامع لاحكام القرآن ٦/٥٢ ، والميزان ٧/٢٩٠ ، ومعاني القراء ١/٣٤٨ .

(٢) معاني الاخفش ٢/٢٨٢

(٣) هو علي بن ابراهيم الحوفي ، نسبة الى ضيعة حوف مصر . إمام عالم بالنحو والتفسير له مصنفات مفيدة ، عاش بعد الاربعمائة للهجرة ، وتوفي سنة ٤٣٣ هـ . (انظر اشارة التعيين ص٢٠٦ ، ٢٠٧ ، وانباه الرواة ٢/٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٤) انظر : المقتضب ٤/٢١١ ، ٢٩٥ ، والتفسير الكبير ١٣/١١٤

(٥) انظر التبيان ١/٥٢٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

انتصب الجنُ على إضمار فعلٍ جوابِ سؤالٍ مقدرٍ كأنه قيل : من جعلوا لله شركاء قيل : الجن أي جعلوا

ويؤيد هذا المعنى قراءةُ أبي حيوةَ ، ويزيدُ بنُ قطيب ، الجنُ بالرفع(١) على تقديرِهم "الجنُ" جواباً لمن قال : من الذي جعلوه شريكاً فقيل له : هم الجن ويكون ذلك على سبيل الاستعظامِ لما فعلوه والانتقاصِ لمن جعلوه شريكاً لله . وقرأ شعيبُ بنُ أبي حمزةَ "الجنِ" بخفض النون ورويت هذه عن أبي حيوةَ وابنِ قطيب أيضاً . قال الزمخشري (٢) وقري ء على الإضافة التي للتبيين والمعنى أشركوهم في عبادتِه لأنهم أطاعوهم كما يُطاع الله . انتهى . ولا يتضح معنى هذه القراءة إذ التقدير : وجعلوا شركاءَ الجنَ لله وهذا معنىً لا يظهر والضمير في وَخَلَقَهُم عائد على الجاعلين إذ هم المُحدَّثُ عنهم وهي جملةٌ حالية أي وقد خلقهم وانفرد بإيجادهم دون من اتُخِذَ شريكاً له وهم الجن فجعلوا من لم يخلقهم شريكاً لخالقهم وهذه غاية الجهالة . وقيل الضمير يعود على الجن أي والله خلق من اتخذوه شريكاً له فهم متساوون في أن الجاعل والمجعولَ مخلوقون لله فكيف يناسب أن يُجْعَلَ بعضُ المخلوق شريكاً لله تعالى ! " (٣)

أما أن يكون الجن بدلاً من شركاء فليس بمقبول لعدم توافر شرط البدل الرئيسي وهو أن يحل محل المبدل منه . وقد كفانا أبو حيان مؤونه إيضاح ذلك .

- كما لا يسوغُ أن يكون " شركاء " مفعولاً أولاً ، "والجن" مفعولاً ثانياً ، لأن الأصل في أفعال المقاربة والشروع وشبيهاتها ومنها أفعالُ الصيرورة أن تدخلَ على جملةٍ أصلها مبتدأ وخبر .

يقول ابن الحاجب " .... واستَعْمِل أيضاً الأفعال التي للشروع في الفعل استعمال "كان" وهي : طَفِقَ ، وأخذَ ، وانشأ وأقبل ، وقَرُبَ ، وعَلِقَ ، وهَبَّ ، وجَعَل ،وكانت بذلك أولى من "كاد" وأخواتها وكان أصل استعمالها أن يقال : طفق زيد في الفعل ، وأخذ في الفعل ، وجعل من

---

(١) لم ترد القراءة بالرفع او الجر في "النشر" ولا في "الكشف" فهي ليست مما قرأ الجمهور ،كما لم ترد في المحتسب ،ومختصر ابن خالويه.

(٢) انظر : الكشاف ٢/٤٠ .

(٣) البحر المحيط ٤/ ١٩٣ / ١٩٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قوله تعالى " وجعل الظلمات والنور " (الانعام : ١) أي أوجد وكذا أنشأ الفعل ، وأقبل على الفعل .... " (١)

ونأخذ بقوله فيما يتعلق بقوة الإسناد بين المبتدأ والخبرِ اللذين تدل عليهما "جعل" إلا أننا لا نوافقه القياس على أن (جعل) في " جعل الظلمات والنور " بمعنى أوجد ، إذ (جعل) بهذا المعنى فعلٌ لازم أُصيلٌ في تركيب الجملة ، فهو نواتها الذي لا غنى لها عنه . أما " جعل " التي هي مناطُ حديثنا فدخيلٌ على الجملة الأصل ، لِتدلَ على تحولِ المعنى في الجملة الإخبارية ، فتدلَ على الصيرورة من حال إلى حال ، فالمفعول الثاني عنصرٌ أساس في الجملة الأصل لأنه أحدُ طرفي الإسناد الذي لا تقوم الجملة بدونه .

يقول العكبري : (وجعلوا) : هي بمعنى صيروا ، ومفعولها الأول " الجن " ، والثاني " شركاء " (٢)

– أما لو أُخِذَ بالرأي القائل : إن شركاء مفعول به أول ، والجن مفعول ثان لكان يفترض أن أصل الجملة :

قيد مخصص

شركاء لله الجن

م + خـ

وهذه جملة ترفضها العربية الفصيحة إذ " الابتداء انما هو خبر ، وأحسنه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يبتديء بالأعرف ، وهو أصل الكلام " (٣)

يقول ابنَ السراج : " .... فإذا اجتمع اسمان معرفة ونكرة ، فحق المعرفة أن تكون هي المبتدأ وأن تكون النكرةُ الخبر ، لأنك إذا ابتدأت فإنما قصدك تنبيهُ السامع بذكر الاسم

---

(١) الكافية في النحو ٢/٣٠٥

(٢) التبيان ١/٥٣٦

(٣) الكتاب ١/٣٢٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذي تحدثه عنه ليتوقع الخبر بعده ، فالخبر هو الذي ينكره ولا يعرفه ويستفيده ، والاسم لا فائدة له لمعرفته به ، وإنما نكرته لتسند إليه الخبر ، .... "(١)

- أما أن يكون " شركاء " حالاً فليس بمقبول لأن " .... الحال فضلة ... جاءت بعد مضي الجملة " (٢) ، وهذا يعني أن حذفَهُ من الجملة لا يَهْدِمُها تركيبياً ، بمعنى أنها تبقى تحمل معنى أدنى يَحْسُنَ السكوتَ عليه ، لكن حذف " شركاء " يهدم الجملة تماماً فتفقد وظيفتها في حمل معنى أدنى يحسن السكوت عليه مما يدل على أن شركاء ركنٌ أساسٌ في الجملة التوليدية لا تستغني عنه .

فالجملة بحذف شركاء تصبح : وجعلوا الجن

وهذا تركيب لا يتسق مع سنن العرب في كلامها ، ولو نظر إليه على أنه جملة لالتبست "جعل" التي للصيرورة بـ"جعل " الفعل بمعنى : أوجد وخلق . مما يغير دلالة الجملة كلياً .

فـ" شركاء " ركن رئيس في الجملة الأصل ، وهو خبر ، وورود مقدماً لغرض التوكيد والعناية . يقول الزمخشري ملتفتاً إلى دلالة تقديم المفعول الثاني على الأول : " .... فإن قلت : فما فائدة التقديم ؟ قلت : فائدته استعظامُ أن يُتخذَ لله شريكٌ مَنْ كانَ مَلَكاً أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك ، ولذلك قُدِّمَ اسم الله على الشركاء "(٣)

وقد أدرك النحاة كما أدرك المفسرون أن هذين المفعولين في أصلهما مبتدأ وخبر إلا أنهما حُمِلا على المفعولية لحركة النصب عليهما ، ولشبه عناصر الصيرورة وما شابهها بالفعل من حيث البناءُ .

ومما يحسب لشيخ النحاة سيبويه في باب المعنى تفريقُه بين الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين

---

(١) الاصول ١/٦٠ .

(٢) شرح المفصل ٢/٥٥ .

(٣) الكشاف ٢/٤٠ . وانظر التفسير الكبير ١٣/١١٤ ، والبحر المحيط ٤/١٩٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يجوز الاقتصار على أحدهما (١) ، والمفعولين اللذين لا يمكن أن يستغني المتكلم بأحدهما عن الآخر . يقول " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر وذلك قولك : حسب عبدُالله زيداً بكراً ، وظن عمرو خالداً أباك ، وخال عبد الله زيداً أخاك . ومثل ذلك : رأى عبد الله زيداً صاحبنا ، ووجد عبد الله زيداً ذا الحفاظ . وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين ههنا أنك إنما أردتَ أن تبين ما استقرّ عندك من حال المفعول الأول ، يقيناً كان أو شكاً ، وذكرتَ الاول لتعلم الذي تضيف اليه ما استقر عندك (من هو) فإنما ذكرت ظننت ونحوه لتجعل خبر المفعول الأول يقيناً أو شكاً ، ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك أو تقيمَ عليه اليقين. "(٢)

فجملة : حسب عبد الله زيداً بكراً

أصلهما : زيدٌ بكرٌ

م + خ

إذ هذه الفكرةُ الأساسُ المستقرةُ في ذهن عبد الله ، وحين اتضح أن الامر لم يكن كذلك ، فزيد ليس هذا الاسمَ الذي يُطْلَقُ على ذاك الجسم والذي يطلق عليه اسم " بكر " وعبد الله لا يعرف هذا فظن أن اسمَ "زيدٌ" علم على ذاك الذي اتضح له فيما بعد أنه جسم لعَلَمٍ غيرِ "زيدٌ".

فاعلية

حسب عبدُ الله زيداً بكراً

عنصر شك (م + خـ)

أما حركتـا النصب على المبتدأ فهما حركتا اقتضاء تركيبي ودلالي ، إذ تفرقان بين من وقع الظن في نفسه ، ومن كان موضع ظن أو شك .

وحيث إن الظنَ وقع في الماضي فقد أصبحت صورة زيد تنطبق مع اسمه ، كما أصبح اسم بكر ينطبق مع صورته .وكذلك الأمر فيما يتعلق بعناصر اليقين .

---

(١) الكتاب ١/٣٧ .

(٢) الكتاب ١/٣٩، ٤٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقول ابن السراج " .... هذا الصنف من الأفعال التي تنفذ منك إلى غيرك ولا يكون من الأفعال المؤثرة ، وإنما هي أفعال تدخل على المبتدأ والخبر فتجعلُ الخبر يقيناً أو شكاً .... وكذلك إذا قلت : علمتُ زيداً قائماً ، فالمُخَاطَبُ إنما استفاد قيامَ زيد لا زيداً لأنه يعرف زيداً كما تعرفه أنت ، والمخاطَبُ والمخاطِبُ في المفعول الأول سواء ، وإنما الفائدة في المفعول الثاني كما كان في المبتدأ والخبر والفائدة في الخبر ، والمفعولُ الأول هو الذي كان مبتدأ ، والمفعول الثاني هو الذي كان الخبرَ بقي موضعَ الفائدة على حاله "(١) .

فالجملة لا تستغني بأي حال عن أحد عنصريها الرئيسين ، وإمكانيةُ الحذف فيهما غيرُ واردة بتاتاً إلا بقرينة سياقية سابقة على عكس ما في أفعال المنحِ والعطاءِ ، والتسميةِ إذ من الممكن حذف أحد المفعولين مع إبقاءِ الجملةِ عربيةً فصيحةً تؤدي معنى ، ويحصل بها فائدة .

يقول سيبويه : " هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين ، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول ، وإن شئت تعدى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول .

وذلك قولك : أعطى عبدالله زيداً درهماً ، وكسوت بشراً الثياب الجياد . ومن ذلك اخترتُ الرجالَ عبدَالله ، ومثل قوله عز وجل : " واختار موسى قومَهُ سبعينَ رجلاً " (الأعراف : ١٥٥) ، وسميتُه زيداً ، وكنّيتُ زيداً أبا عبد الله ، .... "(٢)

فجملةَ : كسوت بشراً الثيابَ الجيادَ ، توليديةٌ فعليةٌ نواتُها الفعل " كسا " وبشراً ، والثياب مفعولان أصيلان في الجملة فهي على نمط :

ف + فا + مف١ + مف٢

وهي جملة تقبل دخول عنصر الحذف التحويلي

كسوت بشراً

ف + فا + مف١ + مف∅

---

(١) الأصول ١/ ١٨٠، ١٨١ .

(١) الكتاب ١/ ٣٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالسامع يفهم من كلام المتكلم أنه كسا بشراً ، لكنه لا يعرف ما نوع هذه الكسوة ، أو كميَّتَها أو مواصفاتِها إلى غير ذلك . فحين أراد المتكلمُ إطلاقَ الفعل وإقرارَه وإخبارَه بصدور الفعل عنه ، وكَتَمَ المفعول الثاني لغرضٍ في ذاته حذفه .

إلا أننا لا نرى أن " اختار " تقع ضمن هذا الباب ، ولا يُدرى كيف أعرب سيبويه " قومه " في الآية الكريمة منصوباً على نزع الخافض ، وهو كما يقرر النحاةُ أنفسَهم أنه من ضرورات الشعر وقليلٌ شاذ ، لا يجوز في مطلقِ الكلام العادي .(١)

فكيف جاز لهم ذلك في كتاب الله ؟!

والرأي عندنا أن " قومه " مفعولٌ به أصيل في الجملة ، و " اختار " في الآية الكريمة فعلٌ متعدٍ بذاته ، وليس بفعل لازم متعدٍ بحرف جر .

فالجملة الأصل : اختار موسى قومه

ف + فا + مف

فقومه في الجملة بمعنى رجالَه وأصفياؤه ، ورهطه . وهم من وقع عليهم اختيارُه . ثم أراد تبيينَ عدتهم فأبدل من قومه

بدل تمييز

اختار موسى قومه سبعين رجلاً

ف + فا + مف

ومثله قوله تعالى : " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى " (طـه : ١٣)

وفي هذا دليل لا يقبل الشك على أن " اختار " فعلٌ متعدٍ في ذاته وليس على تقدير خافض منزوع .

بل إن في تقديرِ النحاةِ الخافضَ مؤيدٌ لما ذهبنا إليه فعلى تقديرهم تكون الجملة

---

(١) أنظر : شرح المفصل ٨/٨ ، وشرح ابن عقيل ٥٣٨/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

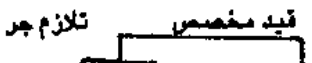

اختار موسى سبعين رجلاً من قومه

ف + فا + مف

فـ" سبعين رجلاً" هو المفعول به ، و"من قومه" يكون قيداً مخصصاً ليس غير .

وبناء على ما سبق فإن " جعل " من عناصر الصيرورة التي تدخل على جملة مكونة من مسندٍ ومسندٍ إليه ، مبتدأ وخبر ، لا غنى لأحدهما عن الآخر ، وهي مما عده ابن السراج من من الأفعال غير المؤثرة أي غير الحقيقية .

فعلى هذا يكون أصل الجملةِ الخبريِ التوليديِ في الآية الكريمة :

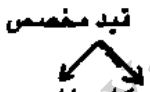

الجن شركاء لله

م (معرفة) + خـ(نكرة)

هذه هي الفكرةُ الخاطئةُ الأساسَ التي استقرت في أذهان المشركين وتأصلت فيها .

ولما أراد الله سبحانه إبطال ادعائهم بَيَّنَ أن ذاك ليس بحقيقة مسلم بها كما يدّعون ، وإنما هم الذين جعلوهم شركاء الله ، والواقع نقيض ذلك أي أن الله لم يتخذ له من الجن شركاء .

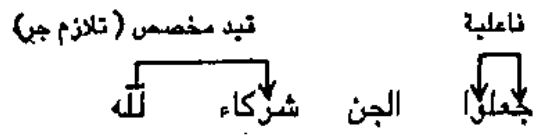

جعلوا الجن شركاء لله

عنصر تصيير (م + خـ)

لكن الله – جل وعلا – لم يُرِدْ أَن يُفَنِّدَ فكرتَهُم الكافرةَ هذه فحسب ، والتي تشير إلى أن الجن وحدهم دون غيرهم من المخلوقات المعبودة شريكة لله ، بل أراد أن يفند أي اعتقاد بوجود أي شريكٍ له من أي جنس كان . فالعلة ليست في نوع الشريك وجنسِه ، بل في الاعتقاد بوجود شريك . فَقَدَّم القيدَ المخصصَ والذي هو موضعُ الاهتمام وهو لفظُ الجلالة ، كما قَدَّم الخبر " شركاء "

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

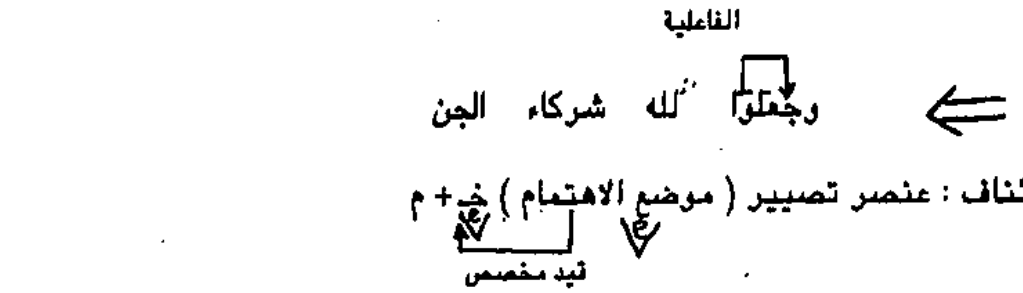

والترتيبَ من الفنون التي يأخذ بها الفصحاءُ وأصحابُ البيان في الأساليب ، وأولئك الذين يجيدون التصرفَ في القول ، ووضَعَهُ الموضعَ الذي يقتضيه المعنى (١).

ففي الآية الكريمة تقريعٌ لأولئك المشركين من ناحيتين : أنهم جعلوا لله ' وهو الغني عن العالمين ، وهو الذي ليس كمثله شيء شركاء . ثم في أن تكون هذه الشركاءُ الضعافُ مهما كانت قوية معينةً لله - سبحانه وتعالى - على تصريف شؤونه ، فمن باب أولى أن يكونوا أكثرَ سخفاً حين يخصون الجن معه في الشرك .

فالله وحده دون غيره لا تجوز بحقِه فكرةَ الشركة ، فكيف إذا كانت هذه الشركة مع بعضٍ ممن خلق !

وفي ضوء ما سبق يحلل قوله تعالى :

١- ' وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون '
(البقرة : ١٢٥)

٢- ' وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله مَن الثمرات .... '
(البقرة : ١٢٦)

---

(١) انظر : دلائل الإعجاز ص ٩٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون " (الأعراف : ٨)

" إن شئت رفعت (الوزن) بالحق ، وهو وجه الكلام . وإن شئت رفعت (الوزن) بيومئذ ، كأنك قلت : الوزن في يوم القيامة حقاً ، فتنصب (الحق) وإن كانت فيه ألف ولام ؛ كما قال : " فالحقَ والحقَ أقول " (ص : ٨٤) الأولى منصوبة بغير (أقول) والثانية بأقول "(١)

" والوزن يومئذ الحق " ابتداء وخبر . ويجوز أن يكون " الحقُ " نعته ، والخبر " يومئذ " ويجوز نصب " الحق " على المصدر "(٢)

والذي تراه الباحثة وفقاً لرأي سيبويه في أن المبتدأ ما صلح لأن يبنى عليه ، والخبر ما كانت فيه الفائدة أن (الوزن) مبتدأ ، (الحقُ)خبره إذ لا فائدة في قوله : الوزن يومئذ ؛ لأن غرضَ المتكلِم ليس الإخبارَ فقط بأن هناك وزناً ، بل بأن ذلك الوزنَ حقٌ عدلٌ لا شك فيه ، ثم لو أن المتكلم – جل وعز – وهو أعلم – أراد أن يكون " الحق " من نعت " الوزن " لما فصل بينه وبين منعوته .

وكذلك يَبطُل رأيُ من جوز " أن يكون مرفوعاً؛ لأنه بدل من المضمر المرفوع في الظرف الذي وقع خبراً للمبتدأ ، ولا يجوز تقديمه على الظرف لأن البدل لا يجوز أن يتقدم على المبدل منه (٣) .

ذلك أن البدل لتفسير وتبيين شيء سابق مذكور ، فكيف يكون إيضاحاً وتفسيراً لشيءلم يذكر أصلاً ، وليس في الجملة دليل على أن المتكلم نَواهُ سوى تقديراتِ النحاةِ التي ترفضُها اللغة نفسها .

---

(١) معاني الفراء ٣٧٣/١ ، ولم يعربها الاخفش، أنظر : معاني القران ٢٩٣/٢

(٢) الجامع ٦٤/٧ ، وانظر : إعراب النحاس ٦٠٠/١ ، والميزان ١٢/٨ ، والكشاف ٦٧/٢ ، والبحر المحيط ٢٧٠/٤ ، ٢٧١ والبيان ٣٥٤/١، ٣٥٥

(٣) البيان ٣٥٤/١، ٣٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما أن التمييز في مثل هذا الموطن يكون فضلة تستغني عنها الجملة مع بقائها جملة " قائمةً ، لكن حذف " الحق " يُخِلّ بمعنى الجملة إذ فيه الفائدة ، " ويومئذ" ليس سوى ظرف زماني تقع فيه هذه الفائدة .

ولما أراد المتكلم توكيد محط الفائدة وربطه بوزن ذلك اليوم دون غيره ، فكأنه لا حق غيره

الوزن يومئذ الحق ⇐

م + ∨ (خـ)

فهي جملة محولة بزيادة عنصر تخصيص وتوكيد للخبر .

أما في قراءة النصب فإن الجملةَ تبقى اسمية كما هي ولا حاجةَ إلى تقدير ما لا دليل عليه وهو الفعل المحذوف الذي يقدره النحاة في هذه المواطن .

وإنما هو تحويل بعنصر آخر من عناصر التحويل وهو المغايرة في حركة الكلمة من الرفعِ علمِ الإسناد إلى النصب ليدركَ السامعُ أن ثمة معنىً غير الإخبار يريده المتكلم وهو أعمق منه .

الوزن يومئذ الحق

م + ∨ (خـ) ج *

فالخبر في الجملة مؤكد بعنصر توكيد ، وحولت حركته من الضم إلى النصب للعناية والاهتمام وزيادة التخصيص .

---

*رمز التحويل بالحركة الإعرابية .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تقديم الفاعل

" هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . " (آل عمران : ٧)

" والراسخون " : معطوف على اسم الله . والمعنى أنهم يعلمون تأويله أيضاً .

و"يقولون" : في موضع نصب على الحال .

وقيل : "الراسخون" مبتدأ ، و"يقولون" الخبر . والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويله ، بل يؤمنون به " (١)

وجُلّ المفسرين على الوقوف على "إلا الله"، و"الراسخون" على الاستئناف لا على العطف على لفظ الجلالة " الله " ، لما في ذلك من أثر في تغيير المعنى نتيجة فصل الفاعل "الراسخون" عن فعله وجملته مما يجعل الراسخين في العلم مشتركين في العلم بتأويل المتشابه مع الله سبحانه ، كما أن القول بأن الجملة الفعلية " يقولون " حال يجعل في المعنى خللاً فكأنهم مع كونهم راسخين في العلم ينقسمون فريقين : فريقٍ مشترك مع الله في العلم بالتأويل وذلك لا يكون إلا في حال قولهم : آمنا به كلٌ من عند ربنا ، وفريقٍ آخر من الراسخين بالعلم لا يقولون : آمنا به كل من عند ربنا ، وهؤلاء ليسوا بمشتركين معه في العلم بتأويله لعدم انطباق الحال عليهم .

وهذا يسلم إلى التناقض ، إذ كيف يكرمهم الله بتقديم ذكرهم على الفعل ، ومدحهم بالرسوخ في العلم وهم في حالٍ متغيرة ، والأصل أنهم راسخون ثابتون في علمهم . وهذا يستوجب أن يكونوا جميعاً مقرين بأنه كلٌ من عند الله دون تفريق . وعليه فإن القول بأن " يقولون" حال ضعيف .

---

(١) التبيان ٢٣٩/١ . وانظر : البحر المحيط ٢٨٥/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول القرطبي منكراً نصب " يقولون " على الحال ، في ضوء المعنى والمبنى معاً : " والراسخون في العلم يقولون آمنا به " . وروي ذلك عن ابنِ مسعودٍ ، وأبيٍّ بنِ كعب ، وابنِ عباس ، وعائشةَ . وإنما روي عن مجاهد انه نسق " الراسخون " على ما قبله ، وزعم أنهم يعلمونه . واحتج له بعض أهلِ اللغة فقال : معناه : والراسخون في العلم يعلمونه قائلين آمنا ، وزعم أن موضع " يقولون " نصب على الحال . وعامة أهل اللغة يُنْكِرونه ويَسْتَبْعِدونَه ، لأن العرب لا تضمر الفعل والمفعول معاً ، ولا تذكر حالاً إلا مع ظهور الفعل ، فإذا لم يظهر فعل فلا يكون حال ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : عبد الله راكباً ، بمعنى : أقبل عبد الله راكبا ، وإنما يجوز ذلك مع ذكر الفعل كقوله :

عبدالله يتكلم ، يُصْلِحُ بين الناس

فكان " يُصْلِحُ " حالا له ، كقول الشاعر - أنشدنيه أبوعمر قال : أنشد أبو العباس ثعلب :

أَرْسَلْتُ فيها قَطِماً لُكاكا يَقْصُرُ يَمشي ويَطولُ باركا

أي يقصر ماشياً ، فكان قول العامة العلماء مع مساعدة مذاهب النحويين له أولى من قول مجاهدٍ وحدَه ، وأيضا فإنه لا يجوز أن ينفي الله سبحانه شيئاً عن الخلق ويثبته لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك) (١)

وعليه فإن الأرجح أن " الراسخون في العلم يقولون .... " جملةٌ مستأنفةٌ ذاتُ دلالةٍ مستقلةٍ عن سابقتِها ، والواو ليست عاطفةً لاسم " الراسخون " على اسم " الله " . والراسخون ليس بمبتدأٍ خبرُه الجملةُ الفعلية " يقولون " وإنما هو فاعل مقدم للأهمية والعناية ، تعاضده قراءتا أُبَيٍّ ، وعبدِ الله . يقول الفراء : " .... ثم استأنف " الراسخون " فرفعهم بـ " يقولون " لا بإتباعهم إعرابَ لفظِ الجلالة الله. وفي قراءةِ أبي (ويقول الراسخون)(٢) وفي قراءة عبدِالله "

---

(١) الجامع ٤/١٦، ١٧

(٢) وهي ليست مما قرأ الجمهور اذ لم ترد في " الكشف " ولا في " النشر ".

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنّ تأويلهُ إلا عند الله ، والراسخون في العلم يقولون "(١) .

فقراءة أُبي بتأخير الراسخون على الفعل جاء على الأصل التوليدي للجملة التوليدية الفعلية. مما يثبت أن الجملة فعلية في أصلها ، وأن "الراسخون" جاءت لتكون فاعلاً للفعل قدم عليه للأهمية والعناية ، لا معطوفاً على " الله " .

وفي قراءة عبدِ الله أيضاً دليلٌ يعاضد ما ذهبنا إليه من معنى ، إذ يحصر تأويله بالله وحده لا شريك له في ذلك ، ولا يخفى ما في أسلوب الحصر من توكيد الخبر المحصور ، وهو تأويله عند الله بما لا يقبل الشك " إن تأويله إلا عند الله " فهو في الوقت الذي يؤكد فيه ثبات التأويل له ينفيه عن كل من سواه .

يقول الزمخشري مفسرا الآية الكريمة : " أي لا يهتدي إلى تأويله الحقِ الذي يجب أن يحمل عليه إلا اللهَ وعبادهُ الذين رسخوا في العلم : أي لبثوا فيه ، وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ، ومنهم من يقف عل قوله: "إلا الله" ويبتديء" والراسخون في العلم يقولون" ويفسرون المتشابهَ بما استأثر اللهَ بعلمهِ وبمعرفةِ الحكمةِ فيه من آياتِه كعدد الزبانية ونحوه ، والأول هو الوجه ، "ويقولون" كلام مستأنف مُوَضِّحٌ لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه (كل من عند ربنا) أي كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابِهِه ومحكَمِه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامُه ولا يختلف كتابه (وما يذكر إلا أولو الالباب) ، مدح للراسخين بإلقاءِ الذهن وحسنِ التأمل ، .." (٢)

ويقول ابن حيان : " تم الكلام عند قوله " إلا الله " ومعناه أن الله استأثر بعلمه تأويله وهو قولَ ابنِ مسعود وأُبَيّ وابنِ عباس وعائشةَ والحسنِ وعروةَ وعمرَ بنِ عبدِ العزيز ، وأبي

---

(١) معاني الفراء ١/١٩١ . ولم يذكر الاخفش منها إعرابا . انظر معاني الاخفش ١/١٩٣، ١٩٤

(٢) الكشاف ١/٤١٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نهيل الأسدي ، ومالكِ بنِ أنسٍ والكسائي والفراءِ والجلباني والأخفشِ وأبي عبيد .(١)
واختاره الخَطّابي (٢) والفخرُ الرازي ويكون قوله "والراسخون" مبتدأ و"يقولون" خبر عنه .
وقيل "الراسخون" معطوف على "الله" وهم يعلمون تأويله و"يقولون" حال منهم أي قائلين .

وروي هذا عن ابنِ عباسٍ أيضاً ومجاهدٍ والربيعِ بنِ أنسٍ ومحمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ وأكثرِ المتكلمين، ورَجّحَ الأولُ بأن الدليل إذا دل على غيرِ الظاهر عُلِمَ أن المرادَ بعضُ المجازات وليس الترجيحُ لبعضٍ إلا بالأدلة اللفظية وهي ظنية والظنُ لا يكفي في القطعيات ولأن ما قبل الآية يدل على ذمِ طالبِ المتشابه ، ولو كان جائزاً لما ذُمّ بأن طلبَ وقتَ الساعةِ تخصيصَ بعضِ المتشابهاتِ وهو تركٌ للظاهر ولا يجوز، ولأنه مَدَحَ الراسخين في العلم بأنهم قالوا آمنا به ولو كانوا عالمين بتأويل المتشابه على التفصيل لما كانَ في الإيمان به مَدْحٌ ؛لأن مَنْ عَلِمَ شيئاً على التفصيل لا بد أن يؤمنَ به وإنما الراسخون يعلمون بالدليل العقلي أن المراد غيرُ الظاهر ويُفَوِضون تعيينَ المرادِ إلى علمه تعالى ، وقطعوا أنه الحق، ولم يحملهم عدمُ التعيين عن ترك الإيمان ولأنه لو كان الراسخون معطوفاً على "الله" للزم أن يكون "يقولون" خبرَ مبتدإ و تقديره هؤلاء أو هم فيلزم الإضمار أو حال والمتقدم "الله" "والراسخون" فيكون حالاً من الراسخين فقط ، وفيه تركٌ للظاهر ، ولأن قولَه " كلٌ من عند ربنا " يقتضي فائدةً وهو أنهم أمنوا بما عرفوا بتفصيله وما لم يعرفوه ولو كانوا عالمين بالتفصيل في الكل عَري عن الفائدة ولما نقل عن ابن عباس أن تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسيرٍ لا يقع جهلُه وتفسيرٍ تعرفه

---

(١) هو القاسم بن سلام الأزدي بالولاية ، إمام في سائر الفنون ، أخذ القراءة وعن الكسائي ، وعن شجاع بن نصر ، واللغة عن أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيدة والاصمعي والطيزيدي ، وعن ابن الاعرابي ، وغيرهم . له تصانيف كثيرة . مات بمكة سنة ٢٢٤هـ . انظر : اشارة التعيين ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٢) هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب أبو سليمان الخطابي ، من ولد زيد بن الخطاب ، اخي عمر ، رضي الله عنه ، كان حجة صدوقاً ، رحل الى العراق والحجاز وجال خراسان وخرج الى ما وراء النهر ، وتلقه بالقفال الشاشي وغيره . وأخذ الادب عن أبي عمر الزاهد واسماعيل الصفار . والف في فنون . ولد سنة ٣١٩ هـ . ومات سنة ٣٨٨ هـ . انظر : بغية الوعاة ٥٤٦/١ ، ٥٤٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بألسنتها وتفسير يعلَمُه العلماء وتفسيرٍ لا يعلَمُه إلا الله تعالى. وسئل مالك فقال : الاستواء معلومٌ والكيفية مجهولةٌ والإيمانَ به واجبٌ والسؤال عنه بدعة. انتهى ما رَجَحَ به القولُ الأول وفي ذلك نظر. ويؤيد هذا القول قراءة أُبي وابن عباس فيما رواه طاووس عنه "إلا الله" ويقول الراسخون في العلم آمنا به "وقراءة عبد الله" وابتغاءَ تأويله إنّ تأويله عند الله والراسخون في العلم يقولون"، ورَجّحَ ابنٌ فورَك القولَ الثاني وأطنب في ذلك وفي قوله (صلى الله عليه وسلم) لابن عباس: " اللهم فقهه في الدين وعلّمْهُ التأويل" ما يبين ذلك أي عَلّمْهُ معانيَ كتابك ، وكان عُمَرُ إذا وقع مشكل في كتابِ الله يستدعيه ويقول له غُصَّ غُواصُ ويجمع أبناءَ المهاجرين والأنصار يأمرهم بالنظر في معاني الكتاب ، وقال ابن عطية إذا تأملت قربَ الخلاف من الاتفاق وذلك أن الكتابَ مُحْكَمٌ متشابهٌ فالمحكمُ المتضح لمن يفهم كلام العرب من غير نظر. ولا لبس فيه ويستوي فيه الراسخ وغيرُه والمتشابهُ منه ما لا يعلمه إلا الله كأمر الروح و أمادِ المغيباتِ المخبرِ بوقوعها وغيرِ ذلك ولا يسمى راسخاً إلا من يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قدر له ؛ وإلا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس براسخ، فقوله إلا الله مقتضٍ ببديهة العقل أنه تعالى يعلمه على استيفاء نوعيه جميعاً .(١)

وعليه فإن الجملة في صورتها التوليدية

قيد تخصيص

ويقول الراسخون في العلم : آمنا به كل من عند ربنا "كما في قراءة أبي"

استئناف (ف + فا)

ثم أراد الحقُ سبحانه تكريمَ الراسخين في العلم ومدحَهم بثباتِهم على الايمان في حال و أدراكهم للمحكم وفي حال عدم إدراكهم لكثير من المتشابه وتسليمهم بأنه كل من عند الله ، فقد استغنوا بما علموا للإيمان عما لم يعلموه . فكان عقلهم أداة الادراك آية لهم تدفعهم إلى الإيمان بالله في حال قدرتِه على الإدراك إعجاباً بعِظَم خِلْقَتِه ودقةِ صُنْعِه ، وفي حالِ قصورِه عن

---

(١) البحر المحيط ٢/٢٨٤، ٢٨٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإدراك ، لأنه ينبههم إلى محدودية طاقاتِه وقدراتِه حسب ما أراد له صانعُه ، مما يسلم إلى الإيمان بأن الكمال المطلق إنما يكون للذات الإلهية .

فقد أدى النقيضان: الإدراكُ والقصورُ عنه عند الراسخين في العلم الذين وصفوا بأنهم ذووا الألباب لتذكرهم ، إلى نتيجةٍ واحدة هي الإيمان .فَقُدِّمَ موطنُ الصفةِالملازمةِ لهم والتي فيها مدح وذاك في صيغة اسم الفاعل "الراسخون" لتكون صفةُ الرسوخ أكثرَ التصاقاً لهم وثباتا ، للأهمية والعناية بتخصيصهم دون غيرهم من الناس ، بل من العلماء بالوصول إلى هذه الدرجة العالية من اليقين .

" واعلم أن الراسخ في العلم هو الذي عرفَ ذات الله وصفاتِه بالدلائلِ اليقينيةِ القطعيةِ ، وعرفَ أن القرآنَ كلامَ الله تعالى بالدلائل اليقينية ، فإذا رأى شيئاً متشابهاً ، ودل القطعيُ على أن الظاهرَ ليس مرادَ الله تعالى ، علم حينئذ قطعاً أن مراد الله شيءٌ آخر سوى ما دل عليه ظاهرُه ، وأن ذلك المرادَ حق ، ولا يصير كونُ ظاهرِه مردوداً شبهةً في الطعن في صحةِ القرآن . ثم حكى عنهم أيضاً أنهم يقولون (كل من عند ربنا) والمعنى أن كل واحد من المحكم والمتشابه من عند ربنا ، .... " (١)

فالجملة

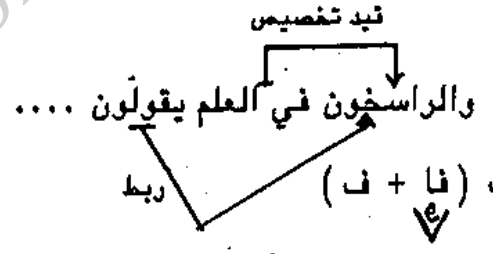

وهذه مسألة خلافية ، فقد جوز الكوفيون أن يتقدم الفاعل على فعله ويبقى فاعلاً له ؛ في حين لا يجيز البصريون ذلك ويعربونه مبتدأً والجملةُ الفعليةُ بعده خبر له . (٢)

وفي رأي البصريين تكلف ، إذ فيه تقديرفاعل للفعل يعود على المبتدأ ، وقد كان أولى أن يكون الفاعل المقدم هو فاعله دون لجوء إلى تقدير فعل ، ثم تقدير جملة فعلية تسد مسد الفاعل

---

(١) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ١٧٨/٧ . وانظر الميزان ٢٨/٣

(٢) انظر ، الانصاف في مسائل الخلاف مسألة (٨٥) ٦١٥/٢-٦١٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدم (المبتدأ عندهم) .

وليتهم كانوا أكثر وصفية وواقعية في إعرابهم الفاعلَ مقدماً كما كانوا في تجويزهم - بلا خلاف - تقديمَ المفعول على فعله .

لكن الذي أوقعهم في هذا التناقض جريُهم وراء المبنى والحركةِ الإعرابيةِ بخاصة ، ففي حال تقدمِ الاسمِ المنصوبِ لا مشكلةَ إذ يُفْتَرَضُ أن يُحْمَلَ على أم باب المنصوبات وهو المفعول

به ، وحيث إن الفعل مذكور فإن عمله يكون أقوى مما لو قُدِّرَ له فعلٌ مضمرٌ يكون مفسراً له ، كما أن لا مشكلةَ أيضا لعدم اجتماع معمولين لعاملٍ واحد كما في حال تقدمِ الفاعل .

- أما حين يتقدم الفاعلُ وهو اسمٌ مرفوع فإنه يلتبس بالمبتدأ ، إذ كلاهما اسم ، وكلاهما مرفوع ، فإذا نُظِرَ إليه على أنه فاعلٌ كان لا بد من اجتماع فاعلين لفعل واحد ، وهذا ما ترفضه قاعدتهم وهي كما في الآية :

والراسخون في العلم يقولون

" الراسخون " واو الجماعة في : يقولون " . ولذلك قالوا بأن الفاعلَ المقدمَ مبتدأٌ على الرغم من إدراكهم أنه الفاعلُ في المعنى ، وواوُ الجماعة عندَهم اسمٌ يكون فاعلاً ليقولون " والجملة الفعلية في محل رفع خبر .

وعلى الرغم من أنهم قالوا بأن " العبرةَ بصدر الأصل "[1] وهي قاعدة جديرة بالاهتمام ، إلا أنها لم تكن موضع التطبيق السليم ، فالأصل عندهم ما ينطقه المتكلم لا الأصلُ الإخباري التوليدي البسيط ، فإذا نُطِقَ الاسمُ مرفوعاً أولَ ما نُطِقَ أُعْرِبَ مبتدأً بغض النظر عما إذا كان في الجملة فعلٌ مؤخر ، أو أنه موضعُ الاهتمام مقدمٌ ليس بمبتدأ أو فاعل أصلاً كما تبين ذلك في موضعٍ سابق من هذا البحث (أ)متجاهلين بهذا المعنى الذي من أجله يصاغُ الكلام ، ويُرَتَّبُ حَسْبَ ترتيبه في النفس ، وما قالوه أنفسُهم من أن " العرب إذا أرادت العنايـــة بشيء

---

(١) الهمع ٣٦/١

(أ) انظر الصفحات ٢٥-٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قدمته " حرصاً على قاعدتهم التي تهتم بالشكل وإن كان على حساب المعنى .

" فنلاحظ أن النحاة لم يعيروا أثرَ الانفعال في العبارة اهتماماً ملحوظاً . بل حصروا نظرتَهم في اللغة المنطقية ، وفي (منطقة) ما يظهر من الأساليب الانفعالية . ما جعلهم فيما نظن - يفرقون بين قولهم قام زيد ، وزيد قام ، تفريقاً أشد من الحقيقة إذ جعلوا الأولى فعلاً وفاعلاً ، والثانية مبتدأ أو خبراً .

ولو عرفوا أن العرب تُقَدِّمَ وتؤخرَ في مثل هذا الترتيبِ للتعبيرِ عن مختلفِ المعاني والمقاصد، وعرفوا أن اللغة تتجه دائماً في ترتيبِ كلماتها في داخل الجملة إلى الاستقرار . فقولهم:قام زيد، هو الترتيبَ المألوفَ عندهم . فلما قالوا : زيدٌ قام فقد أخروا المتقدمَ ، فلا بد أن تكونَ مخالفةَ الترتيبِ المألوفِ عندهم لسبب . وهو - فيما يبدو - أن المتكلم يريد أن يؤكد أن زيداً دون غيره هو الذي اتصف بصفة القيام ، لهذا بدأ بكلمة "زيد" فما أجدر النحاةَ أنْ يُعْرِبوا زيد قام : زيد فاعل مقدم ، وقام فعل مؤخر ، حتى يشعروا بأن الفاعل تقدم عن موضعه لسبب ."(١)

يقول فضل عباس وقد عدّ تقديمَ الفاعلِ من أساليبِ التوكيد " إنما من حيث المعنى ؛ لأن الفاعل كما علمت في النحو لا يتقدم على فعله ، فإذا تقدم على الفعل أعربوه مبتدأً كما تقول " الشمسُ طلعت " والبلاغيون لا يختلفون مع النحويين في هذا الإعراب ، " الشمس" مبتدأ عند الجميع ، الاّ أن البلاغيين لا يرون بأساً من أن يعتبروا أن هذه الجملة قُدِّمَ فيها الفاعل في المعنى الذي هو الشمس ، وانما دلّ ذلك على التأكيد لأن فيه تكريرَ الإسناد ، ألا ترى أن كلمة الشمس هنا ذُكِرَت مرتين ، ذكرتْ أولاً اسماً ظاهراً ، وذكرت ثانياً ضميراً مستتراً "(٢) .

إلاّ أننا لا نوافقه الرأي في أن التوكيد تأتى من وجود فاعل مقدر يعود على السابق ، وانما هو مؤكد لتقدمه لا لوجود عائد مقدر عليه .

يقول شيخ العربية ، الجرجاني مبيناً أثر تقديم الفاعل على فعله في تغيير الدلالة ،

---

(١) المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية ص ٦٣ .

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها . فضل عباس ، ص ٧٩ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وحسب مايقتضيه الحال : (وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقةِ بين تقديمِ ما قُدِّمَ منها وتَركِ تقديمُه ؟ ومن أبين شيء في ذلك الاستفهامُ بالهمزة فإن موضعَ الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضُك من استفهامك أن تعلم وجودَه . واذا قلت : أأنت فعلت ؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : أبنيتَ الدارَ التي كنتَ على أن تبنيَها ؟ أقلتَ الشعرَ الذي كان في نفسك أن تقولَه ؟ أفرغت من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ تبدأ في هذا ونحـــوِه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشكَ فيه ، لأنك في جميع ذلك متردِّدٌ في وجودِ الفعل وانتفائِه مجوِّزٌ أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن . وتقول : أأنت بنيت هذه الدار ؟ أأنت قلت هذا الشعر ؟ أأنت كتبت هذا الكتاب ؟ فتبدأ في ذلك كله بالاسم . ذلك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان ؟ وكيف وقد أشرت إلى الدار مبنية ، والشعر مقولاً والكتاب مكتوباً ؟ وإما شككت في الفاعل من هو . فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ، ولا يشك فيه شاك ، ولا يخفى فساد أحدهما في موضعِ الآخر"(١). وعليه فإن الجملة فعليه تحويلية الفاعل فيها مقدم للعناية والأهمية .

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل الآيات الكريمة التالية :

١- " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ..." (البقرة : ٢٢٨) .

٢- والوالداتُ يرضعن أولادهن حولين كاملين ..." (البقرة : ٢٣٣) .

٣- إذا السماء انفطرت . واذا الكواكب انتشرت " (الانفطار : ١، ٢)

---

(١) دلائل الإعجاز ص١٣٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

توكيد الفاعل بضمير مقدم

" وحسبوا ألا تكون فتنةٌ فعموا وصمّوا ثم تاب عليهم ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم والله بصير بما يعملون " (المائدة :٧١).

" فقد يكون رفع الكثير من جهتين ، إحداهما أن تُكرِّ الفعل عليها ، تريد : عمي وصمّ كثير منهم ، وإن شئت جعلت (عموا وصموا) فعلاً للكثير، كماقال الشاعر(١):

يلومونني في اشترائي النخيـ ـلَ أهلـي فكلهـمُ أَلْـوَمُ

وهذا لمن قال : قاموا قومك . وإن شئت جعلت الكثير مصدراً فقلت : أي ذلك كثيرٌ منهم، وهذا وجه ثالث . ولو نصبت(٢)على هذا المعنى كان صواباً . ومثله قول الشاعر(٣) :

وسوّدَ ماءُ المَرْدِ فَاهاً فَلَوْنُهُ كَلَوْنِ الثُّؤورِ وهي أدماءُ سَارُها

ومثله قول الله تبارك وتعالى : " وأسروا النجوى الذين ظلموا " (الأنبياء :٣) إن شئت جعلت (وأسروا) فعلاً لقوله " لاهيةً قلوبهم وأسروا النجوى " ثمّ تستأنف (الذين) بالرفع . وإن شئت على نعت الناس في قوله " اقترب للناس حسابهم " وإن شئت كانت رفعاً كما يجوز (ذهبوا قومك)(٤).

ونأخذ برأي صاحب التبيان في القول بضعف أن يكون مبتدأً ما قبلَه خبرٌ عنه لما في ذلك من تقدير ما هو مذكور في صيغة الفعل ، فكأنما يصبح في الكلام حشو . يقول : " وقيل هو مبتدأ والجملة قبله خبر عنه ؛ أي كثير منهم عموا . وهو ضعيف ؛ لأن الفعل قد وقع في

---

(١) الشاهد لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٤٨، وعزي لأحيحة بن الجلاح . انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٤٢٢).

(٢) وبه قرأ ابن ابي عبله كما في البحر المحيط ٥٢٤/٣، وهي ليست مما قرأ الجمهور اذ لم ترد في " الكشف " و " النشر" كما لم يرد في " المحتسب" ومختصر ابن خالويه.

(٣) هو أبو ذؤيب الهزلي ، انظر : ديوان الهذليين . ت : عبد الستار احمد فراج . ٧٣/١.

(٤) معاني الفراء ١/ ٢١٦، ٢١٧. وانظر البحر المحيط ٥٢٤/٣، والكشاف ٦٣٤/١، والقرطبي ٢٤٨/٦، والتفسير الكبير ٥٨/١٢. ومعاني الأخفش ٢٦٢/١، ٢٦٣، ومعاني الزجاج ١٩/٢، ١٩٦، والتبيان ٤٥٣/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موضعه فلا ينوى به غيره " (١). كما يضعف أن يكون "كثير" خبر مبتدأ محذوف تقديره " ذلك كثيرٌ منهم " لأن ذلك يعود على العَمى والصَّم ، ولو كان التقديرُ كذلك لكان قيدَ التخصيص " فيهم " لا " منهم" ، "فمنهم " مخصص لكثير ، الذي هو فاعل ، ولو كان ثمة مبتدأ محذوف لوجب أن يكون "منهم " قيدَ تخصيص له ، و " منهم " لا يصلح أن يكون كذلك لا تركيباً ولا دلالة

أما أن تكون على لغة أكلوني البراغيث ، فهي لا شك كذلك سواء خَرَّجَ النحاةُ الواوَ على أنها ضميرٌ له مَحَلٌّ من الإعراب ، أو خَرَّجوه على أنه مجردَ علامةٍ إعرابيةٍ لا محل لها من الإعراب(١) . يقول سيبويه مضعفاً هذه اللغة على الرغم من وجودها ظاهرةً لغويةً في كلام قوم من العرب :" واعلم أن من العرب من يقول : ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ، فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في " قالت فلان" ، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامةً كما جعلوا للمؤنث علامة – وهي قليلة . قال الشاعر ، وهو الفرزدق(٢):

ولكِنَّ دِيَافِيٌّ أبوه وأُمُّـــهُ بِحَوْرانَ يَعْصُرْنَ السَّليطَ أقارِبُه(٣)

وفي الوقت الذي يقول فيه سيبويه أنها " قليلة" يقول ابن يعيش :" وهي لغةٌ فاشيةٌ لبعض العرب كثيرةٌ في كلامِ العرب وأشعارِهم ...." (٤).

إلاّ أن سيبويه وتابَعَهُ النحاةُ في ذلك لم يملك أمام الشواهدِ القرآنية الاّ أن يُخَرِّج واو الفاعَل على أنها ضميرٌ لا مجرد علامة ، والمرفوع بعده بدلٌ منه يقول سيبويه في إعراب " "وأسروا النجوى الذين ظلموا " : " فإنما يجيء على البدل ، وكأنه قال : انطلقوا فقيل له : من ؟ فقال : بنو فلان . فقوله جلّ وعز: وأسروا النجوى الذين ظلموا " على هذا فيما زعم يونس"(٥)

---

(١) التبيان ١/٤٥٢

(٢) لمزيد من التفصيل ، انظر : آراء في الضمير العائد ولغة " أكلوني البراغيث" ص٣٧-٣٩.

(٣) الشاهد للفرزدق في ديوانه ١/٤٦، و ..." معجم حداد، رقم الشاهد (١٦٦).

(٤) الكتاب ٢/٤٠.

(٥) شرح المفصل ٣/٨٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وليس هذا إلا محاولةً للتخلصِ من القول بأن في القرآن لغة مرجوحة ، فالقول بالبدلية تأويل خاص بالشواهد القرآنية ، إذ لا يجوز أن تُعدَّ واوُ الجماعة مجردَ علامة في القرآن وكأنها – معاذ الله – حشو . بالإضافة إلى أن قولَهُ بالبدلية يجنّبُه الوقوعَ في إحدى ثلاثِ قواعدَ نحويةٍ محظورةٍ الأولى : أنه لا يجوز اجتماعُ فاعلين لفعل واحد ، وذاك حين تعربُ الواو فاعلاً ، " وكثيرٌ " فاعلاً، وفعلهما واحد " عمي" على الرغم من أن الاثنين – من حيث المعنى ليسا إلاّ فاعلاً واحداً . إلاّ أن القاعدةَ النحويةَ الفلسفيةَ عادت لتتحكمَ فتبررَ المبنى على حساب المعنى .

الثانيةَ : أنه لا يجوزُ توكيدُ المضمرِ بالمظهر ، إلاّ اذا كان " بالنفس والعين ، وكل ، وأجمع وتوابعهما . وذاك لأن المظهرَ أبينُ من المضمر فيصلح أن يكون تأكيداً له ومبيناً" (١).

الثالثة : أنه لا يجوزُ توكيدُ اللاحق بسابق(٢) وذاك إذا أعربت الواو ضميراً متقدماً يعود على لاحق " كثير". "وبذا فإن القاعدةَ المعياريةَ تقف حائلاً دون تحليل ما يسمى بلغة " أكلوني البراغيث في حين جاءت الشواهدُ اللغويةُ من القرآن الكريم ، ومن الحديث الشريف ومن الشعرِ العربي القديم على هذه اللغةِ مما يشيرُ إلى شيوعِها في لغة لسان العرب " (٣). ونرى ما يراه د. خليل عمايره من أن الواوَ زيادةٌ للتحويل الذي يؤكد فيه الفاعل ، إلاّ أننا نُخالفه في اثنتين : ١- في نمط الجملة التوليدي ، إذ يختار النمط الأول(٤):

ف + فا + مف

أي : أكل البراغيث إيايّ

ونختار النمط الثاني : ف + مف (ضمير) + فا

أي : أكلني البراغيث

ذلك أن الضمير " إياي" فيه تخصيص وشيء من التوكيد على الرغم من أنه اتخـــــذ وظيفة تركيبية ، إلاّ أن بنيته الصرفية فيها معنى التخصيص ، ولم يرد المتكلم توكيدَ نفسه ، بل أراد توكيد الفاعل فقدم ضميراً يعود عليه .

---

(١)شرح المفصل ٤٢/٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٢- في أنه من باب توكيد المضمر بمظهر ، على اعتبار أن الواو في " أكلوني" هي الفاعل ، و " البراغيث " مؤكدٌ له . فنرى أنه من باب توكيد اللاحق بضمير يسبقه ، كما هي الحال في ضمير الشأن ، فالواو ضمير يؤكد " البراغيث " الفاعل في تركيب الجملة الأصل .

وعلى هذا تكون الجملة بعد التحويل : أكلوني البراغيث

ف + ض + مف + فا

وعلى هذا تُحَلَّلُ الآية الكريمة " عموا وصموا كثير منهم ...."

تلازم عطف تلازم جر

فالأصل التوليدي : عموا وصموا كثير منهم

ف + فا قيد تخصيص

⟸ عموا وصموا كثير منهم

ف + ض + فا

وعلى هذا يُحَلَّلُ قوله تعالى : " وأسرّوا النجوى الذين ظلموا "

تلازم صلة وموصول

الأصل التوليدي : أسر الذين ظلموا النجوى

ف + فا + مف

ثم أراد توكيد المفعول به فقدمه

⟸ أسروا النجوى الذين ظلموا

ف + مف + فا

ثم أراد العناية بالفاعل وتوكيده ليكون في درجة توكيد المفعول

أسروا النجوي الذين ظلموا

ف + ض + مف + فا

وهذا نموذج آخر على توكيد الفاعل يمكن تحليله في ضوء ما سبق :

١- " فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " (البقرة : ٣٧) .

---

(١) الكتاب ٢/٤١.

(٢) انظر الإنصاف مسألة (٩) ١/٦٨، ٦٩.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر : في التحليل اللغوي ص ٤٣ ، و " آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث ، ص ٢٥-٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نائب الفاعل

تقديم نائب الفاعل على فعله

المص ، "كتاب أُنزل إليك فلا يَكُنْ في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين" (الأعراف : ١ ، ٢) .

يقول الفراء : " أرأيت ما يأتي بعد حروف الهجاء مرفوعاً ؛ مثل قوله : (المص كتاب أنزل اليك) ومثل قوله : "الم . تنزيل الكتاب) (السجدة : ١ ، ٢) وقوله : (الر. كتاب أُحكمت آياته) (هود : ١ ، ٢) وأشباه ذلك : الألف واللام والميم والصاد يؤدين عن جميع حروف المعجم ، وهو ثلاثة أحرف أو أربعة ؟ قلت : نعم ، كما أنك تقول : أ ب ت ث فصارت كالاسم لحروف الهجاء ، كما تقول : قرأت الحمد ، فصارت اسماً لفاتحة الكتاب . قلت : إن الذي تقول ليقع في الوهم ، ولكنك قد تقول : ابني في أ ب ت ث ، ولو قلت في حاط لجاز ولعلمت بأنه يريد : ابني في الحروف المقطعة ، فلما اكتفى بغير أولها علمنا أن أولها ليس لها باسم وإن كان أولها أثر في الذكر من سائرها ... وقال الكسائي . دفعت (كتاب أُنزل إليك) وأشباهه من المرفوع بعد الهجاء بإضمار (هذا) أو (ذلك) وهو وجه . وكأنه إذا أضمر (هذا) أو (ذاك) أضمر لحروف الهجاء ما يرفعها قبلها ، ولأنها لا تكون إلا ولها موضع » (١).

والأخفش يعرب "كتابٌ" مرفوعاً على الابتداء . (٢)

أما أن تكون هذه الحروفُ مبتدأً فليس بمقبول إذ المبتدأ ينبغي أن يكون ما يصلح لأن يبنى عليه ، وهذا أقره سيبويه أساساً للعلاقة بين المسند والمسند إليه يقول : " وهما مالا

---

(١) معاني الفراء ١/٣٦٨ ، ٣٦٩ . وانظر البحر المحيط ٤/٢٦٧، والجامع لأحكام القرآن ٧/١٦١.

(٢) معاني الأخفش ٢/٢٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يغني واحدٌ منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بداً . فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه »(١)

فكيف يبنى على ما استغنى عنه المعنى أولاً ، ثم إن هذا المبني عليه لم يتوصل المفسرون وغيرهم إلى معناه ومقصودة ثانياً ، فكيف يبنى على ما بقي المراد منه سراً إلهياً !

ويرد الزجاج هذا الرأي محتجاً بحجج عدة : " ... وقال بعض النحويين موضع هذه الحروف رفع بما بعدها ، قال : " الٓمٓص كتابٌ " ، كتاب مرتفعٌ بـ"الٓمٓص"، وكأن معناه،المص حروف كتاب أُنزل إليك ، وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبداً ذكر الكتاب ، فقوله . " "الٓمٓ الله لا إله إلاّ هو " « آل عمران :١) يدل على أن " الٓمٓ " لا مرافع لها على قوله ، وكذلك . يٰسٓ والقرآن الحكيم " (يٰسٓ : ١ ، ٢) ... فهذه الأشياء تدل على أن الأمر على غير ما ذكر ، ولو كان كذلك أيضاً لما كان " الٓمٓ " مكرراً ، ولا "حم" مكرراً.

وقد أجمع النحويون على أن قوله عز وجل "كتاب أُنزل اليك " مرفوع بغير هذه الحروف. المعنى هذا كتابٌ أنزل إليك ، وهو مجمع معهم على أن ما قالوه جائز فيجب اتباعهم من قوله وقولهم ، ويجب على قائل هذا القول التثبيت على مخالفتهم ، ولو كان كما يصف لكان مضمراً اسمين ، فكان المعنى:الٓمٓ بعض حروف كتاب أنزل اليك ، فيكون قد أضمر المضاف وما أُضيف إليه وهذا ليس بجائز ... وهذه الحروف كما وصفنا حروفُ هجاءٍ مبنيةٌ على الوقف ..."(٢) . وعليه فإن القول الأرجح لدى النحاة يبقى أن يكون "كتاب" خبراً لمبتدأ محـــذوف . إلاّ أننا لا نراه ذلك أنه بالعود إلى أصل الجملة التوليدي يتضح أنها جملة فعلية ، وكتابٌ مفعول به ناب مناب الفاعل حين بني الفعل لمجهول .

---

(٢)الكتاب١/٢٣.

(٤) معاني الزجاج ٢/٢١٣،٢١٤ وانظر إعراب النحاس ١/٥٩٨، ٥٩٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

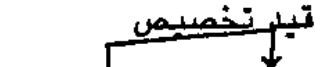

ف + فا + مف

والأخفش يعرب " كتاب " مرفوعاً على الابتداء .(١)

لكن المتكلم – جل وعز – أراد العناية بالمفعول ، فغيّبَ الفاعل إما للعلم به ، أو لعظمته ، أو للفت نظر السامع إلى البحث والتأمل والتفكير في مصدر هذا الكتاب ، أو ليَصْرِفَ جُلَّ اهتمام السامع الى الكتاب موضع عنايته والذي سيقدمه لاحقاً (امعاناً في تأكيد أهميته ، فغيبَ الفاعلَ وقدّمَ المفعول . ولعل الحكمة من ذلك أن الله – جل وعز– أراد أن يكون " الكتاب " هو الدليل وبداية الطريق إلى التعرف على منزله ، مما يشير إلى أن الهداية فيه لمن يبحث عنها.

ولعل المرادَ من تغييب الفاعل كلُ المعاني المذكورةُ سابقاً ، فالجملةُ تقبلها جميعاً

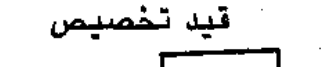

ف + فا ∅ + مف

وحلّ المفعول محل الفاعل تركيباً لا دلالة ؛ حيث أخذ حركته مع بقائه مفعولاً من حيث المعنى – يقول سيبويه مسمياً إياه بالمفعول الذي يتعده فعله ، ولم يتعد إليه فعل فاعل نظراً الى دلالته ، مُورِدَهُ في باب الفاعل نظراً إلى حركته وموقعِهِ التركيبي في الجملة : " هذا باب الفاعل الذي لم يتعده فِعْلُه إلى مفعولٍ والفاعلُ والمفعولُ في هذا سواء ، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل ، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له كما فعلت ذلك بالفاعل.

فأما الفاعل الذي لا يتعداه فعله فقولك : ذهب زيدٌ وجلس عمرو . والمفعول الذي لم يتعده فعله ولم يتعد اليه فعل فاعل فقولك : ضرب زيدٌ ويضربُ عمرو "(١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قيد تخصيص

كتابٌ أنزل إليك

مف + فا ∅ + ف

فالجملة فعلية تحويلية الفاعل فيها محذوف والمفعول به مقدم للعناية والتوكيد . إلاّ أن النحاة كما لا يبيحون تقديم الفاعل على فعله ، فإنهم كذلك لا يبيحون لنائبه أن يتقدم على فعله ، وإذا تقدم يعربونه مبتدأ إن كان معرفة ، وخبراً لمبتدأ محذوف إن كان نكرة ، تمسكاً بقاعدتهم التي تعتمد الاسم الذي يتصدر الجملةَ في حالةِ رفعِهِ أساساً للجملة ، فيعدونّها اسمية وإن كان في الجملة فعل . وقد أشير إلى هذه القضية في الآية السابقة ، وكذلك يكون تحليل الآية الكريمة : " الّر. كتابٌ أحكمت آياته " (هود : ٢،١) فكتابٌ مفعول به مقدم لغرض التوكيد ناب مناب الفاعل المحذوف .

أما تنزيل الكتاب في قوله تعالى : " **الم . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين** " (السجدة : ٢،١) فليس كما في الآيتين السابقتين ، وإعرابه ليس إعراب " كتابٌ " فيهما كما رأى الفراء وغيره(١) فالأخيرة جملة اسمية تنزيل الكتاب فيها مبتدأ ، ولا ريب فيه جملة معترضة ، " ومن رب العالمين" خبر . فهي جملة توليدية تقريرية إخبارية جاءت لتقرر واقعاً لا لتؤكد حقيقة ينكرها السامع.

فالجملة كما يلي :

تلازم إضافة — تلازم جر — تلازم إضافة

تنزيل الكتاب – لا ريب فيه – من رب العالمين

م (معرفة) + خ (شبه جملة)

و" تنزيل الكتاب " ليس بخبر لمبتدأ محذوف ، بل هو مبتدأ بني عليه الخبر ، والذي

---

(١) انظر معاني الفراء ٣٦٨/١، و٢/٢. والبحر المحيط ٢٠٠/٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيه الفائدة فأعطت الجملة معنى يحسن السكوت عليه ، دون تقدير أو تعليل أو تعقيد.

وفي ضوء ما سبق يحلل قوله تعالى :

١- "وإذا الشمس كوّرت ، وإذا النجوم انكدرت " (التكوير : ١:٢)

٢- "وإذا البحار فُجّرَتْ . وإذا القبور بُعْثِرَت . علمت نفس ما أَحْضَرَتْ "
(الانفطار :٣ ،٤ ، ٥)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الباب الثالث

المنصوبات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المفعول به

"إنما حَرَّمَ عليكم الميتةَ والدَّمَ ولحمَ الخنزير وما أهلَّ به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثمَ عليه إن الله غفور رحيم ". (البقرة :١٧٣).

" نصبٌ لوقوع " حَرّم " عليها . وذلك أن قولك " إنما" على وجهين : أحدهما أن تجعل " إنما حرفاً واحداً ، ثم تُعْمِلُ الأفعال التي تكون بعدها في الأسماء ، فإن كانت رافعةً رفعت ، وإنْ كانت ناصبة نصبت ، فقلت : إنما دخلت دارك ، وإنما أُعجبني دارك ، وإنما مالي مالك . فهذا حرف واحد . وأما الوجه الآخر فأن تجعل " ما" منفصلة من (إن) فيكون " ما" على معنى الذي ، فإذا كانت كذلك وصلتها بما يوصل به الذي ، ثم يرفع الاسم الذي يأتي بعد الصلة ، كقولك إن ما أُخذت مالُك ، إن ماركبت دابتُك. تريد إن الذي ركبت دابتُك ، وإن الذي أخذت مالُك . فأجْرِهما على هذا.

وهو في التنزيل في غير ما موضع ؛ من ذلك قوله تبارك وتعالى :" إنما الله إلهٌ واحد " (النساء: ١٧١)، " إنما أنت نذير " (هود :١٢) فهذه حرف واحد ، هي وإنْ ، لأن " الذي" لا تحسن في موضع " ما" .

وأما التي في مذهب (الذي) فقوله : " إنما صنعوا كيدُ ساحر "(١) معناه : إنّ الذي صنعوا كيدُ ساحر ولو قرأ قارئ" إنما صنعوا كيد ساحر" نصباً كان صواباً إذا جعل إنّ وما حرفاً واحداً. ... ولو رفعت " إنما حرّم عليكم المبيتة " كان وجهاً . وقد قرأ بعضهم : " إنما حُرم عليكم الميتة " ولا يجوز لأنه فعل لم يسم فاعله ، وإن جعلت " ما" على جهة (الذي) رفعتَ"الميتةُ والدمُ"، لأنه خبر لـ(ما) "(٢).

نظر النحاة إلى " إنما" نظرة تفكيكية حين قالوابأنهامكونة من " إنّ + ما " . ولما لم يكن لها أثـر

---

(١)(طه:٦٩).

(٢) معاني القراء ١/١٠١، ١٠٢. ولم يعربها الأخفش، انظر: معاني الأخفش ١/١٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إعرابي فيما بعدها لم يولوها اهتماماً في الإعراب فاكتفوا بقولهم : كافة ومكفوفة ، (١)دون أن يلتفتوا إلى دورها الدلالي ، وليس ذاك إلا لأنها هاملة لا عاملة .

يقول الجرجاني : "..... وهو ليس ببعيد أن يظنّ أنه ليس في انضمام " ما " إلى "أنّ" فائدة أكثر من أنها تبطل عملها حتى نرى النحويين لا يزيدون في أكثرِ كلامهم على أنها كافة ومكانها ها هنا يزيل هذا الظن ويبطله ، وذلك أنك ترى أنك لو قلت :

ما جاءني زيدٌ وإن عمراً جاءني: لم يُعقل منه أنك أردت أن الجائي عمروٌ ولا زيدٌ ، بل يكون دخول إنّ كالشيء الذي يُحْتَاجُ إليه ووجدت المعنى ينبو عنه" .(٢)

وهذه النظرة التفكيكية أدت بهم إلى اختلاف في إعراب " ما" فذهب بعضهم إلى أنها كافة زائدة لا محل لها من الإعراب ، في حين ذهب آخرون إلى أنها اسم موصول لإن حين كان السياق يقبل هذا التخريج تركيباً . ومن هنا جاز عندهم رفع " الميتة" على الرغم من أن قراءة الجمهور بالنصب يقول أبو حيان: " وقرأ الجمهور "حرّم" مسنداً إلى ضمير اسم الله ومابعده نُصِبَ فتكونُ "ما" مهيئة في "إنما" هيأت "أن" لولايتها الجملة الفعلية . وقرأ ابن أبي عبلة برفع الميتة وما بعدها فتكون "ما" موصولة اسم "إنّ" والعائد عليها محذوف أي ان الذي حرمه الله "الميتة" وما بعدها خبر "إنّ" . وقرأ أبو جعفر (حرم) مشدداً مبنياً للمفعول فاحتملت "ما" وجهين أحدهما أن تكون موصولة اسم "إن" والعائد الضمير المستكن في حرم والميتة خبر "إن" والوجه الثاني أن تكون ما مهيئة والميتة مرفوع بحزم . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي : " إنما حَرُمَ" بفتح الحاء وضم الراء مخففة جعله لازماً والميتة وما بعدها مرفوع ويحتمل " ما" الوجهين من التهيئة والوصل والميتة فاعل يحرم أن كانت " ما " مهيئة وخبر " إنّ " إن كانت "ما" موصولة "(٣)

---

(١) انظر : الكتاب ١٢٨/٢ ، ٢٢١/٤ ، وشرح ابن عقيل ٢٧٤/١ ، ٢٧٥.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٣٠.

(٣) البحر المحيط ٤٨٦/١. وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ويقول الزجاج مختاراً النصب لأنه قراءة الجمهور ملتفتاً إلى المعنى : " النصبُ في الميتة وما عطف عليها هو القراءة ، ونصب لأنه مفعول به ، دخلت " ما " تمنع "إنّ" من العمل ويليها الفعل ويجوز إنما حرّم عليكم الميتة ، والذي أختاره أن يكون " ما" تمنع "إن" من العمل ، ويكون المعنى ما حرّم عليكم إلاّ الميتة ، والدم ولحم الخنزير ، لأن "إنما" تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها ونفياً لما سواه، قال الشاعر:

أنا الذّائِدُ الحَامي الذّمَارَ وإنّما يُدافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنا أَومِثْلي(١)

المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلاّ أنا أو مثلي ، فالاختيار ما عليه جماعة القراء لاتباع السنة وصحته في المعنى "(٢)

ونحسب أن القراءة بالرفع إنما جاءت قياساً على قاعدة النحاة التفكيكية . وقد كان الأصل أن تقعد القاعدة وفق القراءة الموثوقة .

وعليه ، فإننا لا نرى جواز رفع "الميتة" في هذه الآية ، فـ" ما "ليست اسماً موصولاً ، كما أنها ليست بزائدة ، بل هي فونيم أصيل في مبنى صرفي مستقل في دلالته وبنيته ، موضوع لمعنى القصر ، فهو غير "إنّ" يأتي في مواطن لا تصلح فيها، وذو دلالة غير دلالتها ، وإن كانا الاثنان وظيفتهما التوكيد .

فالرأي الأقرب إلى واقع اللغة الوصفي ما ذهب إليه بعض النحاة فيما ذكره الفراء أنّ " ... تجعل " إنما" حرفاً واحداً ، ثم تعمل الأفعال التي تكون بعدها في الأسماء ، فإن كانت رافعة رفعت ، وإن كانت ناصبة نصبت ... " .

وإلى هذا ذهب القرطبي يقول : " إنما كلمة موضوعة للحصر تتضمن النفي والإثبات ، فتثبت ما تناوله الخطاب وتنفي ما عداه ، وقد حصرت ها هنا التحريم ، لا سيما وقد جاءت عقيب التحليل في قوله تعالى : " يآ أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم" فافادت

---

(١) الشاهد للفرزدق في ديوانه ١٥٢/٢، و ... " معجم حداد، رقم الشاهد (٢٣٣٠) ، وفي دلائل الإعجاز ص ٣١٢، والتفسير الكبير ١١/٥.

(٢) معاني الزجاج ٢٤٢/١، ٢٤٣، كما انها ليست من القراءات السبع أو العشر فهي لم ترد في "الكشف" و "النشر".

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإباحة على الإطلاق ثم عقبها بذكر المحرم بكلمة " إنما" الحاصرة ، فاقتضى ذلك الإيعاب للقسمين، فلا محرم يخرج عن هذه الآية وهي مدنية ، وأكدها بالآية الأخرى التي روى أنها نزلت بعرفة : " قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه " إلى آخرها ، فاستوفى البيان أولاً وآخراً ، قاله ابن العربي" (١).

وعليه فإننا نرى ما يراه الدكتور خليل عمايره يقول : " ونحن نرى أن هذه الأداة أداة واحدة وليست مكونة من (إنّ +ما) ، فهي وحدة لغوية تفيد درجة من التوكيد تزيد على درجة التوكيد في(إن)وحدها ، وإنّ الذي دفع النحاة إلى القول بأنها مكونة من (إن+ما) هو القول بالعمل والعامل ، فإن عندهم تدخل على المبتدأ فتنصبه ، ولكنهم نظروا إلى الجملة الإسمية بعد أن دخلت عليها(إنما)فوجدوا أن المبتدأ على ما هو عليه (في حالة الرفع) ووجدوا أنها تدخل على الفعل ، فقالوا كافة ومكفوفة ، متابعة لنظرية العامل والعامل "(٢).

أما الجرجاني – رحمه الله – فيسلك في بحثه في "إنما" سلوك الباحث عن المعنى مبيّناً مواطن الشبه بينها وبين غيرها من التراكيب ، وكذلك مبيناً ما بينهما من اختلاف في الدلالة .

يقول ملتفتاً إلى وظيفتها الدلالية . " اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجابَ الفعل لشيء ونفيَه عن غيره فإذا قلت : إنما جاءني زيد . لم يكن غرضُك أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره ولكن أن تنفي أن يكونَ المجيءُ الذي قلتَ إنه كان منه كان من عمرو، وكذلك تكون الشبهةُ مرتفعةً في أن ليس هنا جائيان وأن ليس إلاّ جاءٍ واحدٌ ، وإنما تكون الشبهة في أن ذلك الجائي زيدٌ أم عمرو، فإذا قلت ، إنما جاءني زيدٌ حتى يكون قد بلغ المخاطبَ أن قد جاءك جاءٍ ولكنه ظن أنه عمرو مثلاً فأعلمته أنه زيد. فإن قلت فإنه قد يصح أن تقول : إنما جاءني من بين القوم زيدٌ وحدَه وإنما أتاني من جملتهم عمروٌ فقط : فإنّ ذلك شيء كالتكلف والكلام هو الأول ، ثم الاعتبار به إذا أُطلق فلم يقيد (وحده) وما في معناه ومعلوم أنك إذا قلت : إنما جاءني زيد ، ولـم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢١٦.

(٢) في التحليل اللغوي ص ٢٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تزد على ذلك أنه لا يسبق إلى القلبِ من المعنى إلاّ ما قدمنا شرحَه من أنك أردت النص على زيدٍ انه الجائي وأن تبطل ظن المخاطب أن المجيء لم يكن منه ولكن كان عمرو، حسب ما يكون اذا قلت : جاءني زيدٌ لا عمرو . فاعرفه.

وإذ قد عرفت هذه الجملة فإنا نذكر جملة من القول في(ما وإلا)وما يكون من حكمهما.اعلم أنك إذا قلت : ما جاءني إلاّ زيدٌ ، احتمل أمرين أحدهما أن تريد اختصاص زيد بالمجيء وأن تنفيه عما عداه ، وأن يكون كلاماً تقوله لا لأن بالمخاطب حاجةً إلى أن يَعْلَم أن زيداً قد جاءك ولكن لأنّ به حاجةً إلى أن يعلم أنه لم يجيء إليك غيرُه . والثاني أن تريد الذي ذكرناه في " إنما" ويكونُ كلاماً تقوله ليُعْلَمَ أنّ الجائي زيدٌ لا غيره ."(٢) .

وقد أدرك بعض النحاة والمفسرين الدورَ الدلاليَ الذي تؤديه "إنما" فحملوا القصرَ على أسلوبٍ شبيه به وهو الحصر . فقالوا بأنها بدلٌ من "ما" و "إلاّ" . يقول الفخر الرازي : "... فمنهم من قال " إنما" تفيد الحصرَ واحتجوا عليه بالقرآن والشعر والقياس .

أما القرآن فقوله تعالى : (إنما الله إله واحد) (النساء: ١٧١) أي ما هو الاّ اله واحد ، وقال " إنما الصدقات للفقراء والمساكين " (التوبة :٦٠) أي لَهم لا لغيرهم وقال تعالى لمحمد (قل إنما أنا بَشَرٌ مثلكم) ، وكذا هذه الآية فإنه تعالى قال في آية أخرى (قل لا أجد فما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلاّ أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير (الأنعام : ١٤٥) فصارت الآيتان واحدة فقوله " إنما حرم عليكم " في هذه الآية مفسرةٌ لقوله (قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً) إلاّ كذا في تلك الآية ..." (١) .

كما أشار الجرجاني إلى هذا الشبه بين القصر والحصر إذ يشتركان في كونهما من أساليب الاختصاص ، إلاّ أنه يذكر أن هذا الشبه لا يعني التطابق تركيبياً ودلالياً مبيناً ما لكل منهما من خصوصية في الدلالة بناءً على خصوصية التركيب في كل من الأسلوبين . يقول بعد أن يذكر رأي أبي علي الفارسي ، ورأي الزجاج السابق الذكر في القول بأن " إنما" بدل من " ما"

© Arabic Digital Library Yarmouk University

و "إلاّ" : " اعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبته لك فإنهم لم يعنوا بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه وأن سبيلَهما سبيلُ اللفظين يوضعان لمعنى واحد . وفرقٌ بين أن يكون في الشئ معنى الشئ وبين أن يكون الشئُ الشئَ على الإطلاق . يبين لك أنهما لا يكونان سواءً أنّه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و (إلا) يصلح فيه (إنما) أَلاَ ترى أنها لا تصلح في مثل قوله تعالى (وما من إله إلاّ (الله) (آل عمران: ٦٢) ولا في نحو قولنا : ما أحدٌ إلا وهو يقول ذاك ، إذ لو قلت : إنما من إله الله ، وإنما أحدٌ وهو يقول ذاك : قلت مالا يكونُ له معنى . فإن قلت : إنّ سبب ذلك أن (أحداً) لا يقع إلاّ في النفي وما يجري مجرى النفي من النهي والاستفهام وأنّ (من) المزيدة في (ما من إله إلاّ الله) كذلك لا تكون إلاّ في النفي : قيل ففي هذا كفايةٌ بأنه اعترافٌ بأن ليسا سواءً ، لأنهما لو كانا سواءً لكان ينبغي أن يكون في (إنما) من النفي مثل ما يكون في "ما" و"إلاّ".

وكما وجدت (إنما) لا تصلح فيما ذكرنا نجدُ ما وإلاّ لا تصلحُ في ضرب من الكلام قد صلحت فيه (إنما) وذاك في مثل قولك : إنما هو درهم لا دينار، لو قلت : ما هو إلاّ درهم لا دينار، لم يكن شيئاً . وإذ قد بان بهذه الجملة أنهم حين جعلوا "إنما" في معنى(ما وإلاّ) لم يعنوا أن المعنى فيهما واحدٌ على الإطلاق وأن يسقطوا الفرق ، فإني أبين لك أمرها وما هو أصل في كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه . اعلم أنّ موضوع (إنما) على أن تجيء لخبرٍ لا يجهَلُه المخاطَبُ ولايَدْفَعُ صحتَه أو لما يُنزّل هذاه المنزلة . تفسير ذلك أنك تقول للرجل : إنما هو أخوك وإنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذاك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويُقِـرُّ به إلاّ أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب . ومثله الآخر(١):

إنّما أَنْتَ والدٌ والأَبُ القا ... طِعُ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الأَوْلادِ

---

(١) التفسير الكبير ٥/١٠،١١

(٢) البيت للمتنبي ، أنظر : العرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ، ناصيف اليازجي ، ص ٤٩٩. وديوان المتنبي وضع : عبد الرحمن البرقوقي. ١٥٩/٢.

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولم يُرد أَنْ يُعْلِمَ كافوراً أنه والد ولا ذاك مما يحتاج كافورٌ فيه إلى الإعلام ولكنه أراد أن يُذَكِّرَهُ منه بالأمر المعلوم لينبني عليه استدعاءُ ما يوجِبُه كونُه بمنزلة الوالد.

....ومثاله من التنزيل قوله تعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون ،(١) وقوله تعالى : "إنما تنذرُ من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب " (يس :١١) وقوله تعالى : " إنما أنت منذر من يخشاها" (النازعات :٤٥)، كل ذلك تذكير بأمرٍ ثابت معلوم . وذلك أن كل عاقل يعلم أنه لا تكون استجابةٌ إلاّ ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويُدعى إليه وأن من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب ، وكذلك معلومٌ أن الإنذار إنما يكون إنذاراً ويكون له تأثيرٌ إذا كان مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدّقُ بالبعث والساعة ، فأما الكافر الجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه واحد . فهذا مثال ما الخبر فيه خبرٌ بأمر يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال.

وأما مثال ما ينزّل هذه المنزلة فكقوله :(٢)

إنّما مُصْعَبٌ شهابٌ من اللّـ ـه تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

ادّعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنه أمرٌ ظاهرٌ معلومٌ للجميع على عادة الشعراء إذامدحوا أن يدّعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنها ثابتةٌ لهم وأنهم قد شُهِروا بها وأنهم لم يَصِفُوا إلا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعُه أحد .....

وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو " ما هذا إلاّ كذا وإن هو إلاّ كذا " فيكون للأمر ينكرهُ المخاطب ويشكُ فيه . فإذا قلت : ما هو إلاّ مصيبٌ ، أو : ما هو إلاّ مخطئ ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمرُ على ما قلته . وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت : ما هو إلاّ زيدٌ . لم تقله إلاّ وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد وأنه إنسان آخرُ ويَجِدُ في الإنكار أن يكون زيداً . وإذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى لم تقله كذلك فلا تقول للرجل ترقّقه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومـــن حسن التحابّ : ما هو إلاّ أخوك ، وكذلك لا يصلح في إنما أنت والد " ما أنت إلاّ والد . فأما نحو

---

(١) سورة الأنعام :(٣٦) والآية الكريمة " إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه ترجعون ".

(٢) القائل عبد الله بن قيس الرقيات «ديوانه . ت : محمد يوسف نجم ، ص ٩١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

" إنما مصعب شهاب " فيصلح فيه أن تقول " ما مصعبٌ إلا شهاب " : لأنه ليس من المعلوم على الصحة وإنما ادعى الشاعرُ فيه أنه كذلك . وإذا كان هذا هكذا جاز أن تقوله بالنفي والإثبات إلاّ أنك تخرج المدح حينئذ عن أن يكون على حد المبالغة من حيث لا تكون قد ادعيت فيه أنه معلوم وأنه بحيث لا ينكره منكر ولا يخالف فيه مخالف وجملة الأمر أنك متى رأيت شيئاً هو من المعلوم الذي لا يشك فيه قد جاء بالنفي فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه فمن ذلك قوله تعالى (**وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلاّ نذير**) (فاطر: ٢٢، ٢٣) إنما جاء والله أعلم بالنفي والإثبات لأنه لما قال تعالى : (وما أنت بمسمع من في القبور) وكان المعنى في ذلك أن يقال للنبي صلى الله عليه وسلم ، إنك لن تستطيع أن تحول قلوبهم عما هي عليه من الأباء ولا تملك أن توقع الإيمان في نفوسهم ، مع إصرارهم على كفرهم ، واستمرارهم على جهلهم ، وصدهم بأسماعهم عما تقوله لهم وتتلوه عليهم كان اللائق بهذا أن يَجْعَلَ حالَ النبي- صلى الله عليه وسلم- حالَ من قد ظن أنه يملك ذلك ومن لا يعلم يقيناً أنه ليس في وسعه شيء أكثر من أن ينذر ويحذر ، فأخرج اللفظ مخرجه إذا كان الخطاب مع من يشك فقيل (إن أنت إلاّ نذير) ..."(١) .

فالفرق بين القصر والحصر يتلخص في فرقين جوهريين من حيث الدلالة :

١- إن القصر يكون في خبر لا يجهله السامع ولا يتشكك فيه ، أو ما يُنَزَّلُ منزلَتَه في أن الحصر يكون في خبر يجهله السامع ، ويتشكك فيه أو ما ينزل منزلته .

٢- إن الاسم المقصور كما في : إنما جاء زيدٌ لا خلاف فيه بين السامع والمخاطب من أنه واحد ذاك الذي جاء لم يشاركه فيه غيره ، لكن المعضلة عند المخاطب تكمن في : من ذاك الذي جاء ، فهو يتوهم شخصاً غير زيد ، كأن يفترض أن الفكرة التي في ذهنه أن " عمراً" هو الذي جاء ، فيزيل المتكلم ما توهمه بأن يؤكد له أن زيداً هو الذي جاء وليس غيره وهو يفترض أن السامع لا يكذبه أو يتشكك فيما يؤكد له من خبر .

---

(١) دلائل الإعجاز ص٢١٢-٢١٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما في الحصر فقد يكون الاسم المحصور هو المتوهم فيه كما في القصر أو يكون أمراً آخر المتوخى من الحصر،وهو الأ يكون المخاطب متوهماً مجيء شخص آخر غير زيد ، ولكنه يتشكل في حضوره وحده ، ويغلب على ظنه أن ثمة من شاركه في المجيء فلم يكن وحده ، فيؤكد المتكلم له ما جحد بالحصر.

فالحصر أوسع في احتمال المعاني من القصر . ولكلٍ خصوصيته .

ويشير الجرجاني موضحاً المقصود بالاختصاص في الأسلوبين بنفي شيء وإثبات غيره مبيناً أن هذا النفي لا يعني النفي المطلق بعمومه بحيث لا يشترك المختص غيره في الصفة التي اختص بها على الإطلاق .

يقول : " واعلم أن قولنا في الخبر إذا أُخرّ نحو " ما زيد إلا قائم " : أنك اختصصت القيام من بين الأوصاف التي يُتَوَهَّمُ كونُ زيدٍ عليها ونفيتَ ما عدا القيام عنه فإنما يعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالساً أو مضطجعاً أو متكئاً أو ما شاكل ذلك ، ولم نُرِدْ أنك نفيتَ ما ليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفي عنه بقولنا : ما هو إلاّ قائم ، أن يكون أسود أو أبيض أو طويلاً أو قصيراً أو عالماً أو جاهلاً ، كما أنا إذا قلنا : ما قائم إلاّ زيد ، لم نُرِدْ أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ما قائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك "(١)

وعليه ، فإن قول الفخر الرازي بأن قوله تعالى " إنما حرّم عليكم الميتة ..." وقوله " قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه" واحداً في الآيتين ، لا يعني التطابق بين دلالتهما ففي الآية الأولى قُصِرَ التحريمُ على الميتة والدم ولحم الخنزير ، والمتكلم عز وجل - ألقاها على سامع غير متشكك ولا جاحد .

- أما في الثانية : فالمتكلم يؤكد للسامع الذي يجحد أو يتشكك في أن تكون هذه المذكورة كل ما حرم بأسلوب الحصر . ويدل على هذا أمران .

الأول : سياق الآية في قوله : " قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً ".

---

(١) دلائل الاعجاز ص ٣٢٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معنى هذا أن ثمة من يستحث رسول الله- صلى الله عليه وسلم -على البحث فيما أنزل اليه للتأكد من أنه لم يَسْهُ عن بعضٍ من المحرمات غير هذه التي ذكرت ، وهذا لا يكون إلاّ من شاك أو جاحد . وليس هذا ببعيد ، فقد يكون منبع هذا الشك اليهود الذين حرّم الله عليهم أكثر من هذه ، وهي طيبات كانت قد أحلت لهم ، عقاباً لهم على ظُلْمِهم وبغيهم ، قال تعالى " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أُحلت لهم وبصدّهم عن سبيل الله كثيراً " (النساء :١٦٠).

الثاني ، أن هذه الآية نزلت بعد السابقة لتؤكد ما ورد فيها من محرمات ، وليس ذاك إلاّ لأن ثمة شكاً لدى بعض السامعين . وقد ذكر هذا القرطبي في معرض تحليله الآية السابقة . يقول : " ... فلا محرم يخرج عن هذه الآية وهي مدنية ، وأكدها بالآية الأخرى التي روي أنها نزلت بعرفة : " قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرّماً على طاعم يطعمه " إلى آخرها ، فاستوفى البيان أولاً وآخراً ؛ قاله ابن العربي "(١) أما الفرق المستفاد مما قاله الجرجاني بين " إنما" و " إن" فهو أن الأصل في " إنما" الدخول على ما لا يجهله السامع ولا يشك فيه ، أما " إنْ" فتدخل لتؤكد ما يشك فيه السامع ولا يجهله.

على أن كليهما للتوكيد ، وذلك عندما ينزل المتكلم الخبر المجحود منزلة المعلوم الثابت وكأنما هو حقيقة لا تقبل الجدل ولا النقاش ، فيؤكد بـ " إنما" ، كما في " إنما مصعباً شهاب من الله " كذلك يستشف هذا من قول الجرجاني نفسه :" ومما يجب لك أن تجعله على ذكر منك من معاني " انما " ما عرفتك أولاً من أنها قد تدخل في الشئ على أن يُخيّل فيه المتكلم أنه معلوم ويدعى أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع كقوله :

" إنّما مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِنَ اللهِ ... "

... ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود : " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا : إنما نحن مصلحون " (البقرة: ١١) دخلت "إنما" لتدل على أنهم ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢١٦

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أنهم يدّعون من ذلك أمراً ظاهراً معلوماً وكذلك أكد الأمر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين "ألاَ" الذي هو للتنبيه وبين " إنّ "الذي هو للتأكيد فقيل " ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون" (البقرة :١٢)(١) .

ومن هنا ذهب بعض البلاغيين إلى أن " إنما" تأكيد على تأكيد بقول القزويني :" وقال السكاكي ويُذْكَرُ لذلك وجهٌ لطيفٌ يُسْنَدُ إلى علي بن عيسى الربعي وهو أنه لما كانت كلمةُ إنّ لتأكيدِ إثباتِ المسند للمسند إليه ثم اتصلت بها ما المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو ناسب أن يضمن معنى القصر لأن القصر ليس الاّ تأكيداً على تأكيد "(٢) .

ولذلك رأى الدكتور خليل عمايرة أنها " تفيد معنى التوكيد بدرجة أقوى من التوكيد بإنّ وحدها، وغالباً ما تكون في سياق فيه إنكار وجَحْد ، يحتاج إلي درجة عالية من توكيد الخبر "(٣) وبناء على ما سبق يكون تحليل الآية كمالي :

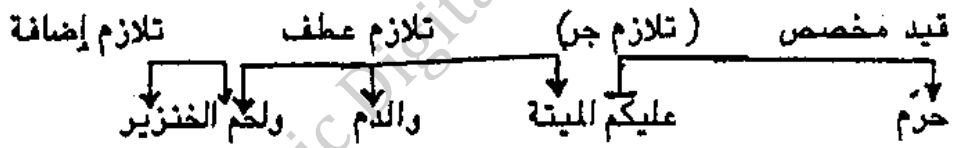

ف + فا (ض) + مف

ثم أراد قصر الحرمة على هذه الأشياء المذكورة دون غيرها مما هو من جنسها من أصناف الطعام والشراب ، فأدخل (إنما) لتخصيصها بالتحريم ونفيه عما سواها من جنسها ، وحال السامع لما يظهر من تسليم أو شك ، ولذلك يفترض التسليم وخلو الذهن فيه والتصديق مادام

---

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٣٢ ، ٣٣٤

(٢) الإيضاح ص ٧٢ ، ٧٣

(٣) في التحليل اللغوي ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هذا الخبر جديد الطرح .

فالخبر في ذاته ليس موضع شك أو جحد ، فكان التأكيد بإنما أولى من التأكيد "بأن" التي للجحد ، وذاك لغرض القصر والتخصيص .

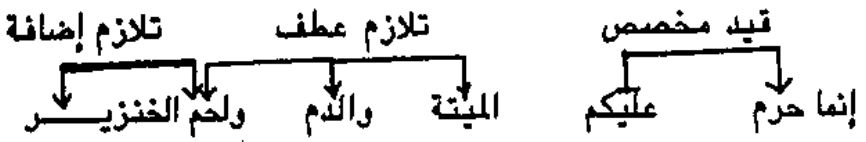

ف+ (ف + فا (ض) + مف

فالجملة فعلية محوّلة بزيادة عنصر توكيد وقصر لغرض التخصيص .

- أما تجويز النحاة أن تكون "إنما" أداة واحدة تفيد القصر في قوله تعالى : " إنما صنعوا كيدُ ساحر" وذلك بنصب " كيد" على أنه مفعول لـ " صنعوا" فمتأتٍ من الرسم الذي وصل " إن" بـ "ما" الموصولية والحكم في هذا لمعرفة وإذا كان المراد بها أداة القصر " إنما" أم أداة التوكيد المجحود "إن" و "ما" اسمها الموصول ،هو القراءة المتواترة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهي قراءة الجمهور ، وهم على رفع " كيد" (١) . وهذا يعني أن الأصل فصل " إن" عن " ما " لتمييزها عن " إنما" ، كما أن ثمة دليلاً آخرّ صوتياً على ذلك وهو أن المدّ في ما " الموصولية" يكون أقصر منه في " ما" الفونيم في كلمة " إنما" .

والذين قرأوا بنصب « كيد » في هذه الآية إنما قاسوا على قاعدة النحاة التفكيكية كما فعل الذين قرءوا "الميتة" بالرفع ، وقراءة الجمهور بالنصب .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

---

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢٣/١١. ولم ترد القراءة بالنصب في الكشف ولا في " النشر " كما لم ترد في "المحتسب" و " مختصر ابن خالويه"

تقديم المفعول به على فعله

" يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ". (البقرة :٤٠) .

" وإياي " وقد شغلت الفعل بالاسم المضمر الذي بعده الفعل ، لأن كلّ ما كان من الأمر والنهي في هذا النحو فهو منصوب نحو قولك . زيداً فاضرب أخاه ، لأن الأمر والنهي مما يضمران كثيراً ، ويحسن فيهما الإضمار ، والرفع أيضاً جائز على ألاّ تضمر . قال الشاعر :

وقائلةٍ : خَوْلانُ فانْكِحْ فَتَاتَهُمْ وأكْرومَةُ الحَيَيْنِ خِلْوٌ كَمَا هِيا (١)

وأما قوله : " الزانيةُ والزاني فاجلدوا كل واحد منهما " (النور :٢) و"السارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما" (المائدة :٣٨) فزعموا والله أعلم أن هذا على الوحي ، كأنه يقول : ومما أقص عليكم الزانيةُ والزانيُ والسارقُ والسارقةُ . ثم جاء بالفعل من بعدما أوجب الرفع على الأول على الابتداء وهذا على المجاز ، كأنه قال : أمرُ السارق والسارقة ، وشأنهما ، مما نقص عليكم "(٢)

"... " وإنما اتفق السبعة عليه) أي على الرفع في نحو " الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدةً لأن الفاء مانعة من حمله على الاشتغال فإن تقديره عند سيبويه مما يتلى عليكم حكم الزانية والزاني فحذف المضاف الذي هو حكم وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الزانية والزاني وحذف الخبر وهو الجار والمجرور ثم بعد تمام الجملة استؤنف الحكم وهو فاجلدوا فصارت جملة الطلب مستأنفة فلم يلزم الإخبار بالجملة الطلبية وهي "فاجلدوا" عن المبتدأ وهو الزانية والزاني ولم يستقم عمل فعل من جملة مستأنفة في مبتدأ مخبر عنه بغير ذلك الفعل من جملة أخرى وهذا التقدير متعين عند سيبويه وذلك لأن الفاء لا تدخل عنده في الخبر في نحو هذا المثال فإنه يمنع زيادة الفاء في خبر المبتدأ ما لم يكن المبتدأ موصولاً بفعل

---

(١) مجهول القائل . انظر: معجم حداد ، رقم الشاهد (٢١٩٥) .

(٢) معاني الأخفش ١/٧٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو بظرف وصلة (أل) غير ذلك و (لذا) أي ولأجل منع سيبويه زيادة الفاء في خبر المبتدأ إذا لم يكن موصولاً بفعل أو ظرف قال في قوله :

وقائلةٍ : خولانُ فانكِحْ فَتاتَهُمْ وأكْرومَةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كَما هِيَا

(إن التقدير خولانُ) هذا مِقْوَلُ قولِ سيبويه فَجَعَلَ خولان خبر مبتدأ محذوف وجملة "فانكح فتاتهم" مستأنفة هرباً من زيادة الفاء في خبر المبتدأ غير الموصول وأجاز الأخفش زيادتها في الخبر مطلقاً ونقله ابن إياز(١) في نتيجة المطارحة أيضاً عن الفارسي وابن جنّي وغيرهما من البصريين وقيّد الفراء والأعلم وجماعة الجواز بكون الخبر أمراً أو نهياً" (٢).

ويقول ابن يعيش في الفاء عند سيبويه : " وسيبويه لا يرى زيادتها ويتأول ما ورد من ذلك على أنها عاطفة وأنه من قبيل عطف جملة فعلية على جملة اسمية ".(٣)

فالعلة تكمن عند النحاة في تخريج الفاء . إذ لا خلاف بينهم في أن المفعول الذي شغل عنه فعل الأمر أو النهي ولم يقترن فعله بالفاء يُنصب بتقدير فعل له يفسره الفعل المذكور ويرفع بأن يبنى عليه الفعل ، فيكون خبراً له وذلك في مثل :

زيداً اضربه

يكون

لكن الخلاف حين يقترن فعل الأمر أو النهي بالفاء مثل :

زيداً فاضربه

فسيبويه لا يحمل " زيداً " على الاشتغال ، لأنه ليس باسم موصول ، أو نكرة موصوفة ليضمن معنى الشرط ، فتكون الفاء زائدة ، فيجوز أن يكون الفعل خبراً مبنياً عليه.

---

(١) هو الحسين بن إياز النحوي البغدادي المنعوت بالجمال . إمام متأخر في العربية . أخذ العربية عن الأستاذ أبي عثمان سعد أحمد الجذامي الأندلسي نزيل بغداد ، له مصنفات ، وكان ذا خط حسن ، ثقة فيما يكتب ، متصدراً لإقراء العربية بالمستنصرية ببغداد . توفي سنة ٦٧٤ إشارة التعيين ص ١٠٢. انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (٣١٩٥).

(٢) التصريح ١/٢٩٨، ٢٩٩ ، وانظر مغني اللبيب ١/١٤١ ، ١٤٢. وانظر الكتاب ١/١٣٨، ١٣٩.

(٣) شرح المفصل ١/١٠٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولذا لم يجوز رفع " زيد" في مثل هذا المثال إلاّ على نية إضمار مبتدأ محذوف له تقديـــــره ،

هذا زيدٌ فاضربه

فتكون الفاء عاطفة جملة فعلية على جملة اسمية .

في حين يُجَوِّز : أما زيدٌ فاضربه ، دون تقدير مبتدأ ، فزيدٌ مبتدأ ، و"اضربه " خبره لأن الفاء هذه زائدة حملاً على الجملة الاسمية : أما زيدٌ فمنطلق ، بينما لا يجوز أن يحل اسم خبراً محل اضربه مع اقترانه بالفاء في :

زيدٌ فاضربه

لأنه لا يجوز : زيدٌ فمنطلق

فالفاء ليست زائدة ليصلح بناء الفعل على الاسم .

يقول سيبويه :" والأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يُبنى عليه الفعل ، ويُبنى على الفعل ، كما اختير ذلك في باب الاستفهام ، لأن الأمر والنهي إنما هما للفعل.

كما أن حروف الاستفهام بالفعل أولى ، وكان الأصل فيها أن يبتدأ بالفعل قبل الاسم ، فهكذا الأمر والنهي ، لأنهما لا يقعان إلاّ بالفعل ، مظهراً أو مضمراً .

وهما أقوى في هذا من الاستفهام ؛ لأن حروف الاستفهام قد يستفهم بها وليس بعدها إلاّ الأسماء نحو قولك : أزيدٌ أخوك ، ومتى زيدٌ منطلق ، وهل عمروٌ ظريف . والأمرُ والنهي لا يكونان إلاّ بفعل ، وذلك قولك : زيداً اضربه ....

وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبد الله اضربه ، ابتدأت عبد الله فرفعته بالابتداء ونبهت المخاطب له لِتُعَرِّفَهُ باسمه ، ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر . ومثل ذلك : أما زيدٌ فاقتله . فإذا قلت زيدٌ فاضربه ، لم يستقم أن تحمله على الابتداء . ألا ترى أنك لو قلت : زيدٌ فمنطلق لم يستقم ، فهو دليلٌ على أنه لا يجوز أن يكون مبتدأ . فإن شئت نصبته على شئ هذا تفسيره ، كما كان ذلك في الاستفهام ، وإن شئت على عليك ، كأنك قلت : عليكم زيداً فاقتله .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد يحسن ويستقيم أن تقول : عبدَ الله فاضربه ، إذا كان مبنياً على مبتدأ مظهر أو مضمر. فأما في المظهر فقولك : هذا زيدٌ فاضربه ، وإن شئت لم تظهر " هذا" ويعمل كعمله إذا أظهرته ، وذلك قولك : الهلالُ والله فانظر إليه ، كأنك قلت : هذا الهلال ، ثم جئت بالأمر.

ومما يدلك على حسن الفاء ههنا أنك لو قلت : هذا زيدٌ فحسن جميل ، كان كلاماً جيداً"(١) ولا يخفى ما في قول سيبويه من بعد في القياس والتقدير ، فعلى الرغم من التفاته الى دلالة تقديم المفعول به في " عبدَ الله اضربه " وهو العناية والاهتمام إذ يقول : " فإن قدمتَ المفعولَ وأخرت الفاعل ، جرى اللفظ كما جرى في الأول ، وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُ الله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهمْ ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم "(٢)؛ إلاّ أنه لم يستطع التخلصَ من سطوة القاعدةِ النحوية التي تهتم بالمبنى في كثير من الأحيان على حساب المعنى ، ففصل بين المفعول به المقدم ، وفعله ، حين اقترب بالفاء ، وعزَلَهُما بأن قسم الجملة الفعلية الى جملتين : اسمية ، المفعول فيها يصبح خبراً لمبتدأ محذوف ، وفعلية منفصلة عن الأولى تركيباً ودلالة ، وذلك ليس إلاّ من قياس خاطئ للجملة الفعلية على الجملة الاسمية ، والذي تأتى أصلاً من القاعدة النحوية التي تحرم أن يعمل الفعل في معمولين ، حتى وإن كانا من حيث الدلالة واحداً لا اثنين ، فالضمير المتصل بالفعل في " اضربه" عائد على "زيد" فهو زيد نفسه .

وحيث إن الشواهد على هذه الظاهرة جاءت عن العرب تارة برفع المفعول المقدم المشغول عنه وأخرى بنصبه ، فقد قدر النحاة في حال النصب فعلاً يفسره المذكور ، ولا يجوز إظهاره ؛ بل هو قبيح عند النحاة ، واجب الاستتار ، مما يشير إلى إدراكهم ما في هذا التقدير من تشويه وإخلال بالمبنى والمعنى معاً : بالمبنى من حيث أنه يخرج الكلام عن سنن العرب فيه ، وبالمعنى

---

(١) الكتاب ١/١٣٧-١٣٩

(٢) السابق ١/٢٤ ، وانظر : البرهان ٣/٢٣٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

من حيثُ توكيدُ ما لم يرد المتكلمُ توكيده . إذ بتكرار الفعل يؤكد الفعل ذاته ، في حين أن غاية المتكلم هي توكيد المفعول لا غيره ، وذلك بتقديمه ، ثم بإعادة ضمير عليه . يقول الأخفش : " ... فإن بدأت بالاسم أضمرت له فعلاً حتى يحسن الكلام به ، وإظهار ذلك الفعل قبيح " (١) .

- أما في حال رفعه فقد أعربوه كما أُعْرِبَ كل اسم تصدر الجملة وكان مرفوعاً ، مبتدأ، والفعل المتأخر عنه خبراً . واذا كان ثمة ما يمنع من إعرابه خبراً له كما في دخول فاء سيبويه عليه في " زيداً فاضربه " فإن الاسم يعرب خبراً لمبتدأ محذوف . ولا يهتم النحاة في هذا فيما إذا كان الاسم المتصدر في أصله مبتدأ حقيقياً أسند اليه الخبر في الجملة الاسمية ، أو كان مفعولاً به مقدماً كما في : " واللذان يأتيانها منكم فآذوهما" (النساء :١٦ ، أو كان جزءاً من المفعول به ، كأن يكون مضافاً إليه في أصله أو مجروراً قدّم على جاره للعناية كما في "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" .

ومن هنا أعرب سيبويه " السارق والسارقة "والزانية والزاني" مبتدأين خبرهما مقدر مضمر وهو : فيما فرض عليكم ، ولم يجوز أن يكون " فاقطعوا " و " فاجلدوا " خبراً لهما، لأن الفاء ليست بزائدة ، والمشغول عنه ليس بمتضمن معنى الشرط .

في حين أعرب " واللذان يأتيانها منكم فآذوهما " مبتدأ " ، خبره الفعل " فآذوهما " ، لأنه اسم موصول استوفى صلته الفعل " يأتيانها" فكان بذا متضمناً معنى الشرط ، وعليه فالفاء زائدة كما هي في الشرط ، فجاز أن يبنى الفعل على الاسم الموصول.

يقول سيبويه :" ونقول : اللذين يأتيانك فاضربهما ، تنصبه كما تنصب زيداً ، وإن شئت رفعته على أن يكون مبنياً على مظهر أو مضمر. وإن شئت كان مبتدأ ، لأنه يستقيم أن تجعل خبره من غير الأفعال بالفاء . الا ترى أنك لو قلت : الذي يأتيني فله درهم . والذي يأتيني فمكرمٌ محمود ، كان حسناً . ولو قلت زيدٌ فله درهم لم يجز ، وإنما جاز ذلك لأن قوله الذي يأتيني فله درهم ، في معنى الجزاء ، فدخلت الفاء في خبره كما تدخل في خبر الجزاء.

---

(١) معاني الأخفش ١/٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك قوله عز وجل : " الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (البقرة : ٢٧٤). ومن ذلك قولهم : كل رجل يأتيك فهو صالح ، وكلُ رجل جاء فله درهمان ؛ لأن معنى الحديث الجزاء"(١).

في حين يحمل المبرد " السارق والسارقة " و " الزانية والزاني " على " واللذان يأتيانها" فيجعل " الـ" اسماً موصولاً مبتدأ ، واسم الفاعل (سارق ، وزانية) صلة له ، والفاء زائدة فيضمنها معنى الشرط ، والفعل خبراً للاسم الموصول.

يقول صاحب التصريح : " وقال المبرد الفاء في فاجلدوا لمعنى الشرط لأن الموصول فيه معنى الشرط فتدخل الفاء في خبره كما تدخل في جواب الشرط والمعنى إن زنيا فاجلدوهما ...."(٢) .

" وقال أبو علي الفارسي من جعل الفاء زائدة أجاز النصب في زيد فاضربه ..."(٣).

يتضح مما سبق : أن الخلاف تأتي من مزاجية في تخريج الفاء من جهة ، ومن الوقوع تحت سطوة بعض القواعد النحوية الخاطئة من جهة أُخرى . وبقياس الفعل على الاسم كتجويز أن يكون الفعل ومتعلقاته خبراً لمبتدأ هو في أصله مفعول ، وحملهم الاسم الموصول على اسم الشرط ، وحمل " ال" التعريف على الإسم الموصول ، وتقدير ما لم يُجَوِّز النحاة أنفسهم إظهاره .

والرأي عندنا " أن العبرة بصدر الأصل "(٤) بمعنى أن العبرة ببؤرة الجملة في أصلها التوليدي . فالجملة تبقى فعلية ما دام فيها فعل ، سواء قدم المفعول ، أو الفاعل ، أو ادخالها أي تغيير في ترتيبها، أو زيادة ما ليس ركناً رئيساً في الجملة التوليدية الأم .

فأصل الجملة في الآية الكريمة :

---

(١) الكتاب ١/١٣٩، ١٤٠ . وانظر : شرح المفصل ١/١٠٠، ١٠١ ، ومشكل إعراب القرآن ص ١٩٣.

(٢) التصريح ١/٢٩٩.

(٣) السابق ، الموضع نفسه .

(٤) الهمع ١/٣٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ارهبوني

ف + فا + مف

يقول الزجاج ملتفتاً إلى هذا الأصل : " نصب بالأمر كأنه في المعنى ارهبوني .." (١) إلاّ أنه رغم إدراكه هذا لم يستطع التحرر من سطوة القاعدة النحوية عند الإعراب فقال : " ويكون الثاني تفسير هذا الفعل المضمر " (٢) .

ولما أراد المتكلم -عز وجل - العناية بالمفعول وتخصيصه دون غيره بالرهبة قدمه ، واقتضت العربية أن يتحول من ضمير متصل الى منفصل.

⟸ إياي ارهبوا

مف +ف +فا

ويشير السيوطي إلى أهمية تقديم المفعول به فيقول : "وإذا قدّم المفعول أفاد الاختصاص عند الجمهور نحو : " إياك نعبد ، وإياك نستعين " أي لا غيرك ، " بل الله فاعبد " (الزمر : ٦٦) أي لا غيره " (٣) .

ويقول القرطبي في تفسير : إياك نعبد وإياك نستعين : " إن قيل لم قدّم المفعول على الفعل ؛ قيل له : قدّم اهتماماً ، وشأن العرب تقديم الأهم ، يذكر أن أعرابياً سب آخر فأعرض المسبوب عنه ، فقال له الساب : إياك أعني ، فقال له الآخر : وعنك أُعرض ، فقدما الأهم ، وأيضاً لئلا يتقدم الفعل على كناية المفعول ، وإنما يتبع لفظ القرآن ... وكرر الاسم لئلا يتوهم إياك نعبد ونستعين غيرك " (٤) .

---

(١) معاني الزجاج ١/١٢١

(٢) السابق ، الموضع نفسه .

(٣) الهمع ٢/١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١/١٤٦. وانظر : البحر المحيط ١/٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الزمخشري : " وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : " قل : أفغير الله تأمروننني أعبد " (الزمر :٦٤) . " قل : أغير الله أبغي رباً " (الأنعام :١٦٤). والمعنى : نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة ....والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوبٌ ذو عَبَدَة: اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسيج ، ولذلك لم تستعمل إلاّ في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع " (١).

يقول الزمخشري أيضاً في قوله تعالى : " أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون " (آل عمران :٨٣) : " ... قدّم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إنّ الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل .... " (٢).

فالمعضلة ليست في حصول فعل العبادة أو الرهبة من المخلوقين للخالق ، فالعبادة والرهبة ليست موطن الاهتمام ، لأنها تحصيل حاصل . فالناس سواء كانوا مشركين ، أو كتابيين ، أو مسلمين أو غيرهم ، يَعْبُدون ويَرْهَبون ، بمعنى أن فعل العبادة والرهبة يقع منهم بالفطرة ، وقد يقع على لفظ الجلالة الله سبحانه إلاّ أن المهم هو أن يكون وحده المعبودووحده المرهوب دون إشراك غيره معه فيما هو حق له وحده . ففي تقديم المفعول به ، وبضمير الفصل " إياك " و"ايا" دون غيره من الضمائر إشارةٌ إلى أن المهم هو الإخلاص في التزام العبودية التامة لله في كبير الأمور وصغيرها وليس مجرد قَصْرِ ذلك على الله وحده ، بل فيها إشارةٌ إلى كيفية العبادة وهو الحرص على إتقانها وأدائها كما ينبغي .

ولما أراد المتكلم جلّ وعلا زيادة العناية بالمفعول به أضاف ضميراً متصلاً يعود عليه لتوكيده .

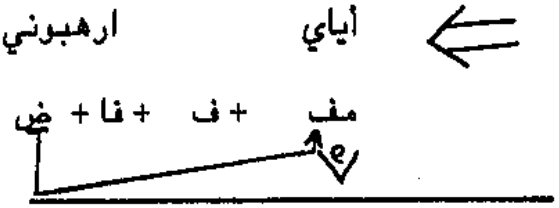

(١) الكشاف ١/٦٢.

(٢) السابق ١/٤٤١، ٤٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي سياق الآية ما يدل على أنهم كانوا على عكس ما أمرهم به سبحانه فعلى الرغم من أنه أنعم عليهم إلاّ أنهم لا يذكرون ذلك ، ولا يوفون بعهده، ويرهبون من ليس له عليهم فضل ومن هو دونه من مخلوقاته ، فيرهبونه من دون الله ، أو يشركونه معه في الرهبة . ومن هنا أكد المفعول وهو المستحق وحده للرهبة بمؤكدين ، وقرنه بالفاء . وفي هذا لهجة حارة من التحذير والتهديد والوعيد إذا استمروا فيما هم عليه . يقول القرطبي : " والرُّهْب والرُّهبةُ ، الخوف . ويتضمن الأمرُ به معنى التهديد " (١).

ولعل هذا التهديد تأتى من دخول الفاء التي أكدت الأمر ، بما يشعر بأنه سيترتب على مخالفته عقابٌ شديد .

وإياي فارهبون

عاطف،(مف + ف (ف + فا + ض)

وحيث إن ما أكد بؤرة الجملة ، أكد مضمون الجملة كلها ، تكون الجملة تحويلية فعلية مؤكدة بمؤكد واحد ، والمفعول به مؤكد بثلاث مؤكدات .

وقد أحسنَ الزمخشري بقوة التوكيد في هذه الآية الكريمة ، وزيادته فيها عن غيرها فقال : " ... وهو من قولك : زيداً رهبته ، وهو أوكد في إفادة الاختصاص من إياك نعبد " (٢) .

وإنما كان الاختصاص أقوى وأوكد في " وإياي فارهبون " لأمور عدة " :

١- إعادة ضمير على المفعول به المقدم مما زاده توكيداً .

٢- أن الفعل في " إياك نعبد " جاء على لسان العبد مخاطباً به ربه عز وجل . مقرراً واقع معتقده في إخلاص العبودية له دون غيره ، في حال تكلمه وفي مستقبله ، فالفعل مضارع ، أما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٢٢/٣٢٣، وانظر إعراب النحاس ١/١٦٧.

(٢) الكشاف ١/٢٧١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في " إياي فارهبون " فالمتكلم هو الله ذو السلطان الأعلى ،والمخاطب العبيد بلغة الأمر ، فهو يأمرهم بإخلاص الرهبة له وحده وقد انحرفوا عما ينبغي أن يكونوا عليه فحمل معنى التهديد والوعيد .

٣- دخول الفاء على الفعل والتي تفيد توكيد معنى الأمر ، وإيجابه . فهي ليست زائدة كما رأى النحاة " دخولها في الكلام كخروجها "(١) .

والذي دفعهم إلى القول بزيادتها أن الجملة في صورة من صورها تستغني عنها مع بقائها جملة عربية سوية ، فهي نظرة تركيبية تهمل الدلالة ، وهي لا تختلف عن نظرتهم إلى حروف الجر المؤكدة والتي عدوها زائدة للسبب نفسه مهملين ما تحدثه في الجملة عند إضافتها من تحويل في دلالتها .

ثم إنه لا يعقل أن تزاد عبثاً ، فالمتكلم لم يزدها لمجرد الرغبة في التنويع اللفظي والشكلي ، وإنما لمعنى يترتب على الزيادة في المبنى . خاصة إذا كان المتكلم هو الله تعالى في أفصح كتاب عرفته العربية .

ألا ترى أن الله تعالى يقرن الفاء بالفعل المشغول عن مفعوله في حالين :

١- إذا أراد تعيينَ وتخصيصَ المفعولِ به المقدمِ ، أو موضعَ الاهتمامِ منه بالحكم .

٢- إذا أراد أن يجعل هذا الفعل بمثابة حكم شرعي لا يقبل نقاشاً ولا جدلاً . فهو أمر ثابت دائم صارم صرامة القانون كما في الآيات التي جاءت مبينة للعقاب المتوجب على المذنبين إلى يوم الدين كما في قوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" و " والزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة " و " واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ..." و"بل اللّه فاعبد " (الزمر : ٦٦) وغيرها .

---

(١) مغني اللبيب ١٤١/١

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣- "وقيل للذين أتقوا ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا : خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خيرٌ ولنعم دارُ المتقين ، جناتُ عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين " (النحل : ٣٠ ، ٣١) .

يقول الفراء(١) : " ترفع الجنات لأنه اسم لنعم كما تقول : نعم الدار دار تنزلها . وإن شئت جعلت (ولنعم دار المتقين) مكتفياً بما قبله ، ثم تستأنف الجنات فيكون رفعها على الاستئناف . وإن شئت رفعتها بما عاد من ذكرها في (يدخلونها) .

والمرجح أن " ولنعم دار المتقين " مكتفياً بما قبله فقد دخل عنصر المدح (نعم) على الجملة بعد أن مدحت الدار الآخرة بأنها خير ، ثم مدحت بتحديد سكانها وهم المتقون دون غيرهم . فالمدح للدار التي تكررت في الجملتين . فالمعنى ولنعم دار المتقين الآخرة ؛ وهذا قول الجمهور ."(٢) لكنهم على هذا المعنى يجعلون (جنات عدن) " بدلاً من الدار فلذلك ارتفع ، وقيل : ارتفع على تقدير: هي جنات ، فهي مبينة لقوله : " دار المتقين " ، أو تكون مرفوعة بالإبتداء ، والتقدير : جنات عدنٍ نعم دار المتقين "(٣) .

أما أن تكون مبتدأ "لنعم" فغير صحيح ، فالسياق يرفض هذا " التركيب ، لأن معنى هذا أن الفعل في يدخلونها " حشوٌ لا أهمية له ، وتعالى الله عن ذلك . أما لو كان بدلاً لكان فضله من أجل التفسير والتوضيح لسابق ، لكن الواقع أن جنات عدن " عنصر أساس في الجملة الفعلية " جنات عدنٍ يدخلونها " لا تستغني عنه الجملة ، أما أن تكون " جنات " مبتدأ وخبرها "يدخلونها" فهو من الاحتيال على المعنى وتقدير ما لا داعي لتقديره ، فالجملة فعلية قدّم فيها الفاعل للأهمية . فأصل الجملة التوليدي :

---

(١) معاني القراء ٢/٩٩ ، ولم يعربها الأخفش. انظر: معاني القرآن ٢/٣٨٢

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٠١.

(٣) السابق ، الموضع نفسه.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

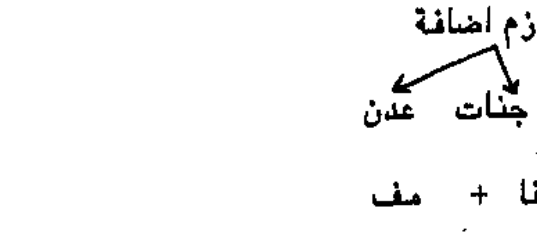

والضمير الفاعل يعود على المتقين في " دار المتقين " وهذا دليل على أن الجنّات ليست بدلاً من دار المتقين .

ثم أراد المتكلم العناية بالمفعول به ، والمسارعةَ بالبشرى فقدّم المفعول

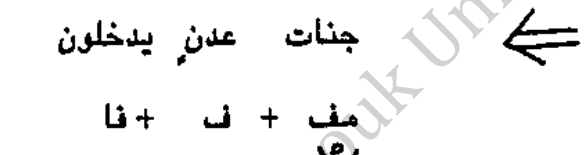

ثم أراد التوكيد أكثر

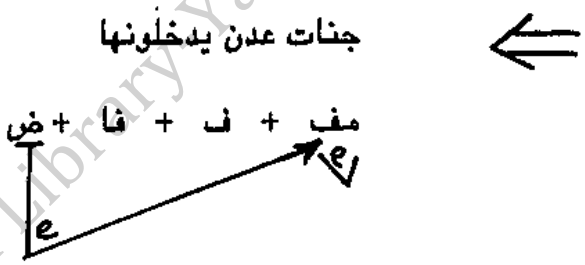

ولكن من العرب من ينصب المفعول المقدم ، ومنهم من يعطيه حركة الرفع ، ولعل في إعطائه حركة الإسناد إيهاماً للسامع بأنه مسند إليه فينتظر محط الفائدة مشنفاً أذنيه ومركزاً حواسه فيفاجأ بالجملة فعلية فيدرك أن التقديم للأهمية والعناية .

" وقرأ زيدُ بنُ ثابتٍ وأبو عبدِ الرحمن "جناتِ عدنٍ" بالنصب على الاشتغال أي يدخلون جناتِ عدن يدخلونها وهذه القراءة تقوي إعراب جنات عدنٍ بالرفع ، ...." (١) . فهي على هذا الأساس مفعولٌ للفعل " يدخلون " ، لكن حركة الرفع أوهمت النحاة الذين يعتمدون العامل في إعرابهم بأنها مبتدأ ، أو خبر ، أو بدل بحثاً عن تبرير للحركة الإعرابية هادرين المعنى الذي يَفْرِضُه السياق .

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل الآيات الكريمة التالية :

---

(١) البحر المحيط ٤٨٨/٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١- أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض ...." (آل عمران:٨٣) .

٢- ثمّ أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ...." (آل عمران : ١٥٤).

٣- " ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً (النساء: ١٦٤) .

٤- " قل : أغيرَ الله أبغي رباً وهو ربٌ كل شئ " (الأنعام :١٦٤)

٥- " ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار " (الأنفال :١٤)

٦- "قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون " (الزمر : ٦٤) .

٧- " بل الله فاعبد وكن من الشاكرين " (الزمر : ٦٦) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" أو كصيبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من الصواعق حذرالموت والله محيطٌ بالكافرين . " (البقرة :١٩).

" حذرَ وحذارَ بمعنى ؛ وقريء بهما . قال سيبويه : هو منصوب ؛ لأنه موقوعٌ له أي مفعول لأجله ، وحقيقته أنه مصدر ؛ وانشد سيبويه (١) .

وأَغْفِرُ عَوْرَاءَ الكَرِيمِ ادِّخارَهُ وأُعْرِضُ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا (٢)

وقال الفراء : هو منصوب على التمييز " (٣) .

يقول سيبويه : " هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذرٌ لوقوع الأمر ، فانتصب لأنه موقوع له ، ولأنه تفسير لما قبله ؛ لم كان ؟ وليس بصفة لما قبله ولا منه فانتصب " درهم " في قولك : عشرون درهماً ..." (٤).

وعلى الرغم من أن سيبويه حين قال بأن هذا الموقوع له في حقيقته مصدر ، قصد أنه مصدر ببنيته الصرفية لا ببابه النحوي ، وقرن هذه البنية الصرفية بالدلالة وغرض المتكلم منه ، وهو السببية والعلة .

وكذلك حين قال بأنه منصوب لأنه تفسير لما قبله كما يُنْصَبُ " درهم " في : عشرون درهماً لم يكن يقصد حمله على التمييز دلالة كما لم يرد أن يجعله في بابه النحوي ، بين حمله عليه من حيث كون نصبه غير متأت من وقوع الفعل عليه مباشرة ، بمعنى أنه ليس مفعولاً به للفعل ، إلاّ أن من جاء بعده من نحاة وغيرهم حملوا كلامه على ظاهرة فقالوا في إعراب المصدر المنصوبِ الدال على السببيةِ بأنه مفعول مطلق ، فقدروا له فعلاً تقديره " احذر حذرَ المـــوت "

---

(١) الكتاب ١/٣٦٨، ٣/١٢٦.

(٢) للشاهد لحاتم الطائي في ديوانه ص ٢٢ ، و ..." معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٥٧٨)

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٢٠.

(٤) الكتاب ١/٣٦٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما قال آخرون بأنه تمييزٌ على الرغم من أنه لا يمكن أن يكون تمييزاً في دلالته ولا حتى في تركيبه .

ففي مثال سيبويه : عشرون درهماً

لا تستغني الجملة بحال عن التمييز " درهم " وتبقى الجملة مبهمةً غيرَ تامةٍ بحاجةٍ إلى مفسرٍ ومبينٍ نوعَ هذا العدد .

أما في الآية الكريمة: فالأصل التوليدي يجعلون أصابعهم في آذانهم

ف + فا + مف

فالجملة في صورة من صورها يمكن أن تستغني عن المفعول لأجله " حذر الموت" مع بقائها تعطي معنى يحسن السكوت عليه .

الاّ أن المتكلم لما أراد إيضاحَ علةِ الحدثِ وسببِه أدخل المصدر منصوباً على الجملة التوليدية لإضافة معنى جديد وهو السببية ، كما جاء القيد المخصص " من الصواعق " أيضاً مرتبطاً بالسببية مع الفعل

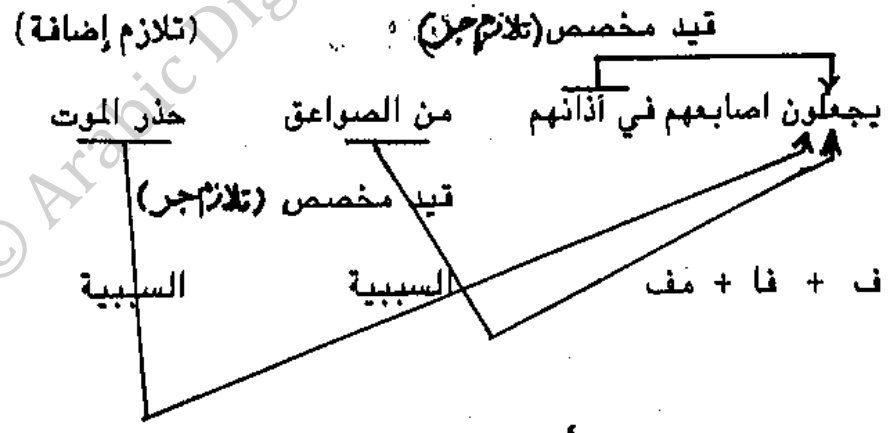

فقد بين المتكلم جل وعلا علة جعلهم أصابعهم في آذانهم، الصواعق ، ثم أراد أن يبين أكثر أن ليس ذلك من الصواعق في ذاتها بل لما تنطوي عليه من رعب وموت . فإذا كانت الصواعق سببَ ما فعلوه ، فقد كان حذر الموت سبباً في خوفهم من الصواعق .

يقول أبو حيان : " ... "ومِنْ" تتعلق بقوله " يجعلون" وهي السببية أي من أجل الصواعق ، و"حذر الموت" مفعول من أجله وشروط المفعول من أجله موجودة فيه ..."(١) ووفقاً لما تقتضيه

(١) البحر المحيط ٨٧/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نظرية العامل والمعمول قال سيبويه بنصبه على نزع الخافض حملاً على الجملة التي تَجُرّ فيها لام العلة المصدرَ سواءٌ كان صريحاً ، أو مؤولاً ، جرياً وراء البحث عن مبرر للنصب يقول : " ... إن هذا كله ينصب لأنه مفعول له كأنه قيل له : لم فعلت كذا وكذا فقال ، لكذا وكذا ، ولكنه لما طرح اللام عمل فيه ما قبله ..." (١).

ولا نرى هذا لما فيه من بعد عن واقع اللغة الوصفي ، فليس ثمة أصل وفرع اذ لا دليل على ذلك ، وإنما هما أسلوبان من أساليب العربية المتعددة في التعبير عن العلة والسبب في صدور الحدث ، ولو بَوّبَ النحاةُ النحو على أساس من المعنى لا الحركةِ الإعرابيةِ لانضوى تحت باب السببيةِ مثلُ هذه الأساليب في الأمثلة التالية :

حضرتُ من أجلك

جئتك لتكرمَني

جئتك إكراماً لك

تعذر حضوري بسبب المواصلات

جئتك لانعدام الصديق

دخلت امرأة النار في هرة

فكل هذه الأساليب تصلح لأن تكون جواباً عن سؤال : لم فعلت كذا؟ كما وقع الخلاف بين النحاة فيما بعد في علة نصبه فأخذ بعضهم بنصبه على نزع اللام ، وذهب آخرون إلى نصبه على تقدير فعل محذوف من جنسه ، كما لو كان مفعولاً مطلقاً يقول الزجاج : " ... وإنما نصبت (حذر الموت) لأنه مفعول له ، والمعنى : يفعلون ذلك لحذر الموت ، وليس نصبه لسقوط

---

(١) الكتاب ٣٦٩/١ ، وانظر : الأصول ٢٠٨/١ ، وشرح المفصل ٥٢/٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللام ، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر كأنه قال : يحذرون حذراً لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق يدل على حذرهم الموت ...." (١) وهو رأي الكوفيين وابن عصفور(٢) فهم يقولون : " ... ينتصب انتصاب المصادر وليس على إسقاط حرف الجر، ولذلك لم يترجموا له استغناء بباب المصدر عنه ، وكأنه عندهم من قبيل المصدر المعنوي فإذا قلت : ضربت زيداً تأديباً ، فكأنك قلت : أدبته تأديباً ....(٣) . ولا يخفى ما في تقدير فعلٍ من جنس المصدر ينقله من بابه الى بابِ المفعول المطلق والذي غرض المتكلم منه توكيدُ الحدث في حين أن غرض المتكلم تبيانُ سببِ وقوع الحدث . " والمصدر نوعان : مبهم ، وهو ما يساوي معنى عامله من غير زيادة كقمت قياماً ، وجلست جلوساً ، وهو لمجرد التأكيد ، ومن ثم لا يثنى ولا يجمع لأنه بمنزلة تكرير الفعل ...ولذا قال ابن جني : إنه من قبيل التأكيد اللفظي ، وقيل إنه من التوكيد المعنوي لإزالة الشك عن الحدث ، ورفع توهم المجاز وعليه الآمدي وغيره "(٤).

وفي قوله : " مؤكد للحدث" دقةٌ في التعبير وإصابةٌ فهو لا يُؤَكِدُ الفعلَ بمعناهُ الاصطلاحي بل الحدث بكل وجوهه ، فمنه قوله تعالى : " فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً" (الإسراء :٦٣) . فقد أكد الخبرَ الذي هو مصدَرٌ يحمل الحدث .

ولا يختلف المحدثون مع القدماء في تعيّن المفعول المطلق للتوكيد(٥) .

- أما الفراء فذهب إلى نصبـــه على التفسير (التمييز) على الرغـــم من إدراكـــه معنى

---

(١)معاني الزجاج ١/٩٧.

(٢) هو ابو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن احمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور الحضرمي . من أهل اشبيلية ، تخرج على أبي الحسن بن الدباج أولاً ، ثم على الشلوبين ثانياً ، وكان بقية العاملين للواء العربية بالمغرب ، وكان كثير المطالعة ، له تاليف حسان .... أمام بتونس يشغل الطلبة ... توفي سنة ٦٦٩." اشارة التعيين ص ٢٣٦ ، ٢٣٧.

(٣) الهمع ٢/١٣٣ وانظر : التصريح ١/٣٣٧.

(٤)الهمع ٢/٩٦.

(٥) انظر: في نحو اللغة وتراكيبها ص ٢٧٣-٢٧٧ . و " التراكيب اللغوية في العربية ،د. هادي نهر ،ص ١١٠-١١٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

«السببيةِ فيه ، إذ لم يستطع التخلصَ من قيود نظرية العامل التي توجب أن يكون كل منصوب معمولاً لعامل ، ولأن المفعول لأجله لا يصلح أن يكون معمولاً للفعل حملاً على أم باب المنصوبات (المفعول به) يحمله على التمييز . وقد كان الأولى الاكتفاء بمصدريته ودلالته على السببية ليكون منصوباً وفق ما جرى على ألسنة أهل اللغة الفصحاء الذين يحركون أواخر الكلم حسب أغراضهم ومعانيهم دون حمل على أبواب نحوية أخرى توافقها في حركات الأواخر، وتخالفها تماماً في الغرض الدلالي الذي تؤديه .

يقول الفراء :" فنصب (حذر) على غير وقوع من الفعل عليه ، لم ترد يجعلونها حذراً ، إنما هو كقولك ، أُعطيتك خوفاً وفرقاً . فأنت لا تعطيه الخوف ، وإنما تعطيه من أجل الخوف ؛ فنصبه على التفسير ليس بالفعل ، كقوله جل وعز : "يدعوننا رغباً ورهباً " (الأنبياء : ٩٠) وكقوله : "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية " (الأعراف :٥٥) والمعرفة والنكرة تفسران في هذا الموضع ، وليس نصبه على طرح " من " (١).

أما الزمخشري والنحاس فيذهبان إلى أنه مفعول لأجله (٢) نظراً إلى المعنى . وهذا ما نراه دون لجوء إلى تطبيق شروط النحاة التي استُحْدِثَت بعد سيبويه ، ورَفَضَها فريقٌ آخرُ من النحاة أنفسِهم ، على الرغم من أن جميع شروطهم هذه تنطبق على " حذر الموت " إلاّ أننا لا نثبت ما ذهبنا إليه إلا بقرينة المَعنى والمصدرية ، لما في هذه الشرائط من تعجلٍ وعدمِ دقةٍ وشموليةٍ تسلم إلى تعقيدٍ لا طائل من ورائه ، ولا ضرورةَ له .

وفيما يلي نستعرض هذه الشروطَ لإثبات عدمِ صحتِها باستثناء شرط المصدرية والعلة :

١- أن يكون مصدراً : " لأن المصدر يشعر بالعلية والذوات لا تكون عللاً للأفعال غالباً فلا يجوز جئتك السمنَ والعسلَ بالنصب لأنه اسم عين لا مصدر ، وهذا الشرط قاله الجمهور" (٣)

---

(١) معاني الفراء ١/١٧. ولم يذكر الأخفش أي وجه إعرابي في هذا الموضع .(انظر: معاني الأخفش ١/٥٠.

(٢) انظر: الكشاف ١/٢١٨ ، وإعراب النحاس ١/١٤٤.

(٣) التصريح ١/٣٣٤. وانظر: الهمع ٢/١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقول سيبويه " هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذرٌ لوقوع الأمر ، فانتصب لأنه موقوع له ، ... " (١).

ويقول ابن يعيش : " ... وإنما وجب أن يكون مصدراً لأنه علةٌ وسببٌ لوقوع الفعل وداعٍ له ... " (٢) .

وهذا ما لاخلاف فيه ، وإن كنا نرى أن ليس المصدر المنصوب وحده يأتي لمعنى السببية – كما أسلفنا إلاّ أنّ المفعول لأجله المقصود في هذا الباب هو المنصوب ، لا غيره من أساليب السببية

٢- أن يكون قلبياً : أي من أفعال النفس الباطنة كالرغبة لأن العلة هي الحاملة على إيجاد الفعل الحامل على الشيء متقدم عليه ، وأفعال الجوارح ليست كذلك فلا يجوز : جئتك قراءة للعلم ، من أفعال اللسان ...، وهذا الشرط مستغنى عنه بشرط اتحاد الزمان لأن أفعال الجوارح لا تجتمع في الزمان مع الفعل المطلق قاله الشاطبي ، ... " (٣).

ونرى رأي الشاطبي في الاستغناء عن هذا الشرط لكن بدون اشتراط اتحاد الزمان – كما سيتضح هذا لاحقاً – ذلك أن من أمثلة النحاة المصنوعة : ضربت ابني تأديباً له(٤) – كما ذكر آنفاً – و"تأديباً " ليس بفعل قلبي . ونقول : جئت بحثاً عن علي ، والبحث ليس بفعل قلبي.

٣- كونه علة : لأنه الباعث على الفعل واستشكل جعل العلة شرطاً لأنها محل الشروط ومحل الشروط لا يجعل شرطاً ، وجوابه أن هذه الشروط لنصبه لا لتحقيق ماهيته . ومن هذه العلل ما كان جِبِلّياً من الأوصاف اللازمة كقعد عن الحرب جبناً فإن الجُبْنَ وصفٌ جِبِلّـــيٌ

---

(١) الكتاب ١/٣٦٩.

(٢) شرح المفصل ٢/٥٢

(٣) التصريح ١/٣٢٤، ٣٢٥ . وانظر شرح المفصل ٢/٥٢ والهمع ٢/١٣٢.

(٤) انظر: شرح المفصل ٢/٥٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لازم(١) .

وهذا لب الموضوع اذ العلة هي التي تبرر حركة النصب على المصدر لا شيء آخر. ومن هنا يؤخذ بهذا الشرط دليلاً على أن المصدر جاء مفعولاً لأجله مما يميزه عن غيره من المصادر المنصوبه .

٤- اتحاده بالمعلل به وقتاً : بأن يكون وقت الفعل المعلل بأن يقع الحدث في بعض زمن المصدر أو يكون أول زمان الحدث آخر زمان المصدر نحو : حبستك خوفاً من فرارك أو بالعكس نحو : جئتك إصلاحاً لحالك . فإن لم يتحدا امتنع النصب ، فلا يجوز : تأهبت اليوم السفر غداً ، أن زمن التأهب غير زمن السفر وهذا الشرط قاله الأعلم يوسف الشنتمري (٢) والمتأخرون كالشلوبين(٣) ، وقال تلميذه ابن الضائع(٤)لم يشترطه سيبويه ولا أحد من المتقدمين فعلى هذا يجوز جئتك أمس طمعاً في معروفك الآن .(٥)

وأضح من ردّ النحاة أنفسِهم سقوطُ هذا الشرط ، أما مثالهم المصنوع للدلالة على عدم صحة السببية في المصدر ما لم يتحد مع الفعل زماناً فليس دليلاً على صحة ما ذهبوا إليه ، والضعف ليس في عدم اتحاد المصدر بالفعل زماناً ، بل في المثال نفسه ، والمصـــدر أصلاً يـــدل

---

(١) السابق ١/٣٣٥ ، بتصرف . وانظر شرح المفصل ٢/٥٣.

(٢) يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي ، يعرف بالأعلم من أهل شنتمرية الغرب ، يكنى أبا الحجاج ، أخذ عن الإفليلي وطبقته . إمام باللغة والنحو ومعاني الأشعار. له مصنفات عديدة . ولد سنة ١٤١٠هـ وتوفي بالأندلس باشبيلية سنة ٤٧٦هـ وقيل ٤٤٦. انظر: إشارة التعيين ص ٢٩٣، والإنباه ٤/٥٩-٦١.

(٣) أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الشلوبين . والشلوبين بلغة أهل الأندلس الأشقر الأبيض . إمام في اللغة العربية ، أستاذ فيها، أخذ الجلة عنه كتاب سيبويه . له تاليف مفيدة ولد سنة ٥٦٢ هـ وتوفي سنة ٦٤٥هـ انظر : اشارة التعيين ص ٢٤١، والإنباه ٢/٣٣٢-٣٣٥.

(٤) علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتامي ، يعرف بابن الضائع ، لازم الشلوبين ، ولازم عبد الله العرافي الفاسي ، وأخذ عنه علم الكلام ، وكان إماماً في العربية وعلم الكلام ، توفي بقرناطة سنة ٦٨٠هـ. انظر: اشارة التعيين ص ٢٣٥.

(٥) التصريح ١/٣٣٥، بتصرّف . وانظر شرح المفصل ٢/٥٣ ، ٥٤ والهمع ٣/١٣٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

على عمومية الحدث ، فهو حدث غير مؤطر بزمن معين محدد . كما أن الأولى الأخذ بالشواهد لا بالأمثلة المصنوعة التي حاكتها الفلسفة المغرقة في التكلف ففي قوله تعالى : " هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً " (الرعد :١٢) الخوف والطمع في المستقبل لا في زمن الفعل . كما سَتُوَضِّحُ هذه الفكرة خلال الشرط التالي .

٥- اتحاده بالمعلل به فاعلاً : " بأن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحداً كقوله تعالى : " يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت " فإن اختلف الفاعلان امتنع النصب فلا يجوز : جئتك محبتك إياي ؛ لأن فاعل المجيء المتكلم وفاعل المحبة المخاطب . وهذا الشرط قاله المتأخرون أيضاً وخالفهم ابن خروف(١) فأجاز النصب مع اختلاف الفاعل محتجاً بنحو قوله تعالى : " هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً " ففاعل الإرادة هو الله تعالى ، وفاعل الخوف والطمع المخاطبون وأجابه ابن مالك في شرح التسهيل فقال : معنى يريكم : يجعلكم ترون ، ففاعل الرؤية على هذا هو فاعل الخوف والطمع ، وقيل هو على حذف مضاف أي إرادة الخوف والطمع وجعل الزمخشري الخوف والطمع حالين(٢) ، واقتصر في النظر على بعض الشروط ...(٣) . وفي رأي ابن مالك تكلف واضح ، فالقول بأن الله جعلهم يرون ليكونوا فاعلين للفعل والمصدر قول فيه فلسفة ، اذ على هذا الأساس يكون كل فعل يصدر من الإنسان يكون فاعله الله في الواقع لأنه هو الذي يجعلهم يفعلونه . وعليه فإنه يمكن الاحتجاج على ابن مالك بما قال إذ يكون فاعل الرؤية الله ، وفاعل الطمع الله ، بمعنى أنه هو الذي جعلهم يرون ، وهو الذي جعلهم يطمعون ، وليس الفاعل الإنسان للفعلين .

وهذا يؤدي إلى فوضى لما فيه من خلط بين اللغة والفلسفة . فحين نقول : فاعل فإن ذلك

---

(١) علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي من أهل اشبيلية ، يعرف بابن خروف ، كان إماماً في النحو واللغة أخذ كتاب سيبويه عن أبي اسحاق بن ملكون ، وأبي بكر بن طاهر الحدب ، له مصنفات مفيده توفي سنة ٦٠٩ هـ انظر: إشارة التعيين ص٢٢٨.

(٢) انظر : الكشاف ٢/٣٥٢، ٣٥٣.

(٣) التصريح ١/٣٣٥. وانظر شرح المفصل ٢/٥٣ ، ٥٤ والهمع ٢/١٣٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يعني أننا ننظر إلى التركيب النحوي ، ولا ينبغي عندها اللجوء إلى الفلسفة حرصاً على ألاّ نخالف قاعدة خاطئة .

ويُريكم"فاعله تركيبياً ونحوياً هو الله ، و " كم " مفعول به ، والطمع صادر عن " انتم المضمرة" والتي دلت عليها " كم " فهو فاعل . فما كان مفعولاً للفعل صار فاعلاً للمصدر.

يقول أبو حيان " : وقال أبو البقاء : خوفاً وطمعاً مفعول من أجله . وقال الزمخشري لا يصح أن يكون مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل الفاعل المعلل لأن ارادة الله فعل الله والخوف والطمع فعل المخاطبين فلم يتحد الفاعل في الفعل في المصدر (١)، وهذا الذي ذكره الزمخشري من شرط اتحاد الفاعل فيهما ليس مجمعاً عليه من النحويين ، ولا يشترط ذلك وهو مذهب ابن خروف" (٢).

٦- واشترط الجرمي(٣) والمبرد والرياشي(٤) كونه نكرة ، وانه وإن وجدت فيه "ال" فزائدة لأن المراد ذكر ذات السبب الحامل ، فيكفي فيه النكرة ، فالتعريف زيادة لا يحتاج إليها.

وردّه سيبويه والجمهور ، فإن السبب الحامل قد يكون معلوماً عند المخاطب فيحمله عليه، فيعرفه ذات السبب ، وأنها المعلومة له ، ولا تنافي بينهما "(٥) .

---

(١)انظر: الكشاف ٢/٣٥٢.

(٢)البحر المحيط ٥/٢٧٤.

(٣) صالح بن اسحاق ، ابو عمر الجرمي ، مولاهم ، وقيل من أنفسهم ، وقيل مولى بجيله . أخذ من الأخفش وغيره ، ولقي يونس . وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي . كان ذا دين وورع ، عالماً باللغة ، حافظاً لها. وكان يفتي الناس في كتاب سيبويه ، مع ما عنده من العلم والحديث ، وله في النحو كتاب " الفرخ " . توفي سنة ٢٢٥هـ. انظر : اشارة التعيين ص ١٤٥، والإنباه ٢/٨٠-٨٣.

(٤) " عباس بن الفرج الرياشي أبو الفضل ، ويقال له أبو الفرج . إمام في النحو واللغة ، كثير الرواية للأشعار . أخذ عن الأصمعي ، وكان يحفظ كتبه . قرأ على المازني كتاب سيبويه ، ... قتله الزنج بالبصرة لما دخلوها ، ووجدوه قائماً يصلي الضحا سنة ٢٥٧ هـ" . اشارة التعيين ص ١٥٨، وانظر الإنباه ٢/٣٦٧-٣٧٣.

(٥)الهمع ٣/١٣٣

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يقول سيبويه : " واعلم أن هذا المصدر ينتصب لأنه مفعول له يكون معرفة ويكون كشعر حاتم ..." (١) .

وعلى هذا يسقط الشرط كونه نكرة اذ يأتي معرفاً بالإضافة كما في شاهد حاتم ، وكما في الآية الكريمة " حذر الموت" ، إلاّ أننا لا نرى جوازه معرفاً بـ" أل" ذاك أن ليس عليه شواهد إلاّ اثنين من الشعر.

الأول : " لا أَقْعُدُ الجُبْنَ عَنِ الهَيْجَاءِ وَلَوْ تَوالَتْ زُمَرُ الأَعْدَاءِ

وحيث إنه مجهول القائل فلا يعول عليه ، وإن جاز شعراً – على ضعفه – فهو غير جائز في مطلق الكلام ، فالشعر موطن ضرورة .

ولهذا قال النحاة فيه النصب في المعرف بأل أقل منه بلام الجر يقول السيوطي :" وإن كان معرّفاً باللام فالجر أكثر ، ويقل النصب " (٢).

الثاني : " فَلَيْتَ لي بِهِمْ قَوْماً إذا رَكِبُوا شَنُّوا الإغارَةَ فُرْسَاناً ورُكْبَاناً " (٣)

ولا نحسب " الإغارة" في هذا الشاهد مفعولاً له أصلاً ، وإنما هو مفعول به .

وقد أشار إلى هذا محقق شرح ابن عقيل .(٤)

ذلك أن مبنى الجملة التوليدية لا يكتمل إلاّ به ، فالجملة بدونه لا تعطي معنى يحسن السكوت عليه . ولو كان مفعولاً لأجله لكان فضله ، في حين أنه عمدة .

وفي ضوء ماسبق يمكن تحليل الآيات الكريمة التالية :

١- بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل اللّهُ بغياً أن ينزّل من فضله على من يشاء من عباده ...." (البقرة :٩٠) .

---

(١) الكتاب ١/٣٦٩.

(٢) الهمع ٢/١٣٤، وانظر : ابن عقيل ١/٥٧٥.

(٣) الشاهد لقريط بن أنيف العنبري . انظر : معجم حداد، رقم الشاهد (٢٩٢٢) .

(٤) ابن عقيل ١/٥٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- " ومنَ الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد "
(البقرة : ٢٠٧)

٣- " فلعلّك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا"
(الكهف :٦) .

٤- "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً " (الكهف : ٧) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" قالت : يا ويلتي أألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً إنّ هذا لشيء عجيب " (هود :٧٢).

" شيخاً يقرأ بالنصب والرفع .

فالنصب على الحال من المشار إليه والعامل فيها ما في (هذا) من معنى الإشارة أو التنبيه ، فكأن المعنى ، أشير إليه شيخاً ، أو أنبه إليه شيخاً ، وشيخاً ناب عن قوله والداً ، وهذه الحال لا تجوز إلاّ اذا كان المخاطب يعرف صاحبها، وذلك أنه إذا كان المخاطب يعرف صاحبها لم يفض إلى محال وكانت فائدة الإخبار في الحال وقد أفادت المخاطب وقوع الحال منه . فكان فيه فائدة ، وقد أفدت المخاطب ، وإذا لم يعرف المخاطب صاحبها، كان فائدة الأخبار في معرفة صاحب الحال، وذلك يؤدي إلى المحال ، لأنك إذا قلت : هذا زيدٌ قائماً ، فقد أخبرت أن المشار اليه زيدٌ في حال قيامه ، وإذا لم يكن قائماً لم يكن زيداً ، وذلك محال .

والرفع من أربعة اوجه .

الأول : أن يكون خبراً بعد خبر.

والثاني : أن يكون بدلاً من (بعلي) .

والثالث : أن يكون (بعلي) بدلاً من (هذا) ويكون (شيخ) خبراً عن (هذا) .

والرابع : أن يكون شيخ خبر مبتدأ آخر على تقدير ، هذا شيخ . ونظيره في هذه الأوجه الأربعة، قوله تعالى : ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا" (الكهف : ١٠٦) .

وكذلك قول الشاعر :

مَنْ يَكُ ذَا بَتٍّ فَهَذَا بَتِّي مُصَيِّفٌ مُقَيِّظٌ مُشَتِّي . (١)،(٢)

---

(١) الشاهد لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه ص ١٨٩. انظر: معجم حداد ، رقم الشاهد (٣٢٧١).

(٢) البيان ٢/٢٢، ٢٣، وانظر : معاني الزجاج ٣/٦٣، ٦٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد قال الأخفش بالوجهين الأولين في الرفع وأضاف وجهاً وهو: أن "... يكون أخبر عنهما خبراً واحداً ، كنحو قولك : هذا أخضر أحمر" (١) .

فهذه ستة أوجه ، وأضاف العكبري وجهاً سابعاً وهو : "أن يكون بعلي عطف بيان ، وشيخ الخبر" (٢).

ولا خلاف بين العلماء من نحاة ومفسرين في تخريج قراءة النصب ، فهم متفقون على أنه على الحال رابطين بذلك بين المبنى والمعنى .

وقراءة النصب هي قراءة الجمهور (٣)، وعليها يعوّل .

يقول الزجاج ، "القراءة النصب وكذلك هي في المصحف المجمع عليه ، وهو منصوب على الحال ، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه" (٤) .

أما قراءة الرفع فهي قراءة ابن مسعود(٥) والأعمش(٦) والمطوّعي ، وأبيّ(٧) .وفي ماذهب إليه علماؤنا الأبرار من أن المخاطب يعرف صاحب الحال التفات كبير إلى الدلالة وإلى أن أصل الجملة التوليد ، هو :

هذا بعلي

م + خـ

---

(١) معاني الأخفش ٢/٣٥٦. وانظر : التفسير الكبير ١٨/٢٨، والبحر المحيط ٥/٢٤٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٧٠، والكشاف ٢/٢٨١.

(٢) التبيان ٢/٧٠٧، وانظر : البحر المحيط ٥/٢٤٤.

(٣) فالقراءة بغير النصب لم ترد في "النشر" و"الكشف" وقد أوردها ابن جني في "المحتسب" وعزاها للأعمش ١/٣٢٤، ٣٢٥ .

(٤) معاني الزجاج ٢/٦٣.

(٥) انظر: معاني الأخفش ٢/٣٥٦ . والبحر المحيط ٥/٢٤٤ ، ومعاني الفراء ٢/٢٣.

(٦) انظر: البحر المحيط ٥/٢٤٤ .

(٧) معجم القراءات القرآنية . عبد العال مكرم واحمد عمر مختار ، ٥/١٢٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا شك في أن الملائكة تعرف نوع العلاقة المقدسة بين سارة وإبراهيم عليهما السلام ، وهو رباط الزوجية ، إلاّ أنها كانت في موقف المتعجب المنفعل من أن تنجب مع كون حالها وحال زوجها لا يسمح بذلك . وسياق الآية كله يشير إلى هذا فبادئُ ذي بدء قالت : " يا ويلتا" كلمةُ تعجب وانفعال ، ثم قالت : " أألد وأنا عجوز " فتعجبت بصيغة أخرى وهي صيغة الاستفهام ، وليس حالُها فحسب مينوساً منها وجديراً بالتعجب وفق سنن الله الطبيعية ؛ بل وحالُ زوجها أيضاً مينوس منها " وهذا بعلي شيخاً .

ثم صرحت بالتعجب بلفظٍ معبّرة عن مدى تعجبها بصيغة التوكيد ، فقالت : " إن هذا لشيء عجيب " فأكدت مضمون الجملة بإنّ ، ثم أكدت الخبر" شيء عجيب " باللام ، فأصبح مؤكداً بمؤكدين زيادة في الاهتمام به .

وقد أشار القرطبي إلى دلالة السياق على التعجب فقال : " .... ولم ترد الدعاء على نفسها بالويل ، ولكنها كلمة تخف على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يَتَعَجَّبْنَ منه ، وَعجِبَت من ولادتِها ومن كون بعلها شيخاً لخروجه عن العادة ، وما خرج عن العادة مُسْتَغْرَبٌ مُسْتَنْكَرٌ . و(أألد) استفهام معناه التعجب ."(١)

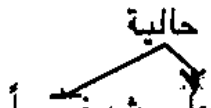

(م + خ) + حال

فقد داخل الجملة زيادة في آخرها لغرض في المعنى وهو الحالية . يقول العكبري :

"(هذا) مبتدأ ، و (بعلي) خبره ، و (شيخاً) حال من (بعلي) مؤكدة ، إذ ليس الغرض الإعلام بأنه بعلها في حال شيخوخته دون غيرها ."(٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦٩/٩. وانظر البحر المحيط ٢٤٤/٥.

(٢) التبيان ٧٠٧/٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أما من جوّز القراءة بالرفع فلأن اللغة تقبله في وجه من وجوهها ، كما تقبله قواعد النحو ؛ إلاّ أن المعنى المراد والذي يُحَتِّمُه سياق الآية الكريمة هذه لا يقبل إلاّ النصب .

إذ لو كان " شيخ " بالرفع لكان أصل الجملة .

بعلي شيخٌ

م + خـ

فالفائدة في " شيخ " ثم دخلت هذا على صورة عنصر تنبيه ذي وظيفة دلالية لا تركيبية وهو توكيد مضمون الجملة .

يقول ابن يعيش : " واعلم أن " ها " كلمة تنبيه وهي على حرفين كـ " لا " و " ما " ، فإذا أرادوا تعظيم الأمر والمبالغة في إيضاح المقصود جمعوا بين التنبيه والإشارة وقالوا : هذا ، وهذه وهاته ، وهاته وهاتي ، ... " فها " للتنبيه ، وذا للإشارة ، والمراد تنبّه أيها المخاطب لمن أشير إليه ... " (٢).

ويقول المبرد : " إن الأصل " ذا " في هذا ، والهاء للتنبيه ، والكاف في " ذاك " للمخاطب ، وتشير إلى أن المتكلم يومىء إلى البعيد وكذلك الحال في بنية أسماء الإشارة . " (٤).

هذا من حيث الدلالةُ لكنهم عند إعرابها يعدونها زائدة . يقول المبرد : " والهاء في جميع هذا زائدة " (٣).

مما يدلّ على أن التنبيه تأتى من اسم الإشارة نفسه : " ذا " و " هذا " لا من الهاء في " هذا " . فالإشارة نفسها هي التي تنبه السامع ، ثم تؤكد المنبه إليه .

و " هذا " كتلة لغوية واحدة لا تقبل التجزئة ، وهي و " ذا " صيغتان موجودتان في لغة العرب ، كل منهما مستقلة عن صاحبتها في التركيب ، ذات دلالة واحدة . وهمـــا من عـادات العـــرب

---

(١)شرح المفصل ٣/١٣٦

(٢)المقتضب ٣/٢٧٥

(٣)السابق ٤/٢٧٨

©Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللغوية ليس غير .

فالجملة ⟸ هذا بعلي شيخ

(م + خ)

بينما كانت " هذا " في حال النصب عنصراً رئيساً في الجملة ، ذا.. وظيفة تركيبية بني عليه الخبر ، فهو نواة الجملة التوليدية .

وحيث إن وظيفةَ " هذا " في حال الرفع توكيدُ خبرٍ يفترض عندها أن يكون منزلاً منزلة الجحود ، وواقع الأمر ليس كذلك ؛ وإنما غرض المتكلمة التعجب من حال بعلها لا توكيدُ شيخوخته للملائكة ، وهم به عالمون - كان النصب هو قراءةَ الجمهور.

يقول الفخر الرازي في " وهذا بعلي شيخاً: فالعامل أنّ " شيخاً" منصوب على الحال . قال الواحديّ ، رحمه الله : وهذا من لطائف النحو وغامضه فإن كلمة " هذا" للإشارة ، فكان قوله " وهذا بعلي شيخاً" قائم مقام أن يُقال : أشيرُ إلى بعلي حال كونه شيخاً ، والمقصود تعريف هذه الحال المخصوصة وهي الشيخوخة "(١).

وبذا يُتَخَلَّصُ من الإشكال الذي أوقع النحاة في اضطراب واختلاف في إعراب الجملة بعد دخول " هذا " في حال الرفع ، وما ذاك إلاّ لأنهم نظروا دائماً على أنها ذاتُ وظيفة تركيبية وما دامت الجملة قد افتتحت بها فتصدرتها فهي مبتدأ ، ولما كان وراءها اسمان مرفوعان ، وهما المبتدأ والخبر الأصليان في الجملة التوليدية ، فهما يصلحان لأن يكونا مبتدأ تارة وخبراً تارة أُخرى ، كما يصلحان لأن يكونا بدلاً أو عطف بيان ، حسب ما تجود به عقول النحاة وتفننهم في التقدير ، ولا مشكلة عندهم ما دام التخريج مبرراً حركة الرفع عليهما ، متجاهلين ما في تعدد هذه الوجوه من اخراج للكلام عن معناه الأوحد الذي قصده المتكلم . مشتتين المعنى في سبعة معانٍ تبعاً للأبواب السبعة التي أفضت إليها تخريجاتهم على الرغم من ما في " هذا " من

---

(١) التفسير الكبير ١٨/٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معنى الإشارة والتنبيه ومن هنا قالوا بأن عامل الحال في (شيخاً) " معنى الإشارة والتنبيه"(١)

ومما يعرب حالاً في ضوء هذا المنهج قوله تعالى :

١- "وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرٍ به ..." (البقرة :٤١) .

٢- " إنا أرسلناك بالحقّ بشيراً ونذيراً ولا تسئل عن أصحاب الجحيم " (البقرة :١١٩) .

٣- " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجّداً وقولوا : حطة نغفر لكم من خطاياكم وسنزيد المحسنين " (البقرة:٥١)

٤- " ألم تروْا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً " (نوح : ١٥) .

٥- " متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا" (الإنسان:١٣) .

---

(١) التبيان ٢/٧٠٧. وانظر: معاني الزجاج ٣/٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التمييـــز

" ثم بعثناهم لِنَعْلَمَ أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً " (الكهف :١٢) .

" أمداً" نصبٌ على المفعول به ؛ قاله أبو علي(١)وقال الفراء(٢) : نصبٌ على التمييز . وقال الزجاج(٣) : نصبٌ على الظرف ، أي : أيُّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد ، والأمد الغاية . وقال مجاهد : " أمداً" معناه عدداً ، وهذا تفسير بالمعنى على جهة التقريب . وقال الطبري : " أمداً " منصوب بـ" لبثوا" ابن عطية : وهذا غير متجه ...".(٤).

و " أيّ" رفع بالإبتداء و (أحصى) خبره وهذه الجملة بمجموعها متعلق العلم فلهذا السبب لم يظهر عمل قوله (لنعلم) في لفظة (أيّ) بل بقيت على ارتفاعها ونظيره قوله:اذهب فاعلم أيهم قام قال تعالى : (سلهم أيهم بذلك زعيم (القلم : ٤٠) وقوله (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً " . (مريم : ٦٩) . (٥)

إن مفتاح تحليل هذه الآية يكمن في التوصل إلى جواب محدد عن السؤالين التاليين :

١- أي استفهامية أم موصولية ، مبنية أم معربة ؟

٢- " أحصى" فعل ماضٍ أم " فعل " تفضيل ؟

ونبدأ أولاً بأي :

" ذهب الكوفيون إلى أن " أيهم" اذا كان بمعنى الذي وحذف العائد من الصلة معرب ، نحو قولهم " لأضربن أيهم أفضل " وذهب البصريون إلى أنه مبني على الضم ، وأجمعوا على أنه إذا ذكر

---

(١)وانظر: التفسير الكبير ٨٤/٢١ والبحر المحيط ١٠٤/٦، ١٠٥.

(٢)انظر: معاني الفراء ١٣٦/٢ واعراب النحاس ٢٦٨/٢. ولم يعربها الأخفش،انظر: معاني القرآن ٢٩٤/٢.

(٣)انظر: معاني الزجاج ٢٧١/٣ والبيان ١٠٢/٢.

(٤)القرطبي ٣٦٤/١٠.

(٥)التفسير الكبير ٨٤/٢١. وانظر: اعراب النحاس ٢٦٨/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العائد أنه معرب ، نحو قولهم " لأضربن أيهم هو أفضل " وذهب الخليل بن أحمد إلى أن أيهم مرفوع بالابتداء ، و"أفضل " خبره ، ويجعل " أيهم " استفهاماً ، ويحمله على الحكاية بعد قول مقدر ، والتقدير عنده : لأضربن الذين يقال له أيهم أفضل ، قال الشاعر :

وَلَقَدْ أَبيتُ مِنَ الفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لا حَرِجٌ ولا مَحْرُومُ (١)

أي فأَبِيتُ لا يقال لي : هذا حَرِجٌ ولا محروم ، وحَذْفُ القول في كتاب الله تعالى ، وكلام العرب أكثر من أي يحصى ، وذهب يونس بن حبيب البِشْري إلى أن " أيهم " مرفوع بالابتداء ، و"أفضل" " خبره ، ويجعل " أيهم " استفهاماً ، ويعلق " " لأضربن " عن العمل في " أيهم " فينزل الفعل المؤثر منزلة أفعال القلوب نحو : علمت أيهم في الدار" .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا" : الدليل على أنه معرب منصوب بالفعل الذي قبله أنه قد جاء ذلك في كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (ثم لننزعن من " كلّ شيعةٍ أيهم أشد على الرحمن عتياً " (مريم :٦٩) بالنصب ، وهي قراءة هارون القارئ(٢) ، ومعاذ الهراء (٣) وراوية عن يعقوب.

قالوا ولا يجوز أن يقال : إن القراءة المشهورة بالضم هي حجة عليكم " لأنا نقول : هذه القراءة لا حجة لكم فيها ، لأن الضمة فيها ضمة إعراب ، لا ضمة بناء فإن " أيهم " مرفوع لأنه مبتدأ وذلك من وجهين :

أحدهما " أن قوله (لننزعن) عمل من (من) وما بعدها ، واكتفى الفعل بما ذكر معه ، كما تقول : " قتلت من كل قبيل ، وأكلت من كل طعام " فيكتفي الفعل بما ذكر معه ، فكذلك ها هنا . عمل الفعل في الجار والمجرور واكتفى بذلك ، ثم ابتدأ فقال ، (أيُّهم أشد) فرفع (أيهم) بأشد كما رفع (أشد) بأيهم ، على ما عرف من مذهبنا .

---

(١) الشاهد للأخطل في ديوانه ص٦١٦ و ..." معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٤٩٧).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن . والكتاب ٢٩٩/٢.

(٣) انظر: الكشاف ٥٢٠/٢. وذكر الزمخشري قارئاً آخر وهو: طلحة بن مصرف.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والوجه الثاني : أن الشيعة معناها الأعوان ، وتقدير الآية : لننزعن من كل قوم شايعوا فتنظروا أيهم أشد على الرحمن عتياً ، والنظر من دلائل الاستفهام ، وهو مقدر معه ، وأنت لو قلت " لانظرنّ أيّهم أشد " لكان النظر متعلقاً ، لأن النظر والمعرفة والعلم ونحوهن من أفعال القلوب ، وأفعال القلوب يسقط عملهن إذا كان بعدهن استفهام ، فدلّ على أنه مرفوع لأنه مبتدأ" (١).

ولا يخفى مافي رأي الكوفيين وتخريجهم هذا من تمحل في التقدير، وقد كفانا البصريون مؤونة الرد عليه يقول ابن الأنباري : " وأما الجواب على كلمات الكوفيين : أما احتجاجهم بقراءة من قرأ (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد " بالنصب فهي قراءة شاذة (٢) جاءت على لغة شاذة لبعض العرب ، ولم يقع الخلاف في هذه القراءة ، وإنما وقع الخلاف في اللغة الفصيحة المشهورة التي عليها قراءةُ الأمصار " أيهم ، بالضم ، وهي حجة عليهم " .

قولهم " إنّ الضمة فيها ضمة إعراب لاضمة بناء ، وإنه مرفوع لأنه مبتدأ ، لأن قوله "لننزعن " عمل عمل في من وما بعدها ، واكتفى الفعل بما ذكر معه ، كقولهم : قتلت من كل قبيل " قلنا : هذا خلاف الظاهر ، لأن قوله (لننزعن) فعل متعدٍ ، فلا بد أن يكون له مفعولاً ، وهو ملفوظ به مظهر ، فكان أولى من تقدير مفعول مقدر.

وأما قولهم " إن تقدير الآية فتنظروا أيهم أشد " قلنا : هذا أيضاً خلاف الظاهر ، لأنه ليس في اللفظ ما يدل على تقدير هذا الفعل ، وقوله (لننزعن) فعل يصلح أن يكون (أيهم) مفعولاً له ، فكان أولى من تقدير فعل لا دليل يدل عليه ولا حاجة إليه " (٣).

وتعرب أيهم في " ثم لننزعن .." على وجوه متعددة ، يقول العكبري :" قوله تعالى :" أيهم أشدّ" : يقرأ بالنصب شاذاً ، والعامل فيه لننزعن ، وهي بمعنى الذي ويقرأ بالضم . وفيه قولان :

---

(١)الإنصاف م(١٠٢)٢/٧١٢/٧٩.

(٢)وهي ليست من القراءات المعتمدة لم ترد في " الكشف " ولا في "النشر" كما لم ترد في " المحتسب"، ولا في مختصر ابن خالوية .

(٣)الإنصاف م(١٠٢)٢/٧١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحدهما – أنها ضمة بناء ، وهو مذهب سيبويه ،وهي بمعنى الذي ، وإنما بنيت ها هنا لأن أصلها البناء لأنها بمنزلة الذي(١) .

" وأي" من الموصولات إلاّ أنها أعربت حملاً على كل أو بعض ، فإذا وصلت بجملة تامة بقيت على الإعراب وإذا حذف العائد عليها بنيت لمخالفتها بقية الموصولات فرجعت إلى حقها من البناء بخروجها عن نظائرها ، وموضعها نصبٌ " بننزع" . والقول الثاني هي ضمة الإعراب . وفيه خمسة اقوال .

أحدها – أنها مبتدأ أو أشدّ خبره ؛ وهو على الحكاية ، والتقدير : لننزعن من كل شيعة الفريق الذي يقال " أيهم " ؛ فهو على هذا استفهام ، وهو قول الخليل(٢) . والثاني – كذلك في كونه مبتدأ وخبراً واستفهاماً ، الاّ أنّ موضع الجملة نصب "بننزعن" ، وهو فعلٌ معلق عن العمل ، ومعناه التمييز ، فهو قريبٌ من معنى العلم الذي يجوز تعليقه ، كقولك : علمت أيهم في الدار ، وهو قول يونس (٣)

والثالث – أن الجملة مستانفة ، و"أي" استفهام ، و"من" زائدة : أي لننزعن كل شيعة ، وهو قول الأخفش والكسائي ، وهما يجيزان زيادة " من " في الواجب والرابع – أن " أيّهم " مرفوع بشيعة؛ لأن معناه تشيع ، والتقدير : لننزعن من كل فريق يشيع أيهم ، وهو على هذا بمعنى الذي ، وهو قول المبرد .

والخامس – أن " ننزع " علقت عن العمل ، لأن معنى الكلام معنى الشرط ، والشرط لا يعمل فيما قبله(٤)، والتقدير : لننزعنهم تشيّعوا او لم يتشيعوا، أو إن تشيّعوا ، ومثله : لأضربن

---

(١)انظر:الكتاب٢/٣٩٨.

(٢)انظر:السابق٢/٣٩٩.

(٣)انظر:السابق٢/٤٠٠.

(٤)انظر:البيان٢/١٣٢.

©Arabic Digital Library Yarmouk University

أيهم غضب ، أي إن غضبوا أو لم يغضبوا ، وهو قول يحيى عن الفراء ، وهو أبعدها عن الصواب " (١).

" قاله أبو اسحاق : والذي أعتقده أن القول في هذا قول الخليل ، وهو موافق للتفسير لأن الخليل كان مذهبه أو تأويله في قوله تعالى : " ثم لننزعن من كلّ شيعة " الذي من أجل عُتِيّ يقال : أي هؤلاء أشدّ عتياً ؟ فيستعمل ذلك في الأشد فالأشد والله أعلم "(٢) .

أما سيبويه فيقول مضعفاً رأي الخليل ويونس : " وتفسير الخليل رحمه الله – ذلك الأول بعيد، إنما يجوز في شعر أوفي اضطرار . ولو ساغ هذا في الأسماء لجاز أن تقول : اضرب الفاسق الخبيث تريد الذي يقال له : الفاسق الخبيث .

وأما قول يونس فلا يشبه : أشهد إنك لمنطلق "(٣).

ويقول الأنباري :" وأما قول يونس فضعيف ؛ لأن تعليق " اضرب " ونحوه من الأفعال لا يجوز لأنه فعل مؤثر ؛ فلا يجوز الغاؤه ، وإنما يجوز أن تعلق أفعال القلوب عن الاستفهام ، وهذا ليس بفعل من أفعال القلوب ؛ فكان هذا القول ضعيفاً جداً ، والله أعلم "(٤).

ولا نحسب أن الضعف تأتى لرأي الخليل إلاّ من قوله بأن " أيّ" معربة ، ولو جعلها مبنية بالإضافة إلى ما ذهب إليه من دلالتها على الاستفهام وهي صدر جملة مستأنفة لكان أرجح وأوفق بين التركيب والدلالة .

وهذا ما نراه في ضوء ما عليه القراء من ضم " أي " في " ثم بعثناهم ...." وفي قوله : " ثم لننزعن ..." آخذين برأي سيبويه في أنها حركة بناء لا إعراب مخالفينه في أن تكون موصولية ، كما نأخذ برأي الخليل في أنها استفهامية ونخالفه في أن تكون معربة .

---

(١) التبيان ٢/٨٧٨، ٨٧٩. وانظر : الجامع لأحكام القران ١١/١٣٣، ١٣٤، ومعاني الزجاج ٣/٣٣٩، ٣٤٠.

(٢) معاني الزجاج ٣/٣٤٠ وانظر : الجامع ١١/١٣٣

(٣) الكتاب ٢/٤٠١. وانظر : الإنصاف مسالة (١٠٢) ٢/٧١٦.

(٤) الإنصاف مسالة (١٠٢) ٢/٧١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

" وأما ما حكى عن أبي عُمَرَ الجَرْمي ، أنه قال : خرجت من الخندق فلم أسمع أحداً يقول ضربت أيُّهم أفضل ، قلنا : هذا يدل على أنه ما سمع " أيهم " بالضم ، وقد سمعه غيره.

والذي يدل على صحة هذه اللغة ما حكاه أبو عمرو الشيباني عن غسان - وهو أحد من تؤخذ عنه اللغة من العرب - أنه أنشد(١) .

إذا مَا أَتَيْتَ بِنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلى أَيُّهم أَفْضَلُ

برفع " أيُّهم " فدل على أنها لغة منقولة صحيحة لا وجه لإنكارها .(٢) ويقول في البيان : " فدلّ على أنها لغة وهي لغة العالية الفصيحة ، ....." (٣)، فهما لغتان موجودتان في لهجات العرب بالضم ، والفتح في حال إضافتهما ، وهما عندنا حركتا بناء لا إعراب . وإن كنا نرجح أن يكون الأفصح بناؤها على الضم موافقة لما عليه القراءات القرآنية المعتمدة الصحيحة . وقد كان الأولى أن يُسْتَشْهَدَ للقراءةِ بالفتح لا لِقراءة الرفع لأنها هي موضع الشك .

ولا نرى إعراب "أي " لأنها ... عنصر استفهام يقصد به التحديد والتخصيص والاختيار بين فريقين ، ولا دور لها في الجملة إلاّ أن تقوم بنقلها من معنى الإخبار إلى معنى الاستفهام ، فهي ليست باسم ولا محلَ لها من الإعراب . والأَوْلى أن ينظر إليها على أنها من أدوات المعاني "(٤) .

وفي قول يونس بتعليق الفعل قبلها، ورأي الخليل بأنه على الحكاية فهي جملة مستأنفة تدل على الاستفهام - التفات كبير الى دورها التركيبي والدلالي.

بل ونرى أن "أي" لا تكون موصولية إذا أُضيفت وكانت وما بعدها مسبوقة بفعل . وإنما هي عنصر استفهام ، وهي وما بعدها استفهام حلّ محل جوابه في جملة فعلية ، وذاك لغرض بلاغي كما في الآيتين الكريمتين . فالفعل قبلها يبدو كأنه معلق سواء كان مؤثراً أم غير مؤثر .

---

(١) الشاهد لغسان بن وعلة . انظر: معجم حداد، رقم الشاهد (١٨٨٦).

(٢) الإنصاف مسألة (١٠٢) ٢/٧١٥.

(٣) البيان ٢/١٣٣

(٤) في التحليل اللغوي ص ١٣٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إذ يفهم من الجملة أن الفعل يقع على ذاك المستفهم عنه وهو غير محدد ولا مخصص ويراد تَخْصِيصُهُ وتحديدُه ، مما يجعل للوقوع عليه في حكم المجهول ليستحث المتكلم ذهن السامع على البحث عن جواب السؤال وإمعان النظر ، فيجعله أكثر تحفزاً وإعمالاً لعقله في أي الفريقين المخير بينهما أجدر بأن يقع عليه الفعل ، فكأنما يترك لعقله الوصول إلى تحديده وتخصيصه . وهذا ما أرهص إليه الزجاج حين رجح رأي الخليل.

فقد ناب الاستفهام مناب جوابه لغرض بلاغي كالتحدي وتكذيب من أدعى العلم بهم مثلما هو في الآية الكريمة : " ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً" والتهويل والتحقير مثلما هو في :" ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً ".

- أما عن الخلاف الثاني بين النحاة والمفسرين في هذه الآية وهو الخلاف في " أحصى" يقول أبو حيان : " جوّز الحوفي وأبو البقاء أن يكون فعلاً ماضياً و(ما) مصدرية و (أمداً) مفعول به ، وأن يكون أفعل للتفضيل و (أمداً) تمييز . واختار الزجاج والتبريزي أن يكون أفعل للتفضيل واختار الفارسي والزمخشري وابن عطية أن تكون فعلاً ماضياً ورجحوا هذا بأن أحصى إذا كان للمبالغة كان بناءً من غير الثلاثي وعندهم أن ما أعطاه ، وما أولاه للمعروف ، وأعدى من الجرب ، شاذ لا يقاس ويقول أبو اسحاق : إنه قد كثر من الرّباعي فيجوز . وخلط ابن عطية فأورد فيما بني من الرباعي : ما أعطاه للمال وآتاه للخير ، وهي أسود من القار ، وماؤه أبيض من اللبن ، و" فهو لما سواها أضيع ، قال وهذه كلها(أفعل) من الرباعي (١) . انتهى . وأسود وأبيض بناؤها من الرباعي وفي بناء أفعل للتعجب وللتفضيل ثلاثة مذاهب يبنى منه مطلقاً وهو ظاهر كلام سيبويه(٢) وقد جاءت منه ألفاظ ولا يبنى منه مطلقاً ، وما ورد حمل على الشذوذ والتفصيل بين أن تكون الهمزة للنقل فلا يجوز أو لغير النقل كأشكل الأمر وأظلم الليل فيجوز أن تقول ما أشكل هذه المسألة وما أظلم هذا الليل . وهذا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٦٤.

(٢) وانظر: شرح المفصل ٦/٩٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اختيـــار ابن عصفـــور من أصحابنا"(١) .

يقول الزمخشري : ... فإن قلت : فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟ قلت : ليس بالوجه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ، ونحو : أعدى من الحرب ، وأفلسُ من ابن المذلق شاذ ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ؟ ولأن أمداً لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل ، فأفعل لا يعمل ، وإما أن ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى ، فإن زعمت أني أنصبه باضمار فعل يدل عليه" احصىَ كما أضمر في قوله * وأَضْرَبُ مِنّا بِالسّيوفِ القَوانِسا *(٢) .

على نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ثم رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره "(٣).

ويرد أبو حيان رأي الزمخشري هذا في دعوى الشذوذ في أن يصاغ " أفعل " التفضيل من فعل رباعي فيقول :" أما دعواه الشذوذ فهو مذهب أبي عليّ وقد ذكرنا أنّ ظاهر مذهب سيبويه جواز بنائه من أفعل مطلقاً وأنه مذهب أبي اسحاق وأن التفصيل اختيار ابن عصفور وقول غيره ، والهمزة في أحصى ليست للنقل . وأما قوله : فأفعلْ لا يعمل ، ليس بصحيح فإنه يعمل في التمييز ، وأمداً تمييز وهكذا أَعْرَبَهُ من زعم أن (أحصى) أفعل للتفضيل كما نقول : زيدٌ أقطع الناس سيفاً ، وزيدٌ اقطع للهام سيفاً ولم يعربه مفعولاً به.... وأما قوله : فإن زعمت إلى آخره فيقول : لا يحتاج إلى هذا الزعم لأنه لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعل التفضيل ينتصب المفعول به فالقوانس عندهم منصوب بأضرب " نصب المفعول به،

---

(١) البحر المحيط ١٠٤/٦

(٢) الشاهد للعباس بن مرداس في ديوانه ص٦٩ . . . " معجم حداد ،رقم الشاهد (١٤٢٢) ، وشطره الأول " أكرّ وأحمي للحقيقة منهمُ " معجم حداد ص ٩٨.

(٣) الكشاف ٤٧٤/٢. وانظر : القرطبي ٣٦٤/١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإنما تأويله بضرب القوانس قول البصريين ، ولذلك ذهب بعض النحويين إلى أن قوله أعلم من يضل "من" منصوبه بأعلم نصب المفعول به ، ولو كثر وجود مثل : " وأضرَبُ منا بالسيوف القوانسا ، لكنا نقيسه ويكون معناه صحيحاً لأنّ أفعل التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ؟ "(١).

ولا يرجح أي من الرأيين في إعراب "القوانسا" ، وإنما هي تمييز منصوب جاء معرفاً "بأل" وقد ذكر النحاة هذا فـ" البصريون على اشتراط تنكير التمييز . وذهب الكوفيون وابن الطراوة : إلى أنه يجوز أن يكون معرفة كقوله :

* وطِبْتَ النَّفْسَ يا قَيْسُ عَنْ عَمْرو *(٢)

* عَلامَ مُلِئْتَ الرُّعْبَ ، والحَرْبُ لَمْ تَقِمِ *(٣)

وقولهم : سَفِهَ زيدٌ نَفْسَهُ ، وأَلِمَ رَأْسُهُ " وبَطِرَتْ مَعيشَتَها " (القصص :٥٨) .

والأولون تأولوا ذلك على زيادة اللام ، والمضافات نصبت على التشبيه بالمفعول به ، أو على إسقاط الجار، أي في نفسه وفي رأسه ، وفي معيشتها "(٤) .

ويرجح رأي الكوفيين لأنه وصف لظاهر اللفـــة ، وتخريجهم أحفظ للمعنى وهو التفسير والتبيين . وكذلك " القوانسا" جاء مميزاً ومبيّناً لاسم التفضيل " أضرب " وليس مفعولاً لمعنى

---

(١) البحر المحيط ٦/١٠٥.

(٢) الشاهد لرشيد بن شهاب البشكري . انظر: معجم حداد ، رقم الشاهد (١٢٠١) والبيت بتمامه :

" رأيتك لما أن عرفت وجوهنا صددت ، وطبت النفس ياقيس عن عمرو"

معجم حداد ، رقم الشاهد (١٢٠١) .

(٣) مجهول القائل.

(٤) الهمع ٤/٧٢ . وانظر: التصريح ١/٣٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفعل ، ولا به ، فالمتكلم لم يقصد الأخبار بوقوع فعل الضرب على القوانس ، بل المدح بأنهم أكثر ضرباً لها، فقد جاء " رافع الإبهام جملة ....(١)وهذا شرط التمييز ودلالته . والتمييز " ... في الأصل مصدر ميّز إذا أخلص شيئاً من شيء وفرّق بين متشابهين ...."(٢) .

ونظراً إلى دلالة " أمداً" في الجملة ، وأخذاً بظاهر كلام سيبويه بعدم اشتراط أن يكون اسم التفضيل من أصل ثلاثي ، وأخذاً برأي من قال من النحاة والمفسرين بأنه تمييز مثل : الفراء والزجاج ، وأبي حيان وغيرهم ، فإننا نعربه تمييزاً .

بل وخطأ العكبري من قال بأنه مفعول به يقول : " وقيل : اللام زائدة ، وما بمعنى " الذي و " أمداً" مفعول لبثوا " ، وهو خطأ، وإنما الوجه أن يكون تمييزاً ، والتقدير لما لبثوه." (٣).

والراجح أن " ... ما في قوله تعالى " لما لبثوا" مصدرية والتقدير : أُحصى أمداً للبثهم " (٤).

وهو تمييز جاء مبيناً لما سبقه ومؤكداً أيضاً . " وذكر ابن مالك : أن التمييز قد يكون مؤكداً كقوله تعالى : " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً " (التوبة :٣٦) (٥).

وكما أن لا خلاف في أن " عتياً" منصوب على التفسير ، فإن أمداً أيضاً مثله ، ولا يكفي كون " أحصى" اسم تفضيل من غير الثلاثي سبباً في اخراج الكلام عن معناه والتأوّل في إعرابه بما يفسد المعنى ويسلم إلى التخبط بين معان شتى متأنية من تعدد وجوه الإعراب الفلسفية ميلاً إلى قياس لا يوافق واقع اللغة .

---

(١) انظر : الهمع ٦٢/٤ ، والتصريح ٢٩٤/١ ، وشرح ابن عقيل ٦٦٣/١ ، ٦٦٤.

(٢) التصريح ٢٩٤/١.

(٣) البيان ٨٣٩/٢.

(٤) التفسير الكبير ٨٤/٢١.

(٥) الهمع ٧٣/٤ ، وانظر : التراكيب اللغوية ص١١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وعليه فإن الجملة النواة فعليه وهي :

بعثناهم

ف + فا + مف

ولما أراد المتكلم سبحانه – تبيان الغرض الذي بعثهم من أجله وهو إجلاء الحقيقة والحكم بالعلم اليقين .

ثم بعثناهم لنعلم (أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا)

عطف (ف + فا + مف) + عنصر يقين (؟ (م ϕ) + خ)

فعنصر اليقين عنصر مشترك بين الجملة الفعلية الأم وجملة الاستفهام التي حلت محل جوابها، ذلك أن المبني عليه أنزل منزلة المجهول الذي يحتاج إلى تعيين وتحديد ، وذاك لغرض بلاغي وهو التحدي.

ولما كان في لفظ ما لبثوا " إشارة إلى الزمن ودلالة عليه جاء " أمداً" تمييزاً للتوكيد من جهة ولبيان أن مدة هذا اللبث زمناً طويلاً يصعب احصاؤه من جهة أُخرى فهو ليس بأي زمن أو لبث ، بل أمد ، أي زمن طويل.

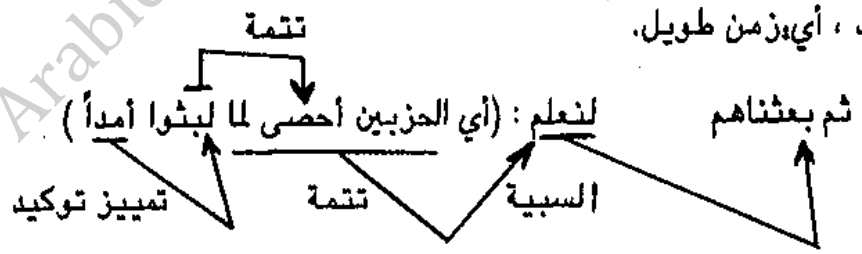

عطف (ف+ فا + مف) + عنصر يقين (؟ (م ϕ + خ)

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل الآيات الكريمة التالية :

١- "وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم أتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون "(البقرة :٥١).

---

(١) ؟ : عنصر استفهام .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢- " ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ..." (البقرة : ١٦٥) .

٣- " إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين " (آل عمران: ٩١)

٤- " ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاكذبـاً " (الكهف :٥) .

٥- " إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً " (الكهف : ٧)

٦- " فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً " (الكهف :١١) .

٧- " قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة لينظر أيها أذكى طعاماً فليأتكم برزق منه ..." (الكهف :١٩) .

٨- " فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً " (الكهف : ٦١) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الاستثناء

" لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على للقاعدين أجراً عظيماً . "(النساء :٩٥) .

" برفع (غير) لتكون كالنعت للقاعدين ، كما قال : « صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم " (الفاتحة:٧) وكما قال : " أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال " النور : ٣١) وقد ذكر أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد ، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب. إلاّ أن اقتران غير) بالقاعدين يكاد يوجب الرفع ؛ لأن الاستثناء ينبغي أن يكون بعد التمام . فتقول في الكلام ، لا يستوي المحسنون والمسيئون إلاّ فلاناً وفلاناً . وقد يكون نصباً على أنه حال كما قال : " أحلت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم غير محلى الصيد (المائدة :١) ولوقرئت خفضاً لكان وجهاً : تجعل (من) صفة المؤمنين "(١) .

إن المعنى دال على الاستثناء سواء أكانت (غير) مرفوعة أم منصوبة ، وقد تأتى معنى الاستثناء من (غير) التي أُضيفت إلى المستثنى ، آخذة تارة حركة المستثني منه إتباعاً ، وآخذة حركة باب المستثنى لوقوعها محله تارة أخرى . ولا نرى ما ذهب إليه بعض المفسرين والنحاة من اختلاف في المعنى بين الحركتين وإنما هي حركة مبنى لا حركة معنى ؛ خاصة وأن القراءتين بالرفع والنصب قراءتان صحيحتان متواترتان ، والقراءة تعاضد القراءة ، ومناسبة الآية تدل على أن المراد بـ " غير " الاستثناء يقول أبو محمد مكي بن أبي طالب : " قرأ الكسائي ونافع وابن عامر بالنصب(٢) على الاستثنـــاء من القاعدين ، لأنه ثبت أنه نـــزل بعد نزول " لا

---

(١) معاني القراء ١/٢٨٣، ٢٨٤ وانظر: التبيان ١/٢٨٣.

(٢) وانظر: النشر ٢/٢٥١، والبحر المحيط ٣/٢٣٠، والقرطبي ٥/٢٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يستوي القاعدون " . فلو كان صفة لم يكن النزول فيهما إلاّ في وقت واحـــد ، فلما نزل (غيـــر أولي الضرر) في وقت بعد وقت نزول " لا يستوي القاعدون " علم أنه استثناء ، إذ لو كان صفة لنزل مع القاعدين في وقت ، وقد ثبت أنهما نزلا في وقتين . وروى زيد بن ثابت أن ابن أم مكتوم الأعمى لما نزل " لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون ، قال : يا رسول الله هل من رخصة ، وشكا ضرره فأنزل الله " غير أولي الضرر" فجعلت بعد القاعدين(١) وذكر ابو حاتم أن النبي عليه السلام قرأه بالنصب ، وبه قرأ زيد بن ثابت وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وشبل وابن الهادي وهو أحب إلى ، وهو اختيار أبي عبيد الطبري وأبي طاهر. وقرأ الباقون بالرفع(٢) على أن " غير" صفة " صفة " قاعدين" ، كما قال : " غير المغضوب عليهم " فأتت (غير " صفة لـ الذين " ، ....."(٣).

أما القراءة بجر " غير" فهي شاذة قرأ بها " الأعمش وأبو حيوة .(٤) وإنما جوزتها القاعدة النحوية التي تبرر كسرها إتباعاً لـ " من المؤمنين " ، مثلما تلك القاعدة التي جوّزت قراءة " غير " بالنصب في قوله تعالى : " غير المغضوب عليهم " (الفاتحة:٧) حملاً على الاستثناء أو الحال على الرغم من شذوذها ، وقراءة الجمهور بجرها اتباعاً "للذين "(٥) وخرجت على أوجه عدة : " غير اسم مبهم إلاّ أنه اعرب للزومه الإضافة وخفضه على البدل من " الذين " أو على النعت لهم إذ لا يقصد بهم قصد أشخاص بعينهم فجروا مجرى النكرة فجاز أن يكون "غير" نعتاً لهم .

(١) وانظر: الجامع الأحكام القران ٥/٢٤١، ٢٤٢، والبحر المحيط ٣/٢٣٠، والكشاف ١/٥٥٥.

(٢) وانظر : النشر ٢/٢٥١، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة : البحر المحيط ٣/٢٣٠، والجامع ٥/٢٤٢.

(٣) الكشف ٢/٣٩٦.

(٤) البحر المحيط ٣/٢٣٠.

(٥) لم يرد في "الكشف" و " النشر" قراءة خلاف الجر . وذكر أبو حيان أنها قراءة رواها الخليل عن ابن كثير ، وهي قراءة عمر، وابن مسعود وعلي وابن الزبير ، وهي خلاف قراءة الجمهور. انظر : البحر المحيط ١/٢٩، ولم ترد هذه القراءة في المحتسب ومختصر ابن خالويه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن أصل غير أنها نكـــرة وإن أضيفـــت إلى معرفـــة لأنهـــا لا تدل على شـــيء معين . وقد رُوِي نصبُ (غير) عن ابن كثير لفظ المعرفة . وإن شئت نصبته على الاستثناء المنقطع عند البصريين ، ومنعه الكوفيون لأجل دخول "لا" . وإن شئت نصبته على إضمار أعني" (١) . وعلى الرغم من أن المعنى لا يقبل تخريجها على الاستثناء الاّ أن نظر تهم إلى بنيتها الصرفية ، ولمجيئها في موضع للاستثناء جعلتهم يحملونها التخريجات الاعرابية التي يحملونها لها حين تأتي لمعنى الاستثناء . وما يدرى كيف جاز أن يستثنى المغضوب عليهم من المنعم عليهم " ... والمغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم "(٢) .

وأما قولهم بأنه استثناء منقطع فهو مجرد مبرر ضعيف ، وذلك لعدم وجود نقطة اشتراك بين المستثنى والمستثنى منه، فحين يقال :

ما فيها أحدٌ إلّاالغزالاً.

فإن فيه محوراً للحديث وهو " فيها " التي تفيد الوجود في المكان ، ثم نفي هذا الوجود عن كل أحد ، وأثبت للغزال .

أما في الآية فلا سبيل إلى هذا إلا بتقدير ما لا يريده المتكلم ويستغني عنه السامع.

والرأي ان غير " ههنا ليست للاستثناء وإنما اسم للنفي لازم للإضافة ، أضيف إلى منفيه وأخذ حركته لوقوعه موقعه، فهو نعت يكون بنفي النعت الذي أُضيف إليه وقراءة الجمهور بالجر دون غيره تؤيد هذا . وقد تنبه الفراء إلى هذا ملتفتاً إلى دلالتها مفرقاً بينها وبين تلك التي للاستثناء حين قال بأنها جاءت بمعنى "لا" لا بمعنى " سوى " يقول :" فإن معنى " غير " معنى "لا" ؛ فلذلك ردت عليها " ولا" ، هذا كما تقول : فلان غير محسن ولا مجمل ، فإذا كانت " غير " بمعنى " سوى" لم يجز أن تكرّ عليها "لا" ؛ ألا ترى أنه لا يجوز : عندي سوى عبد الله ولا زيد.

---

(١) مشكل اعراب القرآن ص ٧٢، وانظر : معاني الأخفش ١٦/١ ،١٧، ومعاني الزجاج ٥٢/١، واعراب النحاس ١٢٥/١ ، والكشاف ٦٩/١-٧١ والجامع ١٥٠/١ ،١٥١.

(٢) الكشاف ٧٩/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد قال بعض من لا يعرف العربية : إنّ معنى " غير " في "الحمد" معنى " سوى " وإن "لا" صلة في الكلام ، واحتج بقول الشاعر(١):

في بِئْرٍ لا حورٍ سَرى وما شَعَر

وهذا غير جائز ؛ لأن المعنى وقع على ما لا يتبين فيه عمله ، فهو جحد محض ، وإنما يجوز أن تجعل "لا" صلة إذا اتصلت بجحد قبلها ؛ مثل قوله(٢):

ما كان يرضى رسول الله دينهم والطيّبان أبو بكر ولا عمرُ

فجعل "لا" صلة لمكان الجحد الذي في أول الكلام ، هذا التفسير أوضح ؛ أراد في بئر لا حور ، "لا" الصحيحة في الجحد ؛ لأنه أراد في : بئر ماء لا يحير عليه شيئاً كأنك قلت : إلى غير رشد توجّه ومادرى . والعرب تقول : طحنت الطاحنة فما أحارت شيئاً ، أي لم يتبين لها أثرُ عمل(٣) فغير في " غير المغضوب عليهم " ليست هي نفسها في " غير أولي الضرر" ، بمعنى أنه لا يجوز نصبها كالأخيرة ، لأنها لم تأت لمعنى الاستثناء.

أما القول بنصب " غير" في " غير أولي الضرر" على الحالية فيرفضه المعنى . فالآية لم تأت لتبين هيئة منفية كما في " غير محلى الصيد " ؛ بل إنّ في لفظ " القاعدون " ما يغني عن تبيان هيئتهم ، يقول أبو حيان : " ويستوي هنا من الأفعال التي لا تكتفي بفاعل واحد وإثباته لا يدل على عموم المساواة وكذلك نفيه وإنما عنى نفي المساواة في الفضل وفي ذلك إيهام على السامع وهو أبلغ من تحرير المنزلة التي بين القاعد والمجاهد فالمتأمل يبقى مع فكره ولا يزال يتخيل الدرجات بينهما والقاعد هو المتخلف عن الجهاد وعبر عن ذلك بالقعود لأن القعود هيئة

---

(١) الشاهد للعجاج في ديوانه ص ١٤، و ..... " معجم حداد ، رقم الشاهد (٣٤٠٧) .

(٢) الشاهد لجرير من قصيدة يهجو فيها الأخطل مطلعها :

قُلْ للديار سَقى أطلالك المطرُ قد هِجتِ شوقاً فماذا تُرجعُ الذكرُ

انظر : شرح ديوان جرير ، محمد بن اسماعيل عبد الله الصاوي ٣٦٣/١.

(٣) معاني الفراء ٨/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من لا يتحرك إلى الأمر المقعود عنه في الأغلب وأولو الضررهم من لا يقدر على الجهـاد لعمى أو مرض أو عرج أو فقد أهبة والمعنى: لا يستوي القاعدون القادرون على الغزو والمجاهدون"(١). فالغرض استثناء " أولي الضرر" من القاعدين ، وهذا ما تدل عليه مناسبة الآية ، بمعنى إخراجهم من الحكم الواقع عليهم وهو عدم تساويهم مع المجاهدين في الفضل ، بل كونهم مخالفين تماماً لهم في الحكم فهؤلاء آثمون ، وهؤلاء محسنون فائزون ، واستثناء "أولي الضرر" من القاعدين ، هو إخراجهم من دائرة الإثم لاشتراكهم معهم في القعود عن الجهاد لوجود عذر عضوي يمنعهم من ذلك . و" ...الاستثناء استفعال من ثناه عن الأمر يثنيه إذا صرفه عنه، فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأول وحقيقته تخصيص صفة عامة فكل استثناء تخصيص وليس كل تخصيص استثناء ...." (٢).

واستثناؤهم من حكم القاعدين عن الجهاد ليس بالضرورة أن يراد به إدخالهم في حكم المجاهدين في الفضل، إذ ليسوا هم محور الحديث، بل محوره القاعدون والمجاهدون، وهم خارج الفريقين وعلى هذا تدل تتمة الآية "فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً " .(النساء : ٩٥) .

فالمجاهدون درجتهم أعلى من القاعدين من أولي الضرر ، ويورد أبو حيان أراء تؤيد ما ذهبنا إليه يقول : " واختلفوا هل أولو الضرر يساوون المجاهدين أم لا فإن اعتبرنا مفهوم الصفة أو قلنا بالأرجح من أن الاستثناء من النفي إثبات لزمت المساواة . وقال ابن عطية وهذا مردود لأن أولي الضرر لا يساوون المجاهدين وغايتهم أن خرجوا من التوبيخ والمذمة التي لزمت القاعدين من غير عذر وكذا قال ابن جريج ، الاستثنـاء لـرفع العقاب لا لنيل الثواب . المعذور يستوي في الأجر مع الذي خرج إلى الجهاد إذ

---

(١) البحر المحيط ٣/٣٣٠.

(٢) شرح المفصل ٢/٧٥، ٧٦ . وانظر الكتاب ٢/٣١٠، والهمع ٣/٢٤٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كان يتمنى لو كان قادراً لخرج(١) . قال استثنى المعذور انتهى. وإنما نفي الاستواء فيما علم أنه منتف ضرورة لإنكاره ما بين القاعد بغير عذر والمجاهد من التفاوت العظيم فيأنف القاعد من انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه ، ومثله : " **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** " (الزمر:٩) أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته لينهضم إلى التعلم ويرتقي عن حضيض الجهل إلى شرف العلم . قال بعض العلماء : كان نزول هذه الآية في الوقت الذي كان الجهاد فيه تطوعاً وإلاّ لم يكن لقوله :" لا يستوي " معنى لأن من ترك الفرض لا يقال إنه لا يستوي هو والآتي به ؛ بل يلحق الوعيد بالتارك ويرغب الآتي به في الثواب . وقال الماتريدي : نفي التساوي بين فاعل الجهاد وتاركه لا يدل على أن الجهاد ما كان فرضاً في ذلك الوقت . ألا ترى أن قوله تعالى : " **أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون**" (السجدة:١٨) نفي المساواة بين المؤمن والفاسق والإيمان فرض . وقال تعالى " أم حسب الذين اجترحوا السيئات " الآية(٢) وقال : " **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**" والعلم في كثير من الأشياء فرض وإذا جاز الاستواء بين فاعل التطوع وتاركه فلأن يجوز بين فاعل الفرض وتاركه بطريق الأولى ، وإنما لم يلحق الإثم تاركه لأنه فرض كفاية . انتهى والظاهر أن نفي هذا الاستواء ليس مخصوصاً بقاعد عن جهاد مخصوص ولا مجاهد جهاداً مخصوصاً بل ذلك عام . وعن ابن عباس : لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها. وعن مقاتل : إلى تبوك . وقال ابن عباس وغيره. أولوا الضرر هم أهل الأعذار إذ قد أضرت بهم حتى منعتهم الجهاد وفي الحديث : " لقد خلفتهم بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلاّ كانوا معكم حبسهم العـــذر"(٣) وجاء هنا تقديم الأموال على الأنفس وفي قوله : " **إن اللـــه**

---

(١) انظر التفسير الكبير ١١/٧ ٨.

(٢) الآية : "أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ".

(الحاشية) : (٢).

(٣) وانظر: التفسير الكبير ١١/٨، والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي. أ.ي. ونسنك، ٣/٤٧ (سيد).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم "(١) تقديم الأنفس على الأموال لتباين الغرضين لأن المجاهد بائع فأخرّ ذكرها تنبيهاً على أن المضايقة فيها أشد فلا يرضى ببذلها إلاّ في آخر المراتب والمشتري قدمت له النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد وإنما يرغب أولاً في الأنفس الغالي ، (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) الظاهر أن المفضل عليهم هم القاعدون غير أولي الضرر لأنهم هم الذين نفي التسوية بينهم فذكر ما امتازوا به عليهم وهو تفضيلهم عليهم "(٢).

كما يسقط القول بأنه مرفوع على البدلية ، لأن المتكلم لم يرد أن يحل غير أولي الضرر" محل " القاعدون ". فليس غرضه تقديم " القاعدون" لأنه موضع عنايته واهتمامه ، ثم المجيء بـ" غير" مفسراً أو مبيناً ، إذ ليس ثمة التباس عند السامع ولا غلط من المتكلم (٣)- عز وجل سبحانه ؛ وإنما غرضه اخراج "أولي الضرر" من حكم "القاعدون" وتبرأتهم مما يحيق بهم من إثم .

فأصل الجملة التوليدي :

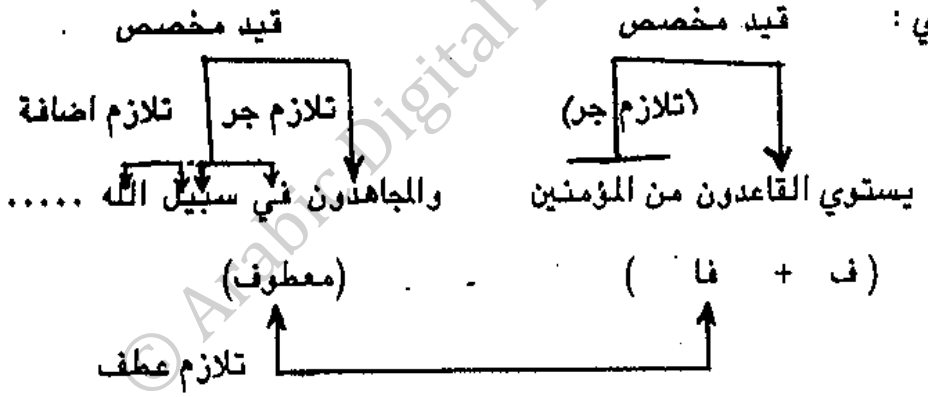

ولما لم يكن غرض المتكلم مساواة القاعدين عن الجهاد بالمجاهدين وإشراكهم معهم في الحكم وجعلهم في مرتبة واحدة أدخل عنصر النفي " لا" لينفي المساواة بينهم .

---

(١)التوبة:١١١)

(٢) البحر المحيط ٣٣١/٣.

(٣) هذه من شروط البدل ومعناه انظر: شرح المفصل ٦٣/٣ ، ٦٤ والهمع ٢١٢/٥ ، ٢١٣ ، والكتاب ١٥٠/١-١٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

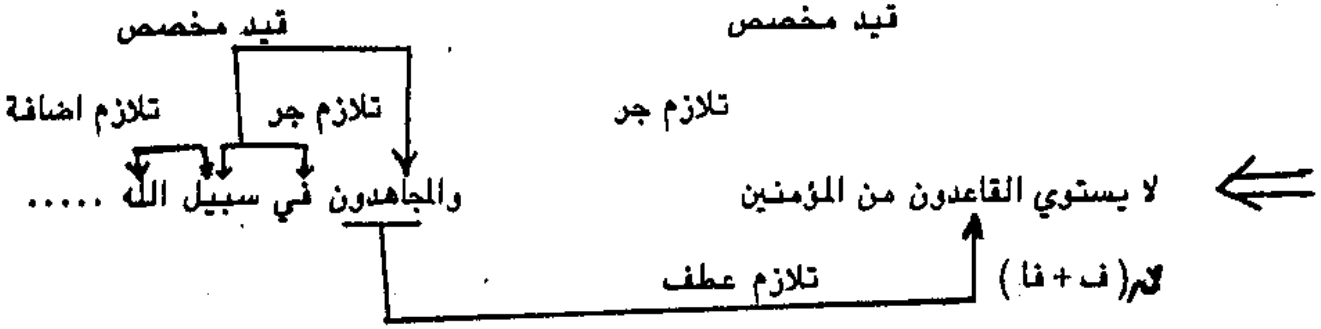

ولما كان من أولئك القاعدين جماعة تمنعهم عاهة أوعلة وليس لهم في ذلك يد استثناهم الله تعالى من القاعدين الملومين

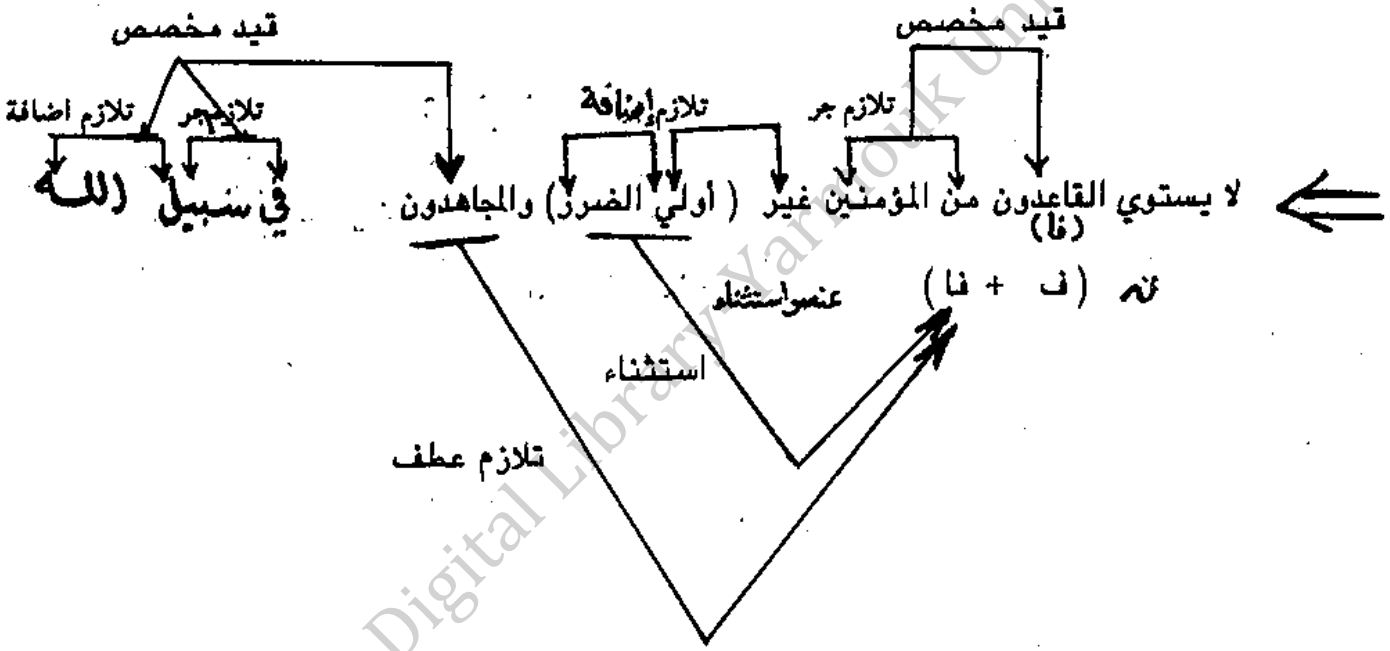

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الباب الرابع

التوابع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العطف على المجرور بحرف جر زائد

« وعندهُ مفاتيحُ الغيب لا يعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرِّ والبحرِ وما تسقُطُ مِنْ ورقةٍ الا يعلمها ولا حبةٍ، في ظلماتِ الارضِ ولا رَطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين » (الانعام : ٥٩)

" جر على " من " وإن شئت رفعت على "يسقط" وإن شئت جعلته على الابتداء وتقطعه من الأول " .

أما الفراء يكتفي بالقول (١) : " يجوز رفعها " (٢)دون تخريجها .

القراءة بالرفع هي موضع الخلاف إذ يجيز النحاة فيها وجهين :

١- أن تكون " حبة " مبتدأ ، والواو استئناف .

٢- أن تكون معطوفة على موضع " من ورقة" على اعتبار أن "مِنْ" حرف جر زائد ،"وورقة" اسم مجرور لفظا مرفوع محلاً على أنه فاعل .

وقراءة الجمهور بالخفض عطفاً على ورقة (٣) . وبذا يبطل القول بالرفع أصلاً سواء كان على الابتداء ، أو على موضع " ورقة " فالقراءة بالرفع شاذة أجازتها القاعدة النحوية الفلسفية التي تحول النحو إلى درس في المنطق .

كما أن القول بجواز الرفع على الابتداء والاستئناف يظهر " ولا حبةً " وما بعدها كما لو كانت جملة منفصلة في معناها ومبناها عن سابقتها ، وواقع الامر ليس كذلك . اذا القراءة الصحيحة بالخفض تشير الى أن المعنى المراد اشتراك الحبة والرطب واليابس مع " ورقة "

---

(١) معاني الاخفش ٢/٢٧٦ . وانظر : التفسير الكبير ١١/١٢ ، والجامع لاحكام القران ٥/٧ ، والبحر المحيط ١٤٦/٤ ، والتبيان ٥٠٢/٢ .

(٢) معاني القراء ٣٣٨/١ .

(٣) لم يرد في " الكشف " والنشر " خلاف القراءة بالخفض . ولم ترد القراءة بالرفع في " المحتسب " ،مختصر ابن خالويه . وقرا بالرفع " الحسن وابن ابي اسحاق وابن السميقع " البحر المحيط ١٤٦/٤ ، وانظر : الجامع لاحكام القران ٥/٧ . -

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في الحكم بدخولها بجملتها في علم الله الشامل وحسابه .

أما القول بالعطف على موضع " حبة " ففيه درجة من التعقيد الفلسفي من شأنها أن تصرف الذهن عن المعنى جرياً وراء مبرر منطقي للمبنى دون طائل .

ولعل السبب في هذا يعود الى تقسيم النحاة حروف الجر الى : أصلية لا تستغني عنها الجملة في صورة من صورها .

وزائدة : يمكن للجملة أن تستغني عنها في صورة من صورها مع بقائها عربية سوية تعطي معنى يحسن السكوت عليه . يقول سيبويه في "مِنْ" : وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيماً ولكنها توكيد بمنزلة ما ، إلا أنها تجر لأنها حرف إضافة وذلك قولك : ما أتاني من رجل ، وما رأيت من أحد،ولو أخرجت "مِنْ" كان الكلام حسنا ، ولكنه أكد بـ"مِنْ" لان هذا موضع تبعيض فأراد انه لم يأته بعض الرجال والناس " (١).

ويقول ابن يعيش : " اعلم ان "مِنْ" قد تزاد مؤكدة وهو أحد وجوهها وإن كان عملها باقياً والمراد بقولنا زائدة أنها لا تحدث معنى لم يكن قبل دخولها وذلك نحو قولك : ما جاءني من احد، فإنه لا فرق بين قولك : ما جاءني من احد وبين قولك : ما جاءني أحد . وذلك أنّ احداً يفيد العموم كديار وعريب و "مِنْ" كذلك فإذا دخلت عليها صارت بمنزلة تكرار الاسم نحو:أحد أحد"(٢) .

ولا يخفى ما في قول ابن يعيش من اضطراب وتناقض وتشتت بين مستويين: مستوى دلالي يفرضه المعنى ، ومستوى تركيبي تفرضه القاعدة النحوية فتارة يقول بأنها مؤكدة والتوكيد معنى ، ثم يعود ليقول بأنها زائدة دخولها في الجملة كخروجها لا يحدث تغييراً في المعنى ، فهو واحد سواء دخلت ام خرجت .

وعلى الرغم من أن الأثر الاعرابي واحد لكل من : حروف الجر الأصلية ، والزائـــدة إلا أن

---

(١) الكتاب ٤/٢٢٥ ، وانظر : شرح المفصل ٨/١٣٧ .

(٢) شرح المفصل ٨/١٣٧ ، وانظر : الجنى الداني في حروف المعاني ص ٢١٦، ٢١٧ ، والهمع ٤/٢١٥، والتصريح ٢/١٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

احساس النحاة بالدور الدلالي الذي يؤديه الاسم المجرور بحرف الجر الزائد جعلهم يعربونه اعرابين معتليين بزيادته . اعراباً يهتم بالمبنى " مجرور لفظاً " ، وآخر يهتم بالمعنى "مرفوع محلا " على أنّه فاعل مثلاً ، كما في هذه الاية الكريمة ذاك أن الاصل ان الرفع هو حركة باب الفاعل ، فلما جاء الفاعل مجرورا قالوا بالرفع محلا حرصا على تحقيق الأصل وانسجاماً مع القاعدة المستقرة وإن كان واقع الأمر مخالف لها .

كما ادى بهم قولهم بهذه الازدواجية في اعراب المجرور الى تجويز ازدواجية أيضاً في إعراب الاسم التابع له من نعت أو معطوف أو بدل نظراً إلى اللفظ ، أو نظراً إلى المحل .

يقول سيبويه : " هذا باب ما حُمِلَ على موضع العامل في الاسم والاسم لا على ما عمل في الاسم ، ولكنّ الاسم ما عمل فيه في موضع اسم مرفوع او منصوب .

وذلك قولك : ما أتاني من أحد إلاّ زيدٌ ، وما رأيت من أحد إلاّ زيداً . وإنما منعك أن تحمل الكلام على "مِنْ " أنّهَ خَلفٌ ان تقول : ما أتاني إلا من زيدٍ .

فلما كان كذلك حمله على الموضع فجعله بدلاً منه كأنه قال : ما أتاني احدٌ إلا فلان ، لأن معنى ما أتاني أحدٌ وما أتاني من أحد واحد ، ولكن " مِنْ " دخلت هنا توكيداً ، كما تدخل الباء في قولك : كفا بالشيب والاسلام ، وفي : ما أنت بفاعل . ولست بفاعل " (١) وما يدرى كيف جاز أن يكون " زيد " المثبت له المجيء ، بدلا من " أحد " المنفي عنه المجيء ، وهذا مخالف لشرط أصيل من شروط البدل ، وهو امكانية ان يحلّ البدل محل المبدل تركيباً ودلالة . يقول السيوطي في بدل بعض من كل ، وبدل الاشتمال (وشرطهما صحة الاستغناء بالمبدل منه وعدم اختلال الكلام لو حذف البدل ، او أظهر فيه العامل .... ولم يشترط ذلك في بدل الكل لأنه نفس البدل منه في المعنى ، ....) (٢)

ولوكان (زيد) بدل بعض من كل لوجب ان يستغنى به عن ذكر المبدل منه " من أحـــد

---

(١) الكتاب ٢/٣١٥، ٣١٦ .

(٢) الهمع ٥/٢١٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعندها فان الجملة ⟸ ما أتاني زيدٌ

فالمجيء منفيٌ عن زيد ، كما أنه منفي عن غيره ، والمراد من الجملة " ما أتاني أحد إلا زيد " على غير هذا ، بل نقيضه ، حيث أريد بها إثباتُ مجيء زيد ، وليس هذا فحسب ، بل إثباته له بصورة مؤكدة عن طريق الحصر بـ " ما + إلا " .

والذي نراه أن أصل الجملة التوليدي :

أتاني زيدٌ

ف + فا

فزيد هو الفاعل في الجملة الأم وليس أحداً ذاك أن الفكرة الرئيسة الثابتة في ذهن المتكلم وهو بها مسلم : إتيان زيد .

ثم اراد حصر المجيء فيه توكيدا وإثباته له .

حصر للتوكيد

⟸ ما أتاني إلا زيد

~ (ف + ∀ فا)

(١)

ذاك أن القاعدة : عنصر استثناء = ∀ (ما بعده)

اي اجتماع نفي وعنصر استفهام يفيد توكيد ما بعد أداة الاستثناء بالحصر ولما أراد المتكلم نفي إتيان أحد غيرزيد ، بمعنى نفي صدور الفعل عن غيره

⟸ ما أتاني أحدٌ إلا زيد

ف [(فا -) + ∀ (فا +)]

حصر

في الجملة فاعلان : فاعل سالب لأنه فعل الفعل منفياً ، أي لم يفعله واقعاً وهو « أحد » وفاعل موجب لأنه فعل الفعل مثبتاً ، فعله واقعاً وهو « زيد »

(١) ∀ : توكيد حصر .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولما أراد المتكلم توكيد الفعل نفياً للفاعل السالب كما أكده مثبتاً للفاعل الموجب أدخل "من" المؤكدة لنفي صدور فعل الاتيان عن كل أحد على الإطلاق .

ما أتاني من أحدٍ إلا زيدٌ"

$$\sim \text{ف} [\forall (\text{فا}-) + \underset{\text{حصر}}{\forall} (\text{فا}+)]$$

فأخذ الفاعل بالنفي حركة الكسر اقتضاءً لحرف الجر "من" في حين بقيت حركة الفاعل المثبت رفعا كما هي على الاصل .

وعلى هذا الأساس يحلل مثال سيبويه الثاني : ما رأيت من أحدٍ إلا زيداً ، فالمفعول الاصيل بالإثبات " زيداً " و " أحد " هو المفعول المنفي .

فالجملة : ما رأيت من أحدٍ ولا زيداً

$$\Leftarrow \quad \sim \text{ف} + \text{فا} [\forall (\text{مف}-) \underset{\text{حصر}}{\forall} (\text{مف}+)]$$

فالمفعول السالب أخذ حركة باب الجر اقتضاء "لمن" الجارة ، بدلاً من أن يأخذ حركة النصب ، حركة المفعول به .

وعليه ، فإنه ليس ثمة ما يدعم قاعدة النحاة التي تقول بزيادة حروف الجر ، وبازدواجية إعراب الاسم المجرور بها . خاصة وأننا لا نجدهم يستشهدون على قاعدتهم هذه بشواهد موثقة من القرآن الكريم . أو من شعر العرب الفصحاء ونثرهم ، اللهم إلا ما يتأولونه تأويلاً ويخضعونه قهراً لقاعدتهم أو يصنعونه لها من أمثلة .

وقد تابع المفسرون النحاة في هذه المسألة فلم يستطيعوا التفلت من سطوة القاعدة النحوية رغم إدراكهم معنى التوكيد في "مِنْ" في الاية الكريمة وغيرها ، فتجدهم يحللون في مستويين منفصلين : مستوى تركيبي ، ومستوى دلالي ، يناقضه أحياناً. والأصل أن يلتقي خط المبنى مع خط المعنى لا أن يتوازيا .

يقول الأنباري : "مِنْ ، زائدة من وجه ، وغير زائدة من وجه ، لأنها أفادت معنى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العموم. و"ورقة"، في موضع رفع لانه فاعل يسقط " (١) فهي زائدة نحواً ، وليست زائدة دلالة .

يقول القرطبي : « ولا رطبٍ ولا يابسٍ " بالخفض عطفاً على اللفظ وقرأ ابن السَّمَيْقَع والحسن وغيرهما بالرفع فيهما عطفا على موضع " من ورقة " ؛ فـ " من " على هذا للتوكيد »(٢)

أما الزمخشري ، فلا يتأثر بالقاعدة النحوية في هذا الموطن فلا يورد إلا القراءة بالجر عطفاً على ورقة (٣) .

ويلتفت أبو حيان إلى أهمية الاستثناء ودلالته في الاية الكريمة : " قال الزجاج : كناية عن علم الله المتيقن وهذا الاستثناء جارٍ مجرى التوكيد لأن قوله : " ولا حبة ولا رطب ولا يابس " معطوف على قوله " من ورقة " والاستثناء الاول منسحب عليها كما تقول : ما جاءني من رجل ، الا اكرمته ولا امراة ، فالمعنى : الااكرمتها ؛ ولكنه لما طال أعيد الاستثناء على سبيل التوكيد وحسنه[وكونه فاصلة الرأس آية](٤) " (٥) .

وعليه فإن أصل الجملة التوليدي الاخباري :

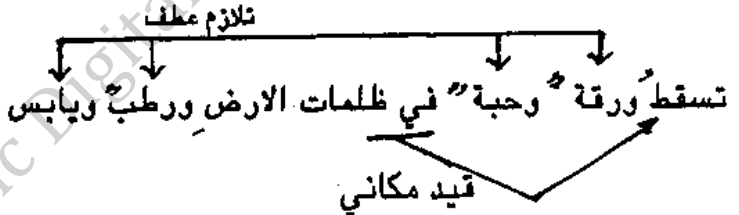

(ف + فا)

---

(١) البيان ١/٢٢٤ .

(٢) الجامع ٧/٥ ، وانظر : البحر المحيط ٤/١٤٦ .

(٣) انظر : الكشاف ٢/٢٤ .

(٤) ولعل في ما بين القوسين المربعين تصحيف ، والجملة " وحسنه كونه فاصلة رأس الآية " .

(٥) البحر المحيط ٤/١٤٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ولما لم يكن غرضُ المتكلم الإخبار بسقوط هذه الأشياء والتي هي بديهة يعلمها الخلق ، وإنما غرضه أن يضرب مثلاً لعلمه الشامل اليقيني بما يجري على أدق مخلوقاته وأقلها أهمية في الكون وهي الورقة والحبة و .... لا باسمها ونوعها فحسب ؛ بل باستعراض كل جنسها عموماً (١) ، وشمول هذا العلم لكل واحدة منها بذاتها فأدخل " مِنْ " المؤكدة ، كما أدخل عنصر اليقين "يعلم" ، وليس هذا فحسب ، بل حصرها كلها في علمه وحده ، فهو المتفرد بهذا العلم الدقيق فلا يغيب عنه علم واحدة منها أو بعض واحدة منها .

ولما تقدم الاستثناء " إلا يعلمها " على المعطوفات كررت " لا " النافية لغرض تركيبي تفرضه طبيعة الجملة العربية فهي تشير إلى أنها معطوفة على ما قبل الاستثناء وداخله معها في الحكم . وجاء الاستثناء الثاني " إلا في كتاب مبين " لمعنى غير الذي في الحصر الأول الذي جاء ليؤكد العلم الشامل لله وحده ، في حين أن الحصر الثاني جاء ليبين ويؤكد أن ذاك ليس بخارج عن إرادته ، بل مقدر محصي عنده وحاصل بأمره .

فعلمه لا يقف عند حد معرفته ما يحدث في الكون عند حدوثه ؛ بما قد يوهم بأن غيره قد أحدثه وقدر له وتم بأمره

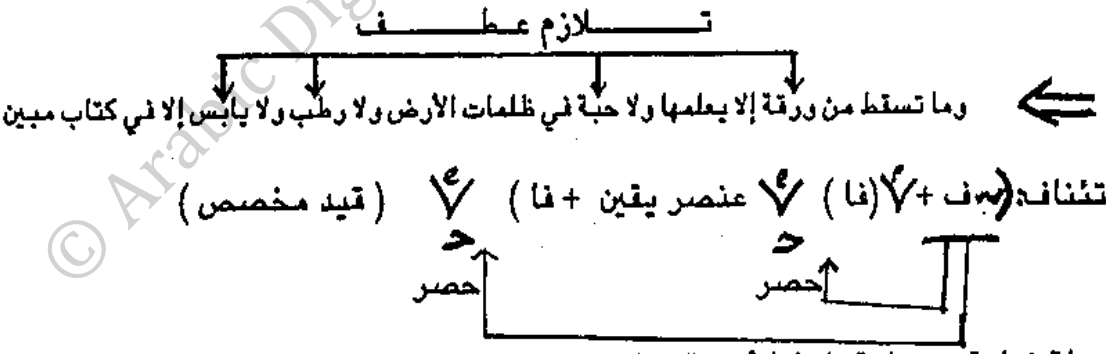

فالجملة فعلية تحويلية داخلها أربعة عناصر زيادة : نفي واستثناءان ، وعنصر يقين .

ويقول المرادي ذاكراً شروط دخول " مِنْ " المؤكدة على الجملة : " واعلم أن " مِنْ " لا تزاد عند سيبويه ، وجمهور البصريين إلا بشرطين :

---

(١) انظر : الجنى الداني ص٣١٦ . والهمع ٤/٢٢١٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأول : أن يكون ما قبلها غير موجب . ونعني بغير موجب النفي ، نحو (مالكم من إله غيره) (الاعراف : ٥٩) ، والنهي نحو : لا يقم من أحد ، والاستفهام ، نحو : " هل من خالق غيرُ اللـــه " (فاطر : ٣) . ولا يحفظ ذلك في جميع أدوات الاستفهام ، انما يحفظ في " هل " . وأجاز بعضهم زيادتها في الشرط ، نحو : إن قام من رجل فأكرمه والثاني أن يكون مجرورها نكرة كما مثل .

وذهب الكوفيون الى أنها تزاد بشرط واحد ، وهو تنكير مجرورها . قلت : نقل بعضهم هذا المذهب عن الكوفيين ، وليس هو مذهب جميعهم ، لأن الكسائي وهشاماً يريان زيادتها بلا شرط . وهو مذهب أبي الحسن الأخفش . وإليه ذهب ابن مالك ؛ قال لثبوت السماع بذلك نظماً ونثراً . فمن النثر قوله تعالى : (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) (الانعام : ٣٤) ، وقوله :(يُحلَّوْن فيها من أساور) (الكهف : ٣١) ، وقوله (يكفّر عنكم من سيّئاتكم) (البقرة : ٢٧١) ، وقوله : " يغفر لكم من ذنوبكم " (الاحقاف : ٣١) . ومن النظم قول عمر بن ابي ربيعة (١) :

ويَنْمي لها ، حُبُّها عندنا فما قال مِنْ كاشحٍ لَمْ يضيرْ

وذُكر غير ذلك من الشواهد التي ظاهرها الزيادة . وتأوّل المانعون هذه الآيات ، ونحوها، بما هو مشهور . " (٢)

ونأخذ برأي من لم يشترط أيا من هذه الشروط اعتمادا على السماع من الشواهد القرآنية وغيرها ، دون ميل إلى تأويل أو تعليل .

---

(١) الشاهد لعمر بن ابي ربيعة في ديوانه ص ٢٠١ ، و .... " معجم حداد ، رقم الشاهد (١٣٩٩)

(٢) الجنى الداني ص ٢١٧، ٢١٨ . وانظر : الهمع ٤/ ٢١٥، ٢١٦ ، والمغني ٢/ ١٦-١٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العطف على الضمير المجرور دون تكرار الجار

" يا أيها الناس اتّقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وخلق منها زَوْجَها وبث منها رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والارحامَ إن الله كان عليكم رقيباً . " (النساء : ١)

يقول الفراء : " وقوله : (الذي تساءلون به والارحامَ) فنصب الأرْحام ، يريد : واتقوا الأرْحام أن تقطعوها . قال : حدثنا الفراء قال : حدثني شريك بن عبد الله عن الأعْمش عن إبراهيم أنه خفض الأرْحام ، قال : هو كقولهم : بالله والرحمِ ، وفيه قبح ، لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض وقد كُنِّيّ عنه ، وقد قال الشاعر في جوازه :

نُعلِّق في مثل السواري سيوفَنا وما بينها والكَعبِ غوْطٌ نفانفِ (١)

وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه " (٢) .

وكذلك الأخفش يرجح قراءة النصب يقول : " (والارحامَ) منصوبة ، أي : اتقوا الارحامَ ، وقال بعضهم : " والارحامِ " جر ، والأوّل أحسن ، لأنك لا تجري الظاهر المجرور على المضمر المجرور . " (٣)

وقد اختُلف في تخريج قراءتي النصب ، والجر ، فرأوا في كل منهما وجهين . يقول العكبري : " والارحامَ " : يقرأ بالنصب وفيه وجهان :

أحدهما - معطوف على اسم الله اي واتقوا الارحامَ أن تقطعوها .

والثاني - هو محمول على موضع الجارّ والمجرور ، كما تقول : مررت بزيدٍ وعمراً ؛ والتقدير : الذي تعظمونه والارحامَ ؛ لأن الحلف به تعظيمٌ له .

ويقرأ بالجرّ ؛ قيل : هو معطوف على المجرور ، وهذا لا يجوز عند البصريين ، وإنما جاء

---

(١) " الشاهد لمسكين الدارمي في ديوانه ص ٥٣ ، و .... " معجم الحداد رقم الشاهد (١٧٣١)

(٢) معاني الفراء ١/٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٣) معاني الاخفش ١/٢٢٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الشِّعر على قبحه وأجازه الكوفيون على ضعف .

وقيل : الجرُّ على القَسَم ، وهو ضعيف ؛ لأن الأخبار وردت بالنهي عن الحلف بالآباء ؛ ولأن التقدير في القسم ، وبرَبِّ الارحامِ ؛ وهذا قد أغنى عنه ما قبله . وقد قرىء شاذاً بالرفع (١) ، وهو مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره : والارحامُ محترمة ، أو واجب حُرمتُها " (٢) .

وقراءة الرفع ليست موضع حوار أو دراسة لشذوذها .

- أما قراءة النصب فكما هو واضح أن المراد هو عطف الأرحام على لفظ الجلالة ، لأن الله - جل وعلا - قرنها باسمه لتشاركه في وقوع التقوى عليها مع اختلاف الدلالة لكل من التقويين، تقوى الله وتقوى الرحم . والله أعلم . يقول أبو حيان مرجحاً هذا الوجه أخذاً بظاهر اللغة : " .... فأما النصب فظاهره أن يكون معطوفاً على لفظ الجلالة ويكون ذلك على حذف مضاف التقدير : واتقوا الله وقطع الأرحام . وعلى هذا المعنى فسرها ابن عباس وقتادة والسدى وغيرهم،والجامع بين تقوى الله وتقوى الأرحام هذا القدر المشترك وإنْ اختلف معنى التقويين لأن تقوى الله بالتزام طاعته واجتناب معاصيه واتقاء الأرحام بأن تُوصَلَ ولا تقطع فيما يفضل بالبرّ والاحسان وبالحمل على القدر المشترك يندفع قول القاضي كيف يراد باللفظ الواحد المعاني المختلفة ونقول أيضا أنه في الحقيقة من باب عطف الخاص على العام لأن المعنى واتقوا الله : اي : اتقوا مخالفة الله ، وفي عطف الارحام على اسم الله دلالة على عظم ذنب قطع الرحم وانظر إلى قوله : " لا تعبدون إلاّ الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى " (البقرة :٨٣) كيف قرن ذلك بعبادة الله في أخذ الميثاق " (٣) .

- أما التخريجُ الثاني وهو العطف على موضع الجارّ والمجرور فلا يخفى ما فيه من

---

(١) معاني الفراء ١/٢٥٢ ، ٢٥٣ ، لم ترد هذه القراءة في " الكشف " و " النشر " ، وقد أوردها ابن جني في " المحتسب " ١/١٧٩ . وهي قراءة عبدالله بن يزيد عبد الله بن يزيد انظر : الجامع ٥/٥ ، والبحر المحيط ٣/١٥٦ .

(٢) التبيان ١/٣٢٧ .

(٣) البحر المحيط ٣/١٥٦ ، ١٥٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ضعف واسراف في البعد عن ظاهر اللغة تجيزه القاعدة النحوية فحسب . وقد بينا رأينا فيه في الآية السابقة بما يغني عن تكراره والخوض فيه هنا .

إن المعضلة التي كانت موضع جدل وحوار حاد بين النحاة كوفيين وبصريين والمفسرين فيما بينهم أيضاً هي القراءة بجرّ " الارحام " دون تكرار الجارّ .

" ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز العطف على الضمير المخفوض ، وذلك نحو قولك : " مررتُ بك وزيدٍ " .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : الدليل على أنه يجوز أنه جاء ذلك في التنزيل وكلام العرب ، قال الله تعالى : (واتقوا اللّه الذي تساءلون به الارحامِ) بالخفض وهي قراءة أحد القراء السبعة - وهو حمزة الزيات - (١) وقراءة ابراهيم النخعي وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش ، ورواية الأصفهاني والحلبي عن عبد الوارث ، .... " (٢) وهذا ما رآه السيوطي (٣) .

وقد استشهد الكوفيون بشواهد أخرى من القرآن والشعر إلا انّ البصريين احتجوا بحجج فلسفية تمسكاً بقاعدتهم ، ورفضوا شواهد الكوفيين السماعية الوصفية واعتلّوا لها بعلل ، وحملوها على أوجه إعرابية غير العطف على المجرور بدون تكرار الجار (٤) فقالوا : " إنما قلنا: إنه لا يجوز ، وذلك لان الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد ، فإذا عطفت على الضمير المجرور - والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار ، ولم ينفصل عنه ، ولهذا لا يكون إلا متصلاً بخلاف ضمير المرفوع والمنصوب - فكأنك قد عطفت الاسم على الحرف الجار ، وعطف الاسم

---

(١) انظر : الكشف ١/٢٧٥ ، والنشر ٢/٢٤٧ .

(٢) الانصاف ، مسالة (٦٥) ٢/٤٦٣ .

(٣) انظر : الهمع ٥/٢٦٨ .

(٤) لمزيد من الاطلاع على حجج كل من الفريقين انظر : السابق ٢/٤٦٣ - ٤٧٤ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

على الحرف لا يجوز . (١)

ومنهم من تمسك بأن قال : إنما قلنا ذلك لأن الضمير قد صار عوضاً عن التنوين ، فينبغي أن لا يجوز العطف عليه ، كما لا يجوز العطف على التنوين ، والدليل على استوائهما أنهم يقولون " يا غلام " فيحذفون الياء كما يحذفون التنوين وإنما اشتبها لأنهما على حرف واحد ، وأنهما يكملان الاسم ، وأنهما لا يُفْصَل بينهما وبينه بالظرف ، وليس كذلك الاسم المظهر . (٢)

ومنهم من تمسك بأن قال : أجمعنا على أنه لا يجوز عطف المضمر المجرور على المظهر المجرور ، فلا يجوز أن يقال " مررتُ بزيدٍ وَ كَ " فكذلك ينبغي ان لا يجوز عطف المظهر المجرور؛ فلا يقال " مررتُ بك وزيدٍ " لان الاسماء مشتركة في العطف ، فكما لا يجوز أن يكون معطوفاً فلا يجوز أن يكون معطوفاً عليه . والاعتمادُ من هذه الأدلة على الأوّل ."(٣) (٤)

ويرد ابن مالك حجة البصريين بأن الضمير صار عوضاً عن التنوين فيقول : " ... انّ شبه الضمير بالتنوين لو مُنع من العطف عليه لمنع من توكيده ، والإبدال منه كالتنوين ، ولا يُمنعان بإجماع ، وأنّ الحلول لو كان شرطاً لم يجز : رُبَّ رجل وأخيه ولا كل شاة وسخلتها بدرهم ولا :

" الواهبُ المائةِ الهِجانِ وعبدِها "(٥)

---

(١) وانظر : الاصول ١١٩/٢ .

(٢) وانظر : الهمع ٢٦٨/٥ ، ٢٦٩ . وهو رأي سيبويه انظر : الكتاب ٣٨٢/٢ ، والجامع ٢/٥ ، وجوزه في الشعر ضرورة .

(٣) وهذا رأي المازني انظر : اعراب النحاس ٣٩٠/١ . وهو ايضا رأي الزجاج انظر : معاني الزجاج ٧،٦/٢ ، والجامع ٣/٥ .

(٤) الانصاف مسألة (٦٥) ٤٦٦/٢ ، ٤٦٧ .

(٥) الشاهد للاعشى في ديوانه ص ١٥٢ والرواية فيه :

الواهبُ المئةَ الهِجانَ وعَبْدَها ... عَوذاً تُزَجي خَلْفَها اطفالَها

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ونحو ذلك مما لا يصلح فيه الحلول " (١)

ولعله مما يؤخذ على البصريين في منهجهم عدُّهم الضميرَ اسماً ساداً مسدّ الاسم الظاهر في العطف عليه لا لشيء إلا لفكرة فلسفية مجردة تناقض الواقع اللغوي .

وقد اعتل النحاة لخفض " الارحامِ " في قراءة حمزة وحملوها على وجهين هرباً من الوقوع في القاعدة المحظورة يقول ابن الأنباري : " أما احتجاجهم بقوله تعالى : (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) فلا حجة لهم فيه من وجهين ؛ أحدهما : أن قوله (والارحام) ليس مجروراً بالعطف على الضمير المجرور ، وإنما هو مجرور بالقسم ، وجواب القسم قوله : " إنّ الله كان عليكم رقيباً " ، والوجه الثاني : أن قوله " والارحامِ " مجرور بباء مقدّرة غير الملفوظ بها ، وتقديره : وبالأرحام ، فحذفت لدلالة الاولى عليها ، .... ؛ (٢) .

ويرد النحاس تخريج البصريين الخفض على القسم في ضوء سياق الآية ومناسبتها يقول : " وقال بعضهم " والأرحامِ " قسم وهذا خطأ من المعنى والإعراب لانّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على النصب . روى شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن منذر بن جرير عن ابيه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاء قوم من الظهر وخطب الناس فقال : يا أيها الناس اتقوا ربكم والارحامَ " (٣) قال : تصدّق رجل بدينارِه ، تصدّقَ رجل بدرهمه ، تصدق رجلٌ بصاع تمرة " (٤) وذكر الحديث فمعنى هذا على النصب لانه حضهم على صلة أرحامهم ، وأيضاً فلوكان قسماً كان قد حذف منه لانّ المعنى ويقولون : بالارحامِ ، أي وربِّ الأرحام ، ولا يجوز الحذف إلا أنّ لايصح الكلام إلا عليه ، وأيضاً فقد صح عن

---

(١) الهمع ٥/٢٦٩ .

(٢) الانصاف مسالة (٦٥) ٢/٤٦٧

(٣) وفي الجامع ٥/٢ : " فقال : يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إلى : والارحام " .

(٤) انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي ١/٤٨٣ (حفي)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النبي صلى الله عليه وسلم " من كان حالفاً فليحلف بالله فكما"(١) لا يجوز أن تستحلف إلا بالله فهذا يرد قول من قال : المعنى أسالك باللّه وبالرحم ، وقد قال أبو إسحاق : معنى " تساءلون به " تطلبون حقوقكم به ، ولا معنى للخفض على هذا . " (٢)

ولكنّا وإنْ كنّا نتفق مع النحاس في أنّ مناسبة الآية تشير بوضوح إلى أن معنى القسم ليس بوارد ، إلا أن هذا لا يحتم أن تكون القراءة بالنصب فحسب . فإن البصريون قد أخطأوا في تخريجها على القسم فلا يعني هذا أن تنكر قراءة صحيحة من السبع . يقول ابن الحاجب مبالغاً في إنكارها زاعماً أن قاعدة الكوفيين هي التي جعلت حمزة يقر بها ، وواقع الأمر أن قاعدة البصرين هي التي جعلته وإياهم يرفضون قراءة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تارة ، ويحتالون لها في التخريج تارة اخرى : " .... وهذا الذي ذكرنا . أعني لزوم اعادة الجار في حال السعة-والاختيار مذهب البصريين ويجوز عندهم تركها اضطراراً كقوله:

فاليومَ قرّبتَ تهجونَا وتَشْتِمُنا فاذهبْ فما بكَ والايامِ من عَجَبِ(٣)

وأجاز الكوفيون تركَ الإعادة في حال السّعة مستدلين بالأشعار ولا دليل فيها إذ الضرورة حاملة عليه ولا خلاف معها وبقوله تعالى : " تساءلون به والارحام " بالجر في قراءة حمزة ، وأجيب بأن الباء مقدرة والجر بها وهو ضعيف لأنّ حرف الجر لا يعمل مقدّراً في الاختيار إلا نحو : اللهِ لأفعلن ، وأيضاً لو ظهر الجار فالعمل للأوّل .... ولا يجوز أن يكون الواو للقسم ، لأنه إذن يكون قسم السؤال لأنّ قبله (واتقوا الله الذي تساءلون به) وقسم السؤال لا يكون إلا بالباء كما يجيء والظاهر أن حمزة جوّز ذلك بناءً على مذهب الكوفيين لأنه

---

(١) انظر السابق ١/٤٩٩ (حلف)

(٢) اعراب النحاس ١/٣٩٠، ٣٩١ . وانظر : الجامع ٥/٢٠٢ .

(٣) الشاهد مجهول القائل . انظر معجم حداد ، رقم الشاهد (٣٢٩) .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كوفي ولا نسلم تواتر القراءات السبع " (١) .

يقول القرطبي بعد أن يورد آراء النحاة المختلفة وتخريجاتهم : " هذا ما وقفت عليه من القول لعلماء اللسان في منع قراءة :"والارحامِ" بالخفض ، واختاره ابن عطية ورده الامام ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري ، واختار العطف فقال : " ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدّين ، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن ردّ ذلك فقد ردّ على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مقام محذور ، ولا يُقلِّدُ فيه أئمة اللغة والنحو ، فإن العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يشك أحد في فصاحته .... " (٢) .

" وفي كتاب التذكرة المهدية عن الفارسي أن أبا العباس المبرّد قال : " لو صليت خلف إمام يقرأ " ما أنتم بمصرخيَّ "(٣) (ابراهيم : ٢٢) و " اتقوا الله الذي تساءلون به والارحامِ " لأخذت نعلي ومضيت . قال الزجاج (٤) : قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في العربية خطأ عظيم في أصول أمر الدين ، لانّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تحلفوا بآبائكم " فإذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم . ورأيت اسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أنّ الحلف بغير الله امرٌ عظيم ، وأنه خاص لله تعالى " (٥)

وواقع الأمر انّ الخطأ - كما ذكر آنفاً - لا يكمن في القراءة بالخفض وإنما بتخريجها على القسم .

وينكر ابن جني على المبرد هذه الحدة في رفض هذه القراءة ، ويحاول أن ينهج منهجاً

---

(١) الكافية ١/٣٢٠ .

(٢) الجامع ٥/٤ .

(٣) هي قراءة حمزة : انظر الكشف ٢/٢٦ ، والنشر ٢/٢٩٨ .

(٤) انظر : معاني الزجاج ٢/٦ .

(٥) الجامع ٥/٤٠٢

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يوفق فيه بين القاعدة البصرية والقراءة المتواترة ، فيخرجها على تقدير حرف جر محذوف يقول " ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، بل الأمر فيها دون ذلك وأقرب وأخف وألطف ، وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس : أنني لم أحمل (الارحامِ) على العطف على المجرور المضمر ، بل اعتقدتُ أن تكون فيه باء حتى كأني قلت : (وبالارحامِ) ، ثم حذفت الباء ، لتقدّم ذكرها ، كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك : بمن تمرُرْ أُمرُر ، وعلى مَنْ تَنزِل أُنزِلْ ، لم تقل أمرُرْ به ، ولا أنزلْ عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما . وإذا جاز للفرزدق أن يحذف حرف الجر لدلالة ما قبله عليه مع مخالفته له في الحكم في قوله :

وإني مِنْ قومٍ بهم يُتَقّى العدا ورأبُ الثأي والجانبَ المتَخَوَّفُ (١)

أراد : وبهم رأب الثأي ، فحذف الباء من هذا الموضع لتقديمها في قوله (بهم يتقى العدا) منصوبة الموضع لتعلقها بالفعل الظاهر الذي يتقى ، كقولك : بالسيف يضربُ زيد ، والباء في قوله : (وبهم رأب الثأي) مرفوعة الموضع عند قوم ، وعلى كلّ حالٍ فهي متعلقة بمحذوف ورافعهُ الرأب ، ونظائر هذا كثيرة كأن حذف الباء من قوله (والارحام) لمشابهتها الباء في (به) موضعاً وحكماً أجدر " (٢) .

وعلى الرغم من أن تخريج ابن جني أقلّ الوجوه إسرافاً وبعداً عن ظاهر اللغة إلا أنه لا يعدو عن كونه تمحلاً يميل فيه إلى تقدير حرف جر محذوف ، وما يُدرى ما الفرق بين أن يكون حرف الجر محذوفاً مقدّراً ، وأن يكون هو ذاته الذي جر الضمير قبله في " به " ما دام ظاهر الجملة عَدَم وجود جارٍ ثانٍ في كلتا الحالتين . والأولى الاستغناء عن التقدير . وإنما فُرِض التقدير محاولة الهروب من الوقوع فيما تمنعه القاعدة النحوية البصرية .

---

(١) ديوان الفرزدق ، شرح وضبط : علي الفاعور ، ص ٣٨٩ .

(٢) الخصائص ١/٢٨٥ ، ٢٨٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يقول الزمخشري مشيراً إلى هذا : " وقد تُمُحِّلَ لصحة هذه القراءات بأنها على تقدير تكرير الجار ، .... " (١).

إلا أن تمحلهم في تخريج هذه القراءة لا يجوِّز بأيِّ حال بطلانَ القراءة بها وتضعيفها . والأدعى إلى العجب أن يتأثر صاحبُ الكشف بقاعدة النحاة هذه فبعد أن يذكر أنَّ القراءة بالجر قراءةُ حمزة وهي من القراءات السبع ويُقِرُّبها يُضَعِّفُها . (٢)

ويردُّ أبو حيان ويستعظم ما أقدموا عليه من إنكار قراءة حمزة بالخفض مبيّناً أن الأصل القراءةُ وما عليه علماءُ الدين لا القاعدةُ النحوية وما عليه علماءُ النحو، فينبغي إخضاعُ القاعدة للقراءة لا العكس يقول : " وقال ابن عطية أيضاً : المضمر المخفوض لا ينفصل فهو كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف ، ويردّ عندي هذه القراءة من المعنى وجهان ؛ أحدهما أن ذكر الأرحام يتساءل بها وهذا تفريق في معنى الكلام وغض من فصاحته وإنما الفصاحة في أن تكون الأرحام فائدة مستقلة . والوجه الثاني أنَّ في ذكرها على ذلك تقديرَ التساؤل بها والقسمَ بحرمتها والحديث الصحيح يردُّ ذلك في قول صلى الله عليه وسلم : مَنْ كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت " (٣) انتهى كلامه . وذهبت طائفة الى أن الواو في " والأرحام " واو القسم لا واو العطف والمتلقى به القسم هي الجملة بعده ، ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته على ما جاء في غير ما آية في كتاب الله تعالى . وذهبوا إلى تخريج ذلك فراراً من العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار وذهاباً إلى أنّ في القسم تنبيه على صلتها وتعظيما لشأنها وانها من الله تعالى بمكان . قال ابن عطية : وهذا قول يأباه نظم الكلام وسره . انتهى ، وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية من امتناع العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار من اعتلالهم لذلك غير

---

(١) الكشاف ١/٤٩٣ .

(٢) انظر : الكشف ١/٢٧٥

(٣) في المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي " فإذا حلف احدكم فليحلف بالله او ليصمت " ١/٤٩٨ (حلف)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

صحيح بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك وأنه يجوز . وقد أطلنا الاحتجاج في ذلك عند قوله تعالى : " وكفرٌ به والمسجدِ الحرامِ " (البقرة : ٢١٧) ، وذكرنا ثبوت ذلك في لسان العرب ، نثرها ونظمها ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا (١) وأما قول ابن عطية " ويَرُدُّ عندي هذا القراءة من المعنى وجهان .... " فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير واسطة ، عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبي بن كعب . عمد إلى ردها بشيء من خطر له في ذهنه وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري فإنه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم . وحمزة رضي الله عنه اخذ القرآن عن سليمانَ بنِ مهرانَ الأعمشِ وحمدانَ بنِ أعينَ ومحمدِ بنِ عبدِ الرحمن بنِ أبي ليلى وجعفرِ بنِ محمدٍ الصادق ولم يقرأ حمزةُ حرفاً من كتاب الله إلا بأثر . وكان حمزة صالحاً ، ورعاً ثقة في الحديث . وهو من الطبقة الثالثة ولد سنة ثمانين وأحكم القراءة وله خمسُ عشر سنة وأم الناس سنة مائة وعرض عليه القرآن من نظرائه جماعة منهم سفيان الثوري والحسن بن صالح ومن تلاميذه جماعة منهم : امام الكوفة في القراءة العربية ابو الحسن الكسائي . وقال الثوري وأبو حنيفة ويحيى بن آدم : غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض . وإنما ذكرتُ هذا وأطلت فيه لئلا يطلع غمرٌ على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظناً بها وبقارئها فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم ، فكم حكمٍ ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وكم حكمٍ ثبت بنقل البصرين لم ينقله الكوفيون وإنما يعرف ذلك من له استبحار في علم العربية لا أصحاب الكنانيس

---

(١) انظر : البحر المحيط ٢/١٤٦-١٤٨ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المشتغلون بضروب من العلوم الآخذون عن الصحف دون الشيوخ " (١) .

ويقول الفخر الرازي مشيراً إلى صحة قراءة حمزةَ وكونهِ ثقةً في معرض إعرابه " وكفرٌ به والمسجدِ الحرام " : " والإضمار في الله ليس بغريب ، ثم يتأكد هذا بقراءة حمزة (تساءلون به والارحام) على سبيل الخفض ولو أن حمزة روى هذه اللغة لكان مقبولاً بالاتفاق ، فإذا قرأ به في كتاب الله تعالى كان أولى أن يكون مقبولاً " (٢).

وعليه ، فإن القراءتين نصباً ، وجراً جاءت فيهما (الأرحام) معطوفة . في حال النصب : عطفت على لفظ الجلالة نفسه " الله " لتشاركه لفظاً في وقوع التقوى عليه مع الاختلاف في الدلالة بين تقوى العبد ربه ، وتقواه الرحم بمعرفة حرمتها عند الله ، فالتقوى الثانية بعض الأولى كما بين ذلك أبو حيان آنفاً عند تخريجه قراءةَ النصب .

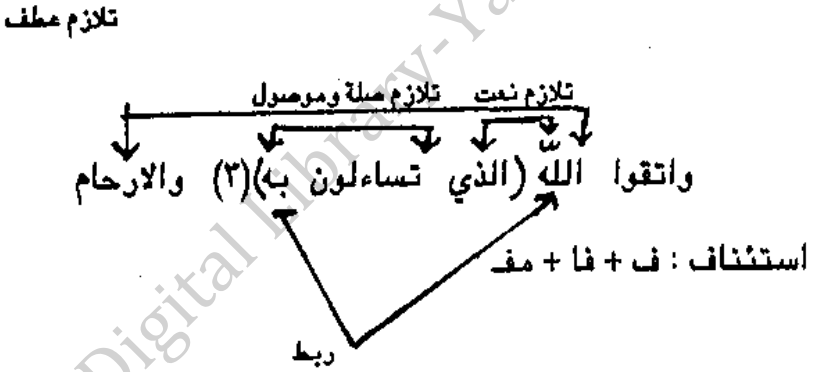

- أما في حال النصب فعُطِفَتْ " الأرحام " على الضمير العائد من الصلة على لفظ الجلالة " به " فالأرحام جزء من الصلة ، وذاك لتشاركه لفظاً في وقوع السؤال من العبيد به مع اختلاف دلالة السؤال بكل منهما ، فالسؤال بالله هو طلب العبد معونة باسم الله ولفظه صراحة ، والسؤال بالرحم هو سؤال العبد العبدَ بالله تلميحاً وكناية لأن رعايتها وإعلاءها حقها جزء من تنفيذ أمر الله ، ومراعاة لحق الله فيها ، فالسؤال بالاستعطاف بما أوجبه الله وفرضه وعظمه كأنما هو سؤال

---

(١) البحر المحيط ٢/١٥٨، ١٥٩ .

(٢) التفسير الكبير ٦/٣٢ .

(٣) ( ) حدود الموصول وصلته .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالله سبحانه .

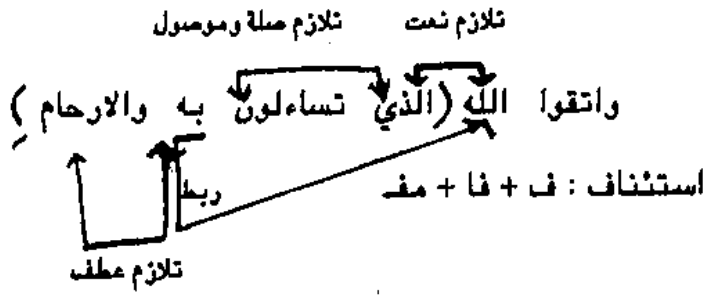

وبذا يُنقَضُ ما ذهب إليه الزجاج وابن عطية وغيرهما من أنّ عطف الرحم على الضمير يعني إشراكها مع الله في القسم بما يوقع في الحرام . ففي كلا الوجهين ربطت الرحم بالله تأكيداً لعظمها عند الله وحثاً على رعايتها بين العبيد ، سواء قرنت بتقواه ، أو بسؤاله وهذا ما يناسب سياق الآية وسببَ نزولها ، كما يتناسب مع أول الآية التي يذكر الله بها عباده بانهم خلقوا من نفس واحدة ، فصلة الأرحام لا تقف حتى عند حد الاقرباء ، بل بين كل بني البشر إذ هم في أصلهم ذوو قربى تربطهم رحم : " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا " .

فالأمر الأول بتقوى الله اقترن بالتذكير بالقربى منذ نشأة البشرية ، ثم الأمر الثاني بالتقوى اقترن بالوصية بالأرحام ، ثم التذكير بأنّ الله هو الرقيب عليهم فيه إشارة إلى وجوب التذكر الدائم لله ومراعاته في العلاقات بين الأرحام ، كما فيه شيء من الوعيد والإنذار لمن يخلف هذا الوعد والعهد مع الله بقطع الأرحام وتفريقها .

وفي ضوء ما سبق يحلل قوله تعالى : " يسئلونك عن الشهرِ الحرام قِتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل .... " (البقرة : ٢١٧) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

« إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . » (المائدة : ٦٩)

" قوله تعالى : (والصابئون) .... يقرأ بالهمزة والنصب عطفاً على الذين (١) ، وهو شاذٌ في الرواية صحيح في القياس ، .... ، والمشهور في القراءة الرفع . وفيها أقوال :

أحدها - قول سيبويه (٢) : وهو أن النية به التأخير بعد خبر إن ، وتقديره : ولا هم يحزنون ، والصابئون كذلك ؛ فهو مبتدأ والخبر محذوف ، ومثله :

" فإنّي وقَيّارٌ بها لَغريبُ "

أي فإني لغريبٌ وقيارٌ بها كذلك .

والثاني - أنه معطوف على موضع " إنّ " (٣) ؛ كقولك : إن زيداً وعمرو قائمان ؛ وهذا خطأ ، لأن خبر " إنّ " لم يتم ، " وقائمان " إن جعلته خبر(إن) لم يبق لعمرو خبر ، وإن جعلته خبر عمرو لم يبق لإنّ خبر ثم هو ممتنع في جهة المعنى ، لإنك تخبر بالمثنى عن المفرد .

وأما قوله تعالى : " إن الله وملائكتَه يصلّونَ على النبي " (الأحزاب : ٥٦) على قراءة من رفع " ملائكتـه " فخبر " إنّ " محـذوف ، وتقديره :إن اللـه يصلي ، وأغنى عنه خبر الثانـي ،

---

(١) ذكر ابن الجزري في "النشر" اختلاف القراء في همزة الصابئون في سورة المائدة ، فأبو جعفر يقرؤها "الصابون" بحذف الهمزة وضم ما قبلها ، ووافقه عليها نافع ، ولم يذكر قراءة الصابئون بالياء في هذا الموضع من القرآن . انظر : النشر ٣٩٧/١ . وكذلك لم يذكر القيسي في "الكشف" اختلافاً بين القراء السبعة فيها . وهي مما أورده ابن جني من شواذ القراءات في المحتسب ، وهي قراءة عثمان وأبي بن كعب وعائشة وسعيد بن جبير والجحدري ٢١٧/١ .

(٢) انظر : الكتاب ١٥٥/٢ ، والبحر المحيط ٥٣١/٣ ، والجامع ٢٤٦/٦ ، وإعراب النحاس ٥١٠/١ ، والبيان ٢٩٩/١ ، ٣٠٠ ، ومعاني الزجاج ١٩٣/٢ ، ١٩٤ . وبه أخذ الزمخشري انظر : الكشاف ٦٣٢/١ .

(٣) انظر معاني الفراء ٣١١/١ ، ٣١٢ ، ومعاني الأخفش ٢٦١/١ ، والبحر المحيط ٥٣١/٣ ، والكشاف ٦٣٢/١ ، والبيان ٣٠١/١ ، تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ص ٥٢ ، ٥٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذلك لوقلت : إنّ عمراً وزيدٌ قائم ، فرفعتَ زيداً جاز على أن يكون مبتدأ ، وقائم خبره ، أو خبر "إنّ" .

والقول الثالث - أنّ " الصابئون " معطوف على الفاعل في هادوا (١) وهذا فاسد لوجهين :

أحدهما - أنه يوجب كَوْنَ الصابئين هودا ، وليس كذلك .

والثاني - أن الضمير لم يؤكد .

والقول الرابع - أن يكون خبر الصابئين محذوفاً من غير أن ينوى به التأخير (٢) ؛ وهو ضعيف أيضا لما فيه من لزوم الحذف والفصل .

والقول الخامس - أنّ (إنّ) بمعنى نعم ، فما بعدها في موضع رفع ، فالصابئون كذلك . (٣)

والسادس - أنّ " الصابئون " في موضع نصب ، ولكنه جاء على لغة بلحرث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال ، والجمع بالواو على كل حال (٤) ، وهو بعيد .

والقول السابع : " أن يَجْعَلَ النون حرفَ الإعراب .

فإن قيل : فأبو علي إنما أجاز ذلك مع الياء لا مع الواو .

قيل : قد أجازه غيره ؛ والقياس لا يَدْفَعُه . "

ينطلق سيبويه والنحاة في إعرابهم " الصابئون " من أن " إنّ " حرف ناسخ مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ ويرفع الخبر . يقول السيوطي في إنّ واخواتها : "لما" كان لهذه الاحُرف شبه بكان في لزوم المبتدأ والخبر ، والاستغناء بهما عملت عملها معكوساً ليكونا معه ، كالمفعول قدّم ، وفاعل أُخر تنبيهاً على الفرعية ، ولأن معانيها في الإخبار ، فكانت كالعُمَد والأسماء كالفضلات فأعطيا إعرابيهما ، ولا خلاف بين الفريقين : أنها الناصبة

---

(١) انظر : معاني القراء ٢١٢/١ ، ومعاني الأخفش ٢٦٢/١ ، والبحر المحيط ٥٣١/٣ ، والبيان ٣٠١/١ .

(٢) البيان ٢٩٩/١ ، ٣٠٠ .

(٣) البحر المحيط ٥٣١/٣ ، والجامع ٢٤٧/٦ ، وإعراب النحاس ٥١٠/١ .

(٤) التبيان ٤٥١/١ ، ٤٥٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

للاسم) (١) .

فقاعدتهم توجب أن تكون إنّ ناصبة للمبتدأ رافعة للخبر على خلاف (٢) . وعلى هذا يكون المعطوف على اسمها منصوباً بالتبعية ، فإذا وردت أمثلة بعد تقعيد قاعدتهم بحثوا لها عن تعليل وتأويل كما في هذه الآية فقد عدّت من الغلط الذي في القرآن وستصححه العرب في الحديث المفترى على عائشة (٣) .

فبدل أن تتخذ الشواهد من القرآن الكريم ، وكلام العرب أساساً للتقعيد تحكم القاعدة فيها فتخطؤها على الرغم من أنها شواهد موثوقة .

فإن كان سيبويه قد غلّط من العرب من يرفع تابع اسم إنّ حيث يقول : واعلم أنّ ناساً من العرب يغلطون فيقولون : أنهم أجمعون ذاهبون ، وإنك وزيدٌ ذاهبان ، وذلك أن معناه معنى الابتداء ، فيرى أنه قال : هم كما قال :

* ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا (٤) * (٥) .

فإنه لم يستطع أن يغلّط الآية الكريمة برفع " الصابئون " إذ هي قراءة السبعة في حين أن مجيء " الصابئين " بالنصب قراءة شاذة . ومن هنا قال بالرفع على نية التأخير وتبعه في ذلك من تبعه من النحاة والمفسرين في محاولة لتبرير رفع تابع اسم "إنّ" دون كسر قاعدتهم .

وذهب فريق آخر من النحاة الى أن الرفع عطفاً جاء على موضع "إنّ" واسمها واستلزم

---

(١) الهمع ٢/١٥٥ . وانظر التصريح على التوضيح ١/٢١١ .

(٢) ذهب البصريون الى انها ترفع الخبر ايضا ، في حين ذهب الكوفيون الى انها لم تعمل فيه شيئا ، بل هو باق على حال رفعه قبل دخولها . انظر : المرجعين السابقين في الموضعين أنفسهما والانصاف مسالة (٢٢) ١/١٧٦ - ١٨٥ .

(٣) أورد ابن قتيبة هذه الآية في باب " ما ادعى على القرآن من اللحن " انظر : تاويل مشكل القرآن ٢/٥٠ - ٦٤ .

(٤) الشطر الاول : بدالي اني لست مدرك ما مضى " نسبه سيبويه لزهير . انظر الكتاب ١/١٦٥ .

(٥) الكتاب ٢/١٥٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذا إيجاداً مبرر لتجويزه ، فقالوا بضعف إنّ لعدم عملها في الخبر ، وهي حجة فلسفية ليس من قرينة لغوية تؤيدها ، بل لتصح حجتهم جردوا إنّ من وظيفتها الدلالية وهي التوكيد ، وجعلوها زائدة في المبنى لا تحدث أثراً في المعنى . يقول ابن قتيبة : " وقالوا في قوله تبارك وتعالى ، " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون" رفع " الصابئين " لأنه ردّ على موضع (إن الذين آمنوا) وموضعه رفع ، لأن "إنّ" مبتدأه وليست تحدث في الكلام معنى كما تحدث أخواتها . ألا ترى أنك تقول : زيدٌ قائم ، ثم تقول : إنّ زيداً قائم ، ولا يكون بين الكلامين فرقٌ في المعنى . وتقول زيدٌ قائم ، ثم تقول : لعل زيداً قائم ، فتحدث في الكلام معنى الشك ونقول : زيدٌ قائم ، ثم تقول : ليت زيداً قائم ، فتحدث في الكلام معنى التمني ويدلك على ذلك قولهم : إن عبد الله قائم وزيدٌ ، فترفع زيداً ، كأنك قلت : " عبد الله قائم وزيدٌ ، وتقول : لعلّ عبدَ الله قائمٌ وزيداً ، فتنصب مع " لعلّ" وترفع مع " إنّ" لما أحدثته "لعل" من معنى الشك في الكلام ، ولأن "إنّ" لم تحدث شيئاً "(١) .

وكذلك رأى الأخفش أن دخول" إنّ" وعدمها على الجملة لا يؤثر في المعنى : " ... كأن قوله : " إن الذين آمنوا" ، في موضع رفع في المعنى لأنه كلام مبتدأ ، لأن قوله : إنّ زيداً منطلق، وزيدٌ منطلق من غير أن يكون فيه "إنّ" في المعنى سواء "(٢) ، متجاهلين أنّ "إنّ" لم تدخل على الجملة لمجرد رغبة المتكلم في التفنن اللفظي العابث في اللغة وإنما دخلت لتؤكد مضمون الجملة(٣)وقد نص النحاة والبلاغيون على ذلك :

يقول سيبويه : " و(إنّ) توكيدٌ لقوله : زيدٌ منطلق ، وإذا خففت فهي كذلك تؤكد ما يتكلم به وليثبت الكلامُ ، غير أنّ لام التوكيد تلزمها عوضاً مما ذهب منها "(٤).

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٥٢ ، ٥٣ . وإلى هذا ذهب المبرد أنظر المقتضب ٤/١٠٧.

(٢) معاني الأخفش ١/٢٦١.

(٣) انظر : في نحو اللغة وتراكيبها ص ١٠٢.

(٤) الكتاب ٤/٢٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحين يبدأ السيوطي بالتعريف "بإنّ" وأخواتها ، أوّل ما يذكره وظيفتها الدلالية فيقول : " إنّ للتأكيد ، ..."(١) ثم يعطي كل واحدة من أخواتها في العمل وظيفتها الدلالية الخاصة . لكن نظرة بعض النحاة الشكلية جعلتهم يتجاوزون بابين رئيسين في اللغة العربية من حيث التقسيم الجملي ، وهما باب الإخبار ، وباب الإنشاء ، ثم يتجاوزون درجات الإخبار ومواطن استعمال كل أسلوب من أساليبه حسب ما يقتضيه الحال والسياق . في حين أولى البلاغيون هذا الجانب الدلالي من الاستعمال اللغوي جل اهتمامهم مفرقين بين الجملة الإخبارية البسيطة التي يلقي بها المتكلم إلى مخاطب خالي الذهن كما في : زيد منطلق ، والجملة الإخبارية العميقة التي يلقي بها المتكلم إلى مخاطب متشكك . يقول القزويني : " من المعلوم لكل عاقل أن قصد المُخبِرْ بخبره افادة المخاطب إما نفس الحكم كقولك : زيدٌ قائم لمن لا يعلم أنه قائم ويسمى هذا فائدة الخبر وإما كون المخبر عالماً بالحكم كقولك لمن زيدٌ عنده ولا يعلم انك تعلم ذلك : زيدٌ عندك ويسمى هذا لازم فائدة الخبر.

.... واذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيه استغنى عن مؤكدات الحكم كقولك : جاء زيدٌ وعمرو ذاهب فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خالياً وإن كان متصور الطرفية متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له حسن تقويته بمؤكد كقولك لزيدٌ عارف ، أو إن زيداً عارف وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار فتقول : إني صادق لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره ، وإني لصادق لمن يبالغ في إنكاره ، وعليه قوله تعالى: "واضرب لهم مثلاًأصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلاّ تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون " (يس :١٣) حيث قـال

---

(١) الهمع ١٤٨/٢. وانظر البرهان في علوم القرآن ،الزركشي ٤٠٥/٢،٤٠٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في المرة الأولى إنا إليكم مرسلون وفي الثانية إنا اليكم لمرسلون . ويؤيد ما ذكرناه جواب أبي العباس الكندي عن قوله : إني أجد في كلام العرب حشواً يقولون : عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم والمعنى جواب عن سؤال سائل ، وإنّ عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر ويسمى النوع الأول من الخبر ابتدائياً والثاني طلبياً والثالث انكارياً . واخراج الكلام على هذه الوجوه إخراج على مقتضى الظاهر وكثيراً ما يخرج على خلافه فينزل غير السائل منزلة السائل اذا قدم ما يلوح له بحكم الخبر فيستشرف له استشراف المتردد الطالب كقوله تعالى : " ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون " (المؤمنون :٢٧) .... وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض " (١) .

ومن النحاة من خطّأ القائلين بضعف إنّ ، والعطف على موضعها وعدّه إقداماً عظيماً على كتاب الله . يقول الزجاج :" اختلف أهل العربية في تفسير رفع الصابئين فقال بعضهم نصبٌ " إنّ " ضعف فَنُسِقَ " بالصابئون " على" "الذين" لأن الأصل فيهم الرفع . وهو قول الكسائي، وقال الفراء مثل ذلك إلاّ أنه ذكر أن هذا يجوز في النسق على مثل " الذين" وعلى المضمر، ويجوز : أني وزيدٌ قائماً ، وأنه لا يجيز إن زيداً وعمرٌ قائمان . وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب الله وذلك أنهم زعموا أن نصب " إن " ضعيف لأنها إنما تغير الاسم ولا تغير الخبر ، وهذا غلط لأن "إنّ" عملت عملين النصب والرفع ، وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول ، والمفعول لا يكون بغير فاعل فيما لم يسمَّ فاعله ، وكيف يكون نصب "إنّ" ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها . نحو قوله : " إنّ فيها قوماً جبارين " (المائدة :٢٢) ونصب إنّ من أقوى المنصوبات :(٢).

فهذا رد على حجج النحاة الفلسفية بحجج من نوعها ، وإن كانت الباحثة لا تأخذ بها كلها، إلاّ أنها

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ص ١٣ . ١٤، وانظر : دلائل الإعجاز ، ص٢٩٧ . ٢٩٨ والتصريح ٢١١/١.

(٢) معاني الزجاج ١٩٢/٢، ١٩٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أقرب إلى المنطقية المعقولة منها إلى الفلسفة المجردة ، فالاستشهاد بتخطيها الظروف ونصبها ما بعدها على أنها ليست بضعيفة حجة مقبولة للرد على النحاة بطريقتهم نفسها والأهم من هذا ربطه معنى الآية بإعرابها ومبناها حين رأى في تبريرهم العطف على موضع إنّ واسمها مالا ينبغي أن يكون في كتاب الله ، وليس ذلك إلا لما يترتب على تأويلهم من خروج عن المعنى بل إنّ القول بالعطف على الموضع قبل تمام الخبر يوقع النحاة في محظور تفرضه قاعدتهم الأصلية " لا يجتمع عاملان على معمول واحد " . ولذلك اختلف الكوفيون فأجاز فريق منهم العطف على " إنّ " قبل تمام الخبر ، وذهب الكسائي إلى تجويز ذلك على كل حال ، سواء ظهر عمل إنّ أو لم يظهر ، بينما ذهب الفراء إلى أنه لا يجوز إلاّ اذا لم يظهر فيه عمل إنّ في حين ذهب البصريون إلى عدم جواز العطف على الموضع قبل تمام الخبر على كل حال(١) .

وبذا تسقط حجة من قال بضعف إنّ ومن ثمّ يسقط المبرر لتجويز العطف على موضع إن واسمها .

ويعلل الأنباري غلط العرب في " إنك وزيدٌ ذاهبان(٢) "بأن" ... هذا لأن العربي يتكلم بالكلمة إذا استهواه ضرب من الغلط فيعدل عن قياس كلامه ، كما قالوا " ما أُغفله عنك شيئاً " وكما قال زهير ويقال صِرْمة الأنصاري :

بدا لي أني لستُ مدركَ ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فقال "سابقٍ" على الجرّ وكان الوجه سابقاً بالنصب ، ...(٣) .

فإن سُلِّم للنحاة بأن قولهم : " ما أُغفله عنك شيئاً " غلط لعدم ورود شواهد أخر.

تعاضده من كلام العرب الفصحاء ، أو القرآن الكريم ، فإنه لا يجوز التسليم بأنّ " إنك وزيدٌ

---

(١) للاطلاع على حجج الفريقين انظر : الإنصاف مسألة ، (٢٣) ١/٨٥-١٩٥.

(٢) هذا من حجج الكوفيين المسموعة ، انظر: الإنصاف ، مسألة (٢) ١/١٨٦.

(٣) الإنصاف ، مسألة (٢٣) ١/١٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذاهبان " غلط لأن ثمة شواهدَ لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وهي من كتاب الله الكريم ، ثم من كلام رسوله تؤيد وجود هذه الظاهرة في كلام العرب ، وهي إبقاء اسم إنّ على حاله من الرفع ، كما في " إنّ هذان لساحران "(١) (طه :٦٣) في حال التثنية ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم(٢) : "إنّ الحمد لله " في حال الإفراد ، ثم إتباع اسم إنّ المكني بمرفوع كما في هذه الآية " إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ..." ثم في قول العرب : " إنهم أجمعون ذاهبون " وهاتان حالتان في حال الجمع .

هذا بالإضافة الى أن القياس على الشواهد الشعرية والتي جاءت كلها على توابع لخبر (ليس)(٣) ليس بسليم ، فإن كان النحاة قد أجازوا لأنفسهم حمل إنّ وتابع اسمها على ليس وتابع خبرها، والقياس عليه كما في شاهد سيبويه السابق على الرغم من أنّ (ليس) ليست من أخواتها ، بل من أخوات كان ، ولا عاملة عملها، فمن باب أولى القياس على الشواهد الموثوقة المتعددة على اسم إنّ نفسها وتابعه .

فالتصور أنّ "إنّ" في الشواهد السابقة لم تأخذ حركة النصب اقتضاء ، بمعنى: أنّ من العرب من يعطي الاسم بعد دخول إنّ على الجملة حركة النصب ، ومنهم من يتركه مرفوعاً على حاله ، دون أن يؤثر ذلك في المعنى ، فإذا أرادوا أن يتبعوه بتابع ما ، نصبه من ينصب اسمها، ورفعه من يرفعه.

---

(١) وهي قراءة صحيحة موثوقة عليها جل الجمهور ، يقول ابن الجزري : " واختلفوا في (هذان) فقرأ ابو عمرو (هذين) بالياء ، وقرأ الباقون بالألف ،وابن كثير على أصله في تشديد النون . " النشر ٢/٢٢١، وانظر: الكشف ٢/٩٩.

ويقول النحاس : " ولا يفكر في إنكار من أنكر هذه اللغة ،إذ كان الإئمة قد رووها ، وتبين أنها الأصل وهذا بين جداً ...." إعراب القرآن ٢/٢٤٧ .

(٢)إعراب النحاس ٢/٢٤٤.

(٣)انظر هذه الشواهد الشعرية الأربعة في الإنصاف ،مسألة (٢٢) ١/١٩١-١٩٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبذا يفترض أن تكون الجملة : زيدٌ قائم جملة اسمية توليدية اخبارية

(م + خ) لا يقصد المتكلم بها سوى الإخبار المحايد

ولما أحس المتكلم من المخاطب شكاً وتردداً في تصديق الخبر أكّده بـ "إنّ" في محاولة لإزالة شكه

⟸ إنّ زيدٌ قائـــــمٌ على لغة قوم من العرب ممن يرفعون اسم إنّ

أو : إنّ زيداً قائمٌ على لغة من ينصب اسم "إنّ" من العرب اقتضاء لها.

∴ (م + خ)

فالجملة اسمية تحويلية مؤكدة بمؤكد واحد ، محولة بالزيادة .

ولما أراد المتكلم تخصيص المبتدأ بصفته التي تميزه عن غيره ممن قد يَلْتَبِسُ بهم ، ألزمه تلك الصفة

تلازم نعت

⟸ إنّ زيدٌ الظريفُ قائمٌ

أو تلازم نعت

إنّ زيداً الظريفَ قائمٌ

والتحليل واحد : ∴ (م + خ)

وبذا تتفق الباحثة مع من ذهب من النحاة والمفسرين(١) إلى تخطئة تخريج (الصابئون) على أنه معطوف على الموضع ، وترى أنه معطوف على اسم إنّ ، لكنها تخالفهم في قياس ذلك على المثال المصنوع : " إنّ زيداً وعمرٌ قائمان " وترى أن هذا المثال خاطئ ليس لأن الخبر لم يتم - كما يقولون ؛ بل لأنه في أصله وليد قياس خاطئ على الآية الكريمة " إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون " وعلى قول العرب : إنك وزيدٌ ذاهبان ، ذلك أنّ " عمرو" عطف مرفوعاً على منصوب فكيف جاز هذا إلا من خلال قاعدة النحاة التي تسلّطت عليهم فجعلتهم

---

(١) انظر: التبيان ٤٥١/١ ،والكشاف ٦٣٢/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يفترضون أن الاسم المكني في الآية " الذين " والكاف في "أنك " في موضع نصب سيراً مع قاعدتهم، وكان الأجدر بهم أن ينظروا إلى علامة الرفع على تابع اسم "إنّ" المكني على أنها قرينة إعرابية فيدركوا أنّ المتكلم حين تكلم نوى أن يبقي المبتدأ مرفوعاً على أصله ، ولم ينو النصب.

ولعل الفراء كان أكثر دقة في وصف هذه الظاهرة اللغوية حين أجاز العطف بالرفع على اسم إنّ معتلاً بضعفها ، بشرط أن يكون مُكنّىً ، ولم يجوزه في حال ظهوره فقال : " فإن رفع (الصابئين) على أنه عطف على (الذين) حرف على جهة واحدة في رفعه ونصبه وخفضه ، فلما كان إعرابه واحداً وكان نصب (إنّ) نصباً ضعيفاً - وضعفه أنه يقع على الاسم ولا يقع على خبره - جاز رفع الصابئين . ولا استحبّ القول : إنّ عبد الله وزيدٌ قائمان لتبين الإعراب في عبد الله . وقد كان الكسائي يجيزه لضعف "إنّ" . وقد انشدونا هذا البيت رفعاً ونصباً :

فمن يكُ أمسى بالمدينة رَحْلُه ... فإني وقياراً بها لغريبُ

وقيارٌ . ليس بحجة للكسائي في إجازته (إنّ عمراً وزيدٌ قائمان) لأن (قياراً) قد عطف على اسم مكنّىً عنه ، والمكنّى لا إعراب له فسهل ذلك فيه كما سهل (الذين) إذا عطفت عليه (الصابئون) وهذا أقوى في الجواز من (الصابئون) لأن المكنّى لا يتبين فيه الرفع في حال، وللذين قد يقال : اللذون رفع في الحال.

وأنشدني بعضهم :

وإلا فاعلموا أنّا وأنتم ... بُغاةٌ ماحيينا في شقاقِ(١) " (٢)

فقد أدرك ان السّر في الاسم المكنّى الذي لم تظهر عليه قرينة اعرابية تشير إلى رفعٍ أونصب. لذلك كانت قاعدته مقتصرة على المكنى دون غيره من الأسماء في حين توسع الكسائي فقاس المظهر على المضمر، بعد أن اعطاه حركة النصب في حين كان تابعه مرفوعاً بناء على قياس خاطئ ، بنى عليه النحاة فيما بعد أمثلتهم المصنوعة .

---

(١) "الشاهد لبشر بن أبي خازم في ديوانه ص ١٦٥ ، ... " انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (١٨٢٧) .

(٢) معاني القراء ١/٣١١، ٣١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يخفى ما في كلام الفراء من إرهاص إلى أن اسم "إنّ" المكنّى قد يكون مرفوعاً على الأصل وهذا ماتذهب إليه الباحثة ، خاصة وأنه أشار إلى رواية الشاهد الشعري برفع " قيار" ونصبه، ويفترض في هذه الحال أن من رواه بالنصب قاسه على لغة قومه في نصب اسم(إنّ)، ومن ثم نسقه عليه منصوباً. ومن رواه بالرفع قاسه على لغة قومه في إبقاء اسم (إنّ) مرفوعاً على حاله قبل دخولها عليه ، فنسقه عليه مرفوعاً . ومثله الشاهد الشعري الثاني " أنّا وانتم بُغاة " حيث نوى قائله رفع اسم "إنّ" ومن ثم رفع المنسوق عليه إذ الأصل في الإتباع بالنسق ادخال الثاني في حكم الأول نحوياً ودلالياً معاً .

ومن الشواهد على هذه الظاهرة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم :" إنّ الحمد لله " حيث صُرح برفع اسم "إنّ" ، ومن ثم كان لا بد من أن يأخذ تابعه حركته فيما لو أراد أن يعطف عليه أو ينعته، إلاّ أن بعض النحاة حاولوا الخروج من هذا المحظور بأن قالوا بأنّ " إنّ" في هذا الشاهد للموافقة بمعنى " نعم " .

وكذلك قالوا في تخريجهم " إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون" وقد ردّ أبو حيان هذا التخريج بقوله : " والوجه الرابع : أنّ تكون "إنّ" بمعنى " نعم " حرف جواب وما بعده مرفوع بالابتداء فيكون " والصابئون" معطوفاً على ما قبله من مرفوع : وهذا ضعيف لأن ثبوت " إنّ " بمعنى " نعم " فيه خلاف بين النحويين(١) ، وعلى تقدير ثبوت ذلك من لسان العرب فتحتاج إلى شيء يتقدمها يكون تصديقاً له ولا تجيء ابتدائية أول الكلام من غير أن تكون جواباً لكلام سابق "(٢).

وهذا منطبقٌ على سياق الشاهديْن : الآية الكريمة هذه ، وافتتاح محمد -صلى الله عليه وسلم خطبته بـ "إنّ الحمد لله " .

فليس قبلهما كلام يحتاج الى موافقة وإيجاب ، فهما ابتدائيتان لا يفترض أن يوافق فيهما

---

(١) ذهب المبرد الى أن مجيء " إن" بمعنى نعم شاذ حتى قيل إنه لم يثبت " التصريح ٣٦/١. ولم نجد رأيه هذا في المقتضب.

(٢) البحر المحيط ٥٣١/٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

المتكلم على ما لم يقل أصلاً .

وعلى هذا ، يكون الأصل أن يكون المثال المصنوع في ضوء هذه الظاهرة اللغوية أحد اثنين :

١- إنّ زيدٌ وعمرٌ قائمان

أو

٢- إنك وعمرٌ قائمان

بالمطابقة في الحركة بين المعطوف والمعطوف عليه .

وعليه يكون (الصابئون) معطوفاً على "الذين آمنوا" ، كما عطف " الذين هادوا عليه ، "والنصارى " على (الصابئون) .

ويكون أقرب رأي إلى واقع اللغة ووصفها أنها لغة قوم من العرب يرفعون اسم إنّ في كل احواله من إفراد وتثنية وجمع . وفي حال الإظهار والإضمار ولا يقتصر فقط "...على لغة بلحرث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال، والجمع بالواو علي كل حال " (١) . فأصل الجملة التوليدي للآية الكريمة ،

تلازم جار ومجرور تلازم عطف تلازم عطف

1 ⇐ على الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى خوفٌ ويحزنون

تلازم صلة وموصول تلازم صلة موصول

خـ(شبه جملة) +م (نكرة) عطف (ف +فا)

وهدف هذه الجملة الإخبار المحايد بواقع أولئك الناس المذكورين ، وأن ثمة خوفاً عليهم ، والخوف نكرة ليكون أدعى إلى الهلع وأوقع في النفس إذ هو غير معروف الجهة ولا الوقت ولا النوع ، وجاء الخبر بالجملة الاسمية ليكون أدلّ على الثبوت ، ثم عطف على الخوف بالحزن بصيغة فعل ليدل بالإضافة إلى الخوف الدائم على حزن متكرر متجدد(٢) يصاحبهم ، بصيغة

---

(١) البيان ١/٢٠٠،٢٠١.

(٢) ذكر القزويني أن الاسم يدلُّ على التجدد في الجملة . انظر : الإيضاح ص ٥٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المضارع الذي يحتمل وقوعه حالاً أو في الدنيا ، أو في الآخرة مستقبلاً أو فيها جميعاً . فالأصل أن تكون حقيقة واقع أولئك : أن عليهم خوفاً ويحزنون .

ثم أراد المتكلم العناية بموضع اهتمامه واهتمام السامعين ، وهو الذي يحدد مَنْ الذين عليهم خوف . إذ قد يعلم كثير منهم أن ثمة خوفاً على أناس من البشر لما سيؤلون إليه من عذاب لعدم صحة ما يعتقدون به ، فيرى اليهود أن ليست النصارى على شيء ؛ ويرى النصارى أن ليس اليهود على شئ ، وكذلك الصابئون ، وغيرهم فصاحب كل ملة يظنّ انه صاحب المنهج القويم وأنّ الويل واقع على من خالف ملته . فيقدم المتكلم جوهر الموضوع الذي يختلفون فيه ليعطي – فيما بعد – الحكم الفاصل بينهم .

والتقديم كما يعرفه عبد القاهر الجرجاني : " هو باب كثير الفوائـــد ، جم المحاســـن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعه ، ويفضي بك الى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان الى مكان " (١)

" .... هو عربي جيد كثير ، كأنهم إنما يقدمون الذين بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنياهم " (٢)

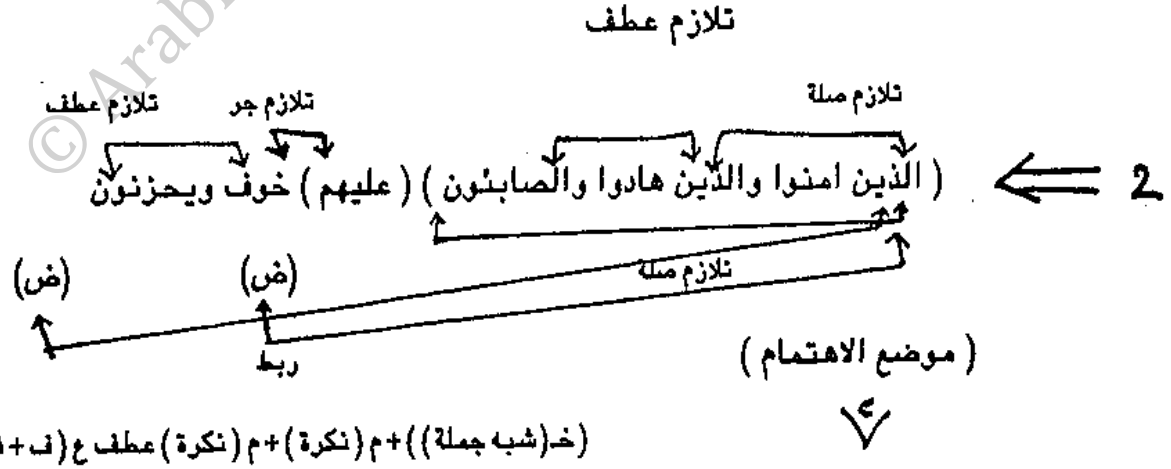

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٣٥ .

(٢) الكتاب ١/٢٤ وانظر البرهان ٣/٢٣٥ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لكن المتكلم في الوقت ذاته أراد تأكيد حتمية وقوع هولاء في الخوف والحزن ، أراد إثباتَ النجاةِ لجماعة مخصوصة منهم وهي " مَنْ آمن بالله ، واليوم الآخر وعمل صالحاً " فهم منهم من حيث إنهم كانوا على مللهم ، وليسوا خاضعين للحكم الواقع عليهم لأنّه تحقق لهم الاجتماع على الإيمان بالله واليوم الاخر ثم العمل الصالح وهو شرط النجاة من الخوف والحزن ، وذلك على سبيل البدل وحيث إن هذا الشرط تحقق لبعض منهم لا لهم كلهم ، فهو بدل بعض من كل.

" واعلم أن كلاً من البدلين - أعني بدل البعض وبدل الاشتمال - بياناً وتخصيصاً للمبدل منه ، وفائدة البدل ان ذلك الشيء يصير مذكورا مرتين : إحداهما بالعموم والثانية بالخصوص "(١) ، ولما كانت الكثرة واقعة في الويل لا محالة والقلة هي الناجية ، نفى الخوف والحزن عنهم ، ليثبتهما ضمنا للكثرة ، فقدم الخوف (المبتدأ) على الخبر (عليهم) لأنه هو النتيجة الحاسمة التي يتطلع كل من الفريقين الى معرفة مصيره منها .

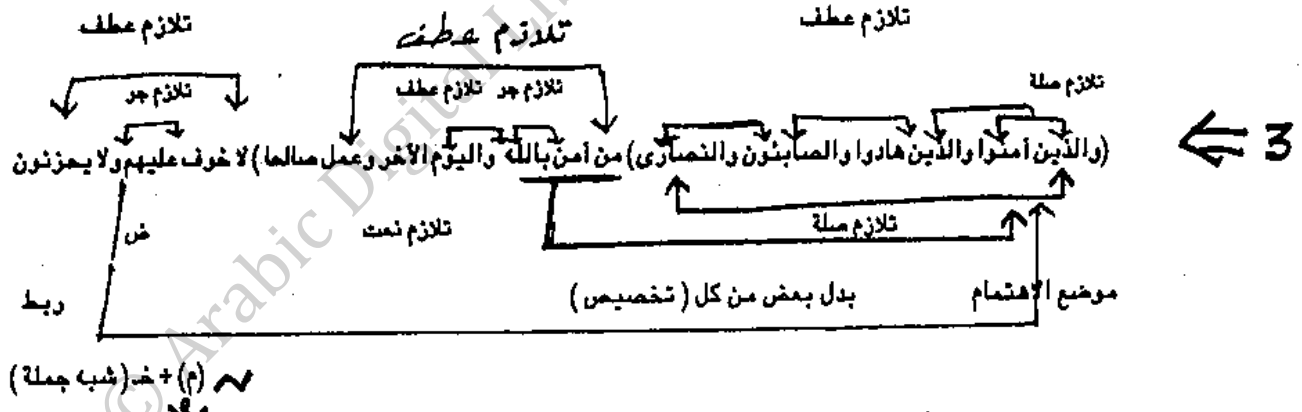

ثم اراد المتكلمُ زيادةَ توكيد موضع الاهتمام في الجملة ، بإثبات الخوف لمن لم يحقق شرط الإيمان فأدخل عنصرَ التأكيد " إنّ " ثم قرن النفي بالفاء التي تحمل معنى الشرط(٢) فترتب نفي الخوف والحزن على تحقق الإيمان ، وزيادة قوة الربط بين اجزاء الجملة .

---

(١) البرهان ٢/٤٥٥ .

(٢) انظر الكشاف ١/٦٣٣ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

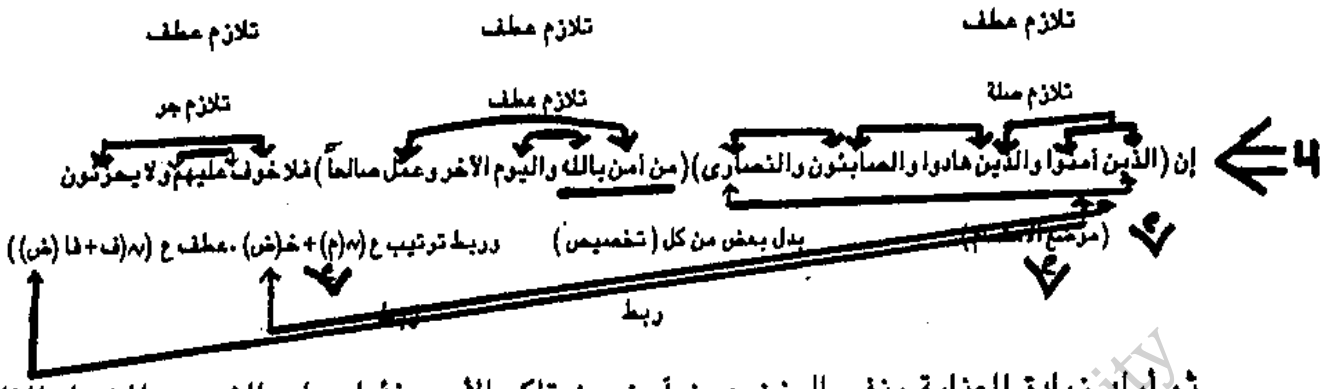

ثم أراد زيادة العناية بنفي الحزن عمن آمن من تلكم الأمم ، فأعاد على الضمير المتصل الفاعل في " يحزنون " و " الذي يعود على " الذين " ومن ثم على من آمن منهم لارتباطه مع الذين بالبدلية ، ضميراً منفصلاً متقدماً عليه ليؤكده .

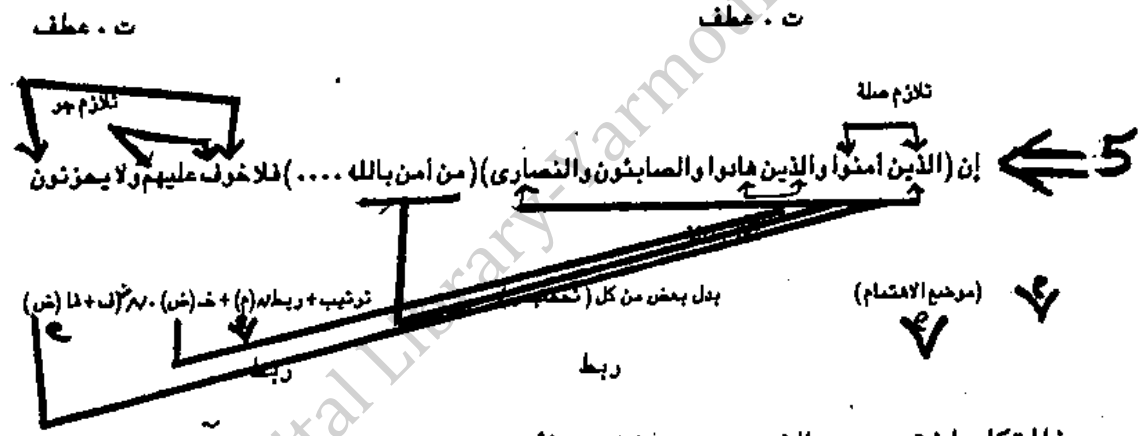

فالمتكلم اختص من الخبر بعضه فقدمه لأهميته عنده من بعضه الآخر ، فقدم المجرور على جاره بعد أن أُعاد عليه ضميراً لغرض تركيبي يسد مسده ، ثم اختص من هذا الـ"بعض" المقدم بعضاً من مضمونه ، فليس كل الذين آمنوا ، والذين هادوا والصابئون والنصارى ، بل بعضاً منهم فخصهم بذلك البدل وذكر شروط دخولهم في من " لا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

وقد يتساءل المرء كيف جعل " الذين آمنوا " مع هذه الأمم غير المؤمنة ، وكانوا معهم في الحكم سواء ، فليسوا كل " الذين آمنوا " لا خوف عليهم ، بل من آمن منهم ؟

يقول الزمخشري : " فإن قلت كيف قال الذين آمنوا ثم قال (من آمن) ؟ قلت : فيه وجهان : أحدهما : أن يراد بالذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون . وأن يراد بمن آمن من ثبت على الإيمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه "(١) .

---

(١) الكشاف ١/٦٣٣

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمختار الرأي الاول إذ هو الذي يقبله المعنى ، فالمقصود بالذين آمنوا الذين ادعوا الايمان ادعاء ولم تؤمن به قلوبهم ، فنسبوا إلى الإيمان انتساباً وهم في واقعهم ليسوا بمؤمنين بمعنى انهم لم يؤدوا ما يستلزمه هذا الإيمان من عمل ، أو الذين ظنوا أنهم آمنوا ممن قال فيهم الله تعالى مبيناً أن الايمان درجة عالية لما يصلوا اليها بعد : " قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعو الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم " (الحجرات : ١٤)

فالإيمان لا يتأتى بمجرد نطق الشهادتين بل بالعمل الذي يترتب عليهما ، ومن هنا قال " لا يلتكم من أعمالكم شيئاً " وكذلك الامر في الآية موضع التحليل حيث قرن الايمان بالله واليوم الاخر بالعمل الصالح .

ومثله قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل " (النساء : ١٣٦)

وقد شمل تعالى جميع الأمم ابتداءً بمن ينتسبون إلى الإيمان ثم الذين ينتسبون إلى الديانات الأخرى بعنايته لينبههم إلى أنه سبحانه لا ينظر إلى اشكالهم ولا إلى أجناسهم ولا إلى دياناتهم التي كانوا ينتسبون إليها قبل إسلامهم ، فسبحانه وتعالى لا تحكمه عنصرية ، ولا تحيّز لقوم دون غيرهم ، بل العبرة عنده بالإيمان وإخلاص العمل له .

وهو أيضاً يفيد ضمناً تحذير المؤمنين من تعيير مَنْ آمن بالله وأخلص بملته التي كان عليها قبلاً . ثم أكد لهم ذلك بأن لهم الأمان فلا خوف عليهم بدخول "إنّ" وعود أكثر من ضمير على موضع الاهتمام ليستلّ آخر ما في قلوبهم من شك وريبة في إخلاص هذا العهد وصدقه .

وبذا يكون موضع الاهتمام " الذين آمنوا " والمعطوف عليه والمرتبط بالبدلية مع (من آمن بالله .... " مؤكد بثلاث مؤكدات بالتقديم ، وبأن وبالضمير العائد على (يحزنون) لأن ضمير "يحزنون" يعود على موضع الاهتمام للربط ، والعائد على ضمير الشيء هو عائد عليه ، فمُؤَكِدُ ضميرِ (الذين) مُؤَكّد .

فالجملة اسمية تحويلية داخلها عنصر تحويل في أكثر من موطن فهي محولة بالترتيب

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بتقديم موضع الاهتمام من الخبر ، وتقديم المبتدأ النكرة على خبره (شبه الجملة) وهي محولة بالزيادة فقد ناخلتها الزيادة في أولها بدخول "إن" لتزيد موضع الاهتمام توكيداً .

وفي وسطها : بزيادة عنصر تخصيص وهو (جملة البدل)

ثم في آخرها : بزيادة عنصري نفي " لا " في " فلا خوف " و "لا" في يحزنون "

ثم : بزيادة فاء الترتيب والربط التي تفيد الشرطية .

ثم : زيادة " هم " في جملة " يحزنون " المعطوفة على " لا خوف عليهم " للتوكيد .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نصب المعطوف خلافاً لحركة المعطوف عليه

" ليسَ البرَّ أن تولّوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب ، ولكنّ البرّ من آمن بالله واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين وءاتى المال على حُبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . " (البقرة : ١٧٧)

يقول النحاس في إعراب " الموفون " و " الصابرين " : " فيه خمسة أقوال : يكون "والموفون " عطفا على " مَنْ " ، و " الصابرين " على المدح أي وأعني الصابرين ، ويكون و "والموفون " رفعاً بمعنى : وهم الموفون مدحاً للمضمرين و " الصابرين " عطفاً على ذوي القربى، ويكون " والموفون " على وهم الموفون و " الصابرين " بمعنى واحد وأعني الصابرين (١) فهذه ثلاثة أجوبة لا مطعن فيها من جهة الإعراب موجودة في كلام العرب وأنشد سيبويه :

لا يبعدن قومي الذي هم ... سَمُّ العداة وآفةُ الجَزَرِ

النازلينَ بكلِّ معتركٍ ... والطيبونَ معاقدِ الأُزُرِ (٢)

وإن شئت قلت : النازلون والطيبين ، وإن شئت رفعتَهُما جميعاً ، ويجوز نصبهما .

قال الكسائي : يجوز أن يكون والموفون نسقاً على " من " و " الصابرين " نسقاً على ذوي "القربى " . قال أبو جعفر : وهذا القول خطأٌ وغلطٌ بيّنٌ لانك إذا نصبت والصابرين ونَسَقْتَه على ذوي القربى دخل صلة " مَنْ " فإذا رفعت " والموفون " على أنه نسق على " من " نسقت على " من " من قبل أن تُتَمَّ الصلةَ وفرقتَ بين الصِّلة والموصول والمعطوف ، والجواب الخامس : أن يكون " والموفون " عطفاً على المضمر الذي في آمن " والصابرين " عطفا على ذوي القربى " ،

(١) أنظر هذين الوجهين في معاني الاخفش ١/١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) هو للخرنق بنت هفان ، انظر الكتاب ٢/٦٤ ، و ١/٢٠٢ والشاهد جواز نصب النازلون على المدح والعظيم .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قال الكسائي : وفي قراءة عبدالله (والموفين والصابرين)(١) . قال أبو جعفر : يكونا منسوقين على ذوي القربى وعلى المدح . قال الفراء(٢) : وفي قراءة عبد الله في (النساء) . والمقيمون الصلاة والمؤتونَ الزكاة " (النساء : ١٦٢)(٣) .

أما أن يكون الموفون عطفاً على " مَنْ " أو على الضمير الكامن في " آمن " و "الصابرين" عطفاً على " ذوي القربى " فغير مقبول يرفضه السياق كما ترفضه قواعد اللغة العربية - كما ذكر النحاس - لما فيه من فصل بين الموصول وصلته ، وهما ما يجب فيه التلازم لأنهما كالشيء الواحد ، والفصل بينهما يفتت الجملة تركيبياً ومن ثم يمزق المعنى ويهدره .

يقول الفخر الرازي : " في نصب (الصابرين) أقوال : (الأول) قال الكسائي : هو معطوف على (ذوي القربى) كأنه قال : وآتى المال على حبه ذوي القربى والصابرين ، قال النحويون : إن تقدير الآية يصير هكذا : ولكن البرّ من آمن بالله وآتي المال على حبه ذوي القربى والصابرين ، فعلى هذا قوله (والصابرين) من صلة " من " قوله (والموفون) متقدم على قوله (والصابرين) فهو عطف على (مَنْ) فحينئذ قد عطفت على الموصول قبل صلته شيئا ، وهذا غير جائز لأن الموصول مع الصلة بمنزلة اسم واحد ، ومحال أن يوصف الاسم أو يؤكد أو يعطف عليه الا بعد تمامه وانقضائه بجميع أجزائه ، أما إن جعلت قوله (والموفون) رفعاً على المدح ، وقد عرفت أن هذا الفصل غيرُ جائز ، بل هذا أشنع لأن المدح جملة فإذا لم يجز الفصل بالمفرد فلأن لا يجوز بالجملة كان أولى .

---

(١) قراءة الجمهور برفع " الموفون " ونصب " الصابرين " إذ لم يرد غيرها في الكشف والنشر وعليه فان القراءة بنصبهما جميعاً ، او برفعهما جميعا شاذة . ولا نحسبهما إلا قياساً على الشاهد الشعري السابق الذي يروي على هذين الوجهين ايضاً ، أنظر : معاني الفراء ١٠٥/١ ، ولم ترد في " المحتسب " ومختصر ابن خالويه .

(٢) انظر : معاني الفراء ١٠٦/١ . وقراءة الجمهور بنصب " المقيمين " ورفع " المؤتون " ، وقراءة عبد الله شاذة لم ترد في الكشف و " النشر " كما لم ترد في المحتسب .

(٣) اعراب النحاس ٢٣١/١ ، ٢٣٢ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فإن قيل : أليس جاز الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة كقول القائل : إنّ زيداً - فافهم ما أقول - رجلٌ عالم ، وكقوله تعالى :(إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجرَ من أحسن عملا) (الكهف : ٣٠) ثم قال (أولئك) ففصل بين المبتدأ و الخبر بقوله (إنا لا نضيع) قلنا : الموصول والصلة كالشيء الواحد فالتعلق الذي بينهما أشد من التعلق الذي بين المبتدأ والخبر ، فلا يلزم من جواز الفصل بين المبتدأ والخبر وجوازه بين الموصول والصلة " (١) .

وذكر ابن قتيبة هذه الآية الكريمة في باب " ما ادّعى على القرآن من لحن " وهو مما ذكر في مكان سابق من هذا البحث(٢) - أخذاً بما نسب الى حديث - عائشة وحديث عثمان - رضي الله عنهما - من أن في القرآن خطأ تصلحه العرب (٣) . يقول : " والقراء جميعاً على نصب " الصابرين " إلا عاصماً الجحدري " فإنه كان يرفع الحرف إذا قرأه ، وينصبه إذا كتبه ، للعلة التي تقدّمَ ذكرها " .

والذي نراه مراعاة للمبنى والمعنى معا أن " الموفون " عطف على " مَنْ آمن " ، والصابرين عطف على "الموفون " ، وهو باب عطف على صفة ، إلا أن المعنى البلاغي اقتضى التغير من حركة الاتباع رفعا الى حركة النصب للتنبيه الى معنى المدح بقول الفراء ملتفتاً إلى هذا راداً القول بالنصب على تقدير فعل أوجب النصب ، مكتفيا بمعنى المدح علّةً للنصب ، مبيّناً أن هذا من سنن العرب في كلامها :

" وقوله : (مَنْ آمن بالله) في موضع رفع ، وما بعدها صلة لها ، حتى ينتهي إلى قوله (والموفون بعهدهم) فيرد (الموفون) على (مَنْ) و (الموفون) من صفة (مَنْ) كأنه : من آمن ومن فعل واوفى . ونصبت (الصابرين) ، لأنها من صفة (مَنْ) وإنما نصبت لأنها من صفة اسم واحد ، فكأنه ذهب به إلى المدح ، والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو

---

(١) التفسير الكبير ٥/٤٤ .

(٢) انظر : ص ١٧٢ .

(٣) انظر : معاني القراء ١/١٠٦ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الذم ، فيرفعون إذا كان الاسم رفعاً ، وينصبون بعض المدح ، فكأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدد غير مَتْبَع لأول الكلام ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

لا يبعدنْ قومي الذين هم سُمُّ العداة وآفة الجُزُرِ

النازلين بكلّ معترَكٍ والطيبين معاقد الأُزُرِ .

وربما رفعوا (النازلون) و (الطيبون) ، وربما نصبوهما على المدح ، والرفع على أن يُتْبَعَ آخرُ الكلام أوّله . وقال بعض الشعراء(٢) :

الى المَلِكِ القَرْمِ وابنِ الهُمامِ وليثَ الكتيبةِ في المزْدَحَمْ

وذا الرأيِ حينَ تَغَمُّ الأُمورُ بذاتِ الصّليلِ وذاتِ اللُّجَمْ

فنصب (ليث الكتيبة) و (ذا الرأي) على المدح والاسم قبلهما مخفوض ، لأنه من صفة واحد ، فلو كان الليث غير الملك لم يكن إلا تابعاً ، كما تقول : مررتُ بالرجلِ والمرأةِ ، وأشباهه .

.... ونرى أن قوله : " لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أُنزلَ إليك وما أُنزلَ من قبلكَ والمقيمينَ الصلاةَ والمؤتونَ الزكاة " (النساء : ١٦٢) أن نصب " المقيمون " على أنه نعت للراسخين ، فطال نعته ونصب على ما فسرت لك . وفي قراءة عبد الله " المقيمون والمؤتون " وفي قراءة أبي " والمقيمين " ولم يجتمع في قراءتنا وفي قراءة أُبَيّ إلا على صواب . والله أعلم .

.... وقد قال بعضهم : " وأتى المال على حبه ذوي القربى - والصابرين " فنصب الصابرين على ايقاع الفعل عليهم . والوجه أن يكون نصباً على نية المدح ، لأنه من صفة شيء واحد "(٣).

ويفرد سيبويه في كتابه باباً للمنصوب على المدح يقول : " هذا باب ما ينتصب على التعظيم

---

(١) تاويل مشكل القرآن ص ٣٥ .

(٢) ورد هذا الشعر في خزانة الادب ، ت : عبد السلام هارون ١/٤٥١ و ٥/١٠٧ ، وفي الإنصاف ٢/٤٦٩ غير منسوب .

(٣) معاني القرآن ١/١٠٥-١٠٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والمدح وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول ، وإن شئت قطعته فابتدأته . وذلك: قولك : الحمدُ للهِ الحميدَ هو ، والحمدُ للهِ أهلَ الحمد ، والملكُ للهِ أهلَ المُلْكِ . ولو ابتدأته فرفعته كان حسنا ، كما قال الاخطل :

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا أبدى النواجِذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَرُ

الخائضُ الغَمَرَ والميمونُ طائرُهُ خليفةُ اللهِ يُستسقى به المطَرُ (١)

وأما الصفة فإنّ كثيراً من العرب يجعلونه صفة ، فيتبعونه الأول فيقولون : أهلِ الحمدِ والحميدِ هو ، وكذلك الحمدُ للهِ أهلِهِ : إن شئت جررت ، وإن شئت نصبت . وإن شئت ابتدأت كما قال مُهَلْهِلٌ :

ولقد خَبَطْنَ بيوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً أخوالُنا وهم بنو الأعمام (٢)

وسمعنا بعض العرب يقول : " الحمدُ لله ربُّ العالمين " فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية .

ومثل ذلك قول الله عز وجل : " **لكن الراسخون في العلم المؤمنون يؤمنون بما أُنْزِلَ اليك وما أُنْزِلَ من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة** " . فلو كان كلُّهُ رفعاً كان جيداً . فأما المؤتون فمحمول على الابتداء .

وقال جل ثناؤه : " **ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر ، .... والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس** " . ولو رفع (الصابرين) على أول الكلام كان جيداً ، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيداً كما ابتدأت في قوله : " والمؤتون الزكاة ...." (٣)

وتجويز سيبويه الرفع والنصب في " الصابرين " و " المقيمين " جاء من واقع اللغة وإن

---

(١) انظر " شعر الأخطل " ، صيغة الشكري ، ت : فخر الدين قباوة ١٩٧/١ ، ١٩٩ ، والبيتان غير متواليين من قصيدته التي مطلعها :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهُمْ نُوى في صرفها غِيَرُ

(٢) الشاهد للمهلهل بن ربيعة . انظر : معجم حداد رقم الشاهد (٢٦٦٣) .

(٣) الكتاب ٦٢/٢ - ٦٤ . وانظر : المعلى ص ٢٤، ٢٥

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كانت القراءة بنصبهما كما نسب إلى عبد الله شاذة ، إلا أن في تجويز سيبويه هذا التفاتاً إلى الأصل التوليدي للجملة وهو الرفع عطفاً على ما قبلها ، إلا أن المتكلم لما أراد معنىً أعمق من مجرد العطف بالصفة على صفة قبلها ، بل تخصيص تلك الصفة بشيء من التعظيم والاهتمام لتمتاز عن الصفات قبلها او بعدها ولفتاً لنظر السامع ،وانتباهه ليوليها عناية خاصة فكأنما هي أم تلك الصفات وتاجها ، فحركة النصب حولت المعنى من مجرد الإخبار المحايد يجهله السامع إلى معنى أعمق .

يقول سيبويه : " زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه ، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمت ، فجعله ثناء وتعظيماً ونصبه على الفعل ، كأنه قال : اذكر أهل ذاك ، واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمَلُ إظهارُه .

وهذا شبيه بقوله : إنا (بني فلان) نفعل كذا ، لأنه لا يريد أن يخبر من لا يدري أنه من بني فلان ، ولكنه ذكر ذلك افتخاراً وابتهاءً "(١)

وعلى الرغم من التفات الخليل إلى أن المعنى بالنصب أعمق من مجرد الإخبار المحايد وأن هذا التغيير في الحركة لغرض بلاغي ، إلا أنه يعود فيقدّر فعلاً هو نفسه يقرر أنه لا يجوز إظهاره ، فهو يدرك أن ظهوره يفسد المعنى الذي أُنشئت له الجملة ، ولو أراد المتكلم الفعل لذكره ، لكن بغيته الدلالية لا تتم بوجود فعل .

وعليه فإنه لا داعي أصلاً لتقدير الفعل ، ذلك إذا كان هدفه من تقديره إبراز المعنى لدارس النحو ، فإن المعنى واضح ، بدليل أنه فهم منه المدح والتعظيم دون ذكر فعل على ذلك . والقرينة في ذلك الحركة الإعرابية في ذاتها ، ومن ثم لا داعي لتقدير ما يستغني عنه المبنى والمعنى معاً ، والمتكلم والسامع .

وقد أنكر الفراء على الخليل تقدير فعل على معنى أُعني في المدح والذم " لوجهين (الأول)

---

(١) الكتاب ٢/ ٦٥، ٦٦

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أنّ أعني إنما يقع تفسيراً للاسم المجهول والمدح يأتي بعد المعروف (الثاني) أنّه لو صحّ ما قاله " الخليل لصحّ أن يقول : قام زيدٌ أخاك ، على معنى : أعني أخاك ، وهذا مما لم تقله العـــرب أصلاً " (١) .

وقالَ أبو علي الفارسي : وإذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح أو الذم فالأحسن أن تخالف بإعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها ، لأنّ هذا الموضع من مواضع الإطناب في الوصف والإبلاغ في القول ، فإذا خولف بإعراب الأوصاف كان المقصود أكمل ، لأن الكلام عند اختلاف الإعراب يصير كأنه أنواع من الكلام وضروب البيان ، وعند الاتحاد في الإعراب يكون وجهاً واحداً وجملة واحدة (٢) .

ولا يخفى ما في رأيه من تبيانٌ للأثر البلاغي الذي يحمله النصب بما لا يتأتى بالرفع . وكذا يشير أبو حيان إلى الأهمية الدلالية في أن يكون " الصابرين " معطوفاً بالنصب على " الموفون " فيما ينقله عن الراغب يقول : " قال الراغب : وإنما لم يُقَلْ و وفىّ كما قال وأقام لأمرين أحدهما اللفظ وهو أن الصلة متى طالت كان الأحسن أن يعطف على الموصول دون الصلة لئلا يطول ويقبح . والثاني : أنه ذكر في الأول ما هو داخل في حيز الشريعة وغير مستفاد إلا منها والحكمة العقلية تقتضى به العقود المجردة صار عطفه على الأول أحسن ولما كان الصبر من وجه مبدأ الفضائل ومن وجه جامعا للفضائل إذ لا فضيلة إلا وللصبر فيها أثر بليغ غير إعرابه تنبيهاً على هذا المقصد " (٣)

فتحليل الجملة كما يلي :

---

(١) التفسير الكبير ٥/٤٤، ٤٥

(٢) السابق ، الموضع نفسه . و البحر المحيط ٢/٧، ٨

(٣) البحر المحيط ٥/٨ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

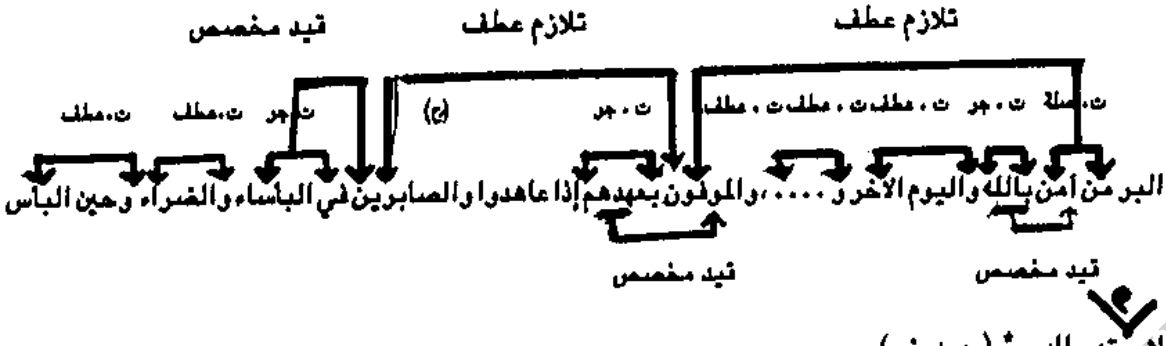

و للاستدراك * (م + خـ)

فالجملة اسمية تحويلية محوّلة بزيادة عنصر توكيد واستدراك ، بالإضافة إلى دخول عنصر تحويل آخر وهو المغايرة في الحركة الاعرابية لغرض دلالي .

وفي ضوء هذا يمكن تحليل قوله تعالى : " **ولقد آتينا داوود منا فضلاً يا جبالُ أوّبي معهُ والطيرَ وألَنّا له الحديد** " (سبأ : ١٠)

---

*يقول السيوطي : " ولكن للاستدراك . قيل والتوكيد " الهمع ١٤٨/٢ ، رقم ص ١٩٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نصب النعت خلافاً لحركة المنعوت

"وامرأتُهُ حمّالةَ الحطب في جيدها حبل من مسد " (اللهب : ٤) .

الفراء : " ترفع حمالة وتنصب . فمن رفعها فعلى جهتين : يقول سيصلى نار جهنم هو وامرأته حمالة الحطب تجعلها من نعتها ، والرفع الآخر وامرأته حمالة الحطب ، تريد : وامرأته حمالة الحطب في النار ، فيكون في جيدها هو الرافع ، وإن شئت رفعتها بالحمالة ، كأنك قلت: ما أغنى عنه ماله وامرأته هكذا .

وأما النصب فعلى جهتين :

إحداها أن تجعل الحمالة قطعاً ، كأنها نكرة ، ألا ترى أنك تقول : وامرأته الحمالةَ الحطب ، فاذا ألفيت الألف واللام كانت نكرة ، ولم تستقم أن تنعت معرفة بنكرة .

والوجه الآخر : أن تشتمها بحملها الحطب ، فيكون نصبها على الذم ، كما قال – صلى الله عليه وسلم – سيدَ المرسلين سمعها الكسائي من العرب .... وفي قراءة عبد الله : "وامرأته حمالةَ للحطب " نكرة منصوبة وكانت تنم بين الناس ، فذلك حملها الحطب يقول : تحرش بين الناس ، وتوقد بينهم العداوة " (١)

يقول القرطبي : « وقراءة العامة " حمالةُ " بالرفع ، على أن تكون خبراً ، وامرأته مبتدأ.ويكون في جيدها حبل من مسد " جملة في موضع الحال من المضمر في " حمالة " ، أو خبرا ثانيا ، أو يكون " حمالة الحطب " نعتاً لامرأته ، والخبر في جيدها حبل من مسد " فيوقف على هذا على " ذات لهب " ويوقف على "امرأته "وتكون " حمالة الحطب "خبر ابتداء محذوف. وقرأ عاصم " حمالة الحطب " بالنصب على الذم ، كأنها اشتهرت بذلك ، فجاءت الصفة للذم لا

---

(١) معاني القراء ٢٩٨/٣ ، ٢٩٩ ، وانظر معاني الاخفش ٥٤٨/٢ ، ومعاني الزجاج ٢٧٥/٥ ، والبيان ٥٤٤/٢ ، والتبيان ١٢٠٨/٢ ، والبحر المحيط ٥٢٦/٨ ، وإعراب النحاس ٧٨٥/٢ ، ٧٨٦ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

للتخصيص ، كقوله تعالى : " ملعونين أينما ثقفوا " (١) ، (٢) .

فحمالة بالنصب صفة للذم كما كانت صفة في حال الرفع .

والذي نراه أن نصب " حمالة " على الشتم لكن دون تقدير فعل بمعنى أذم أو أعني كما قال النحاة لأن معنى الذم تأتى من حركة النصب ، وما كان تقدير النحاة الفعل بأذم إلا لأنهم أدركو المعنى من القرينة الإعرابية والسياق معا ، وعليه فإنه ليس من داع لتقدير فعل نصب "حمالة " إذ لا دليل على أن الجملة فعلية إلاحمل النحاة كل منصوب على أم باب المنصوبات المفعولية ، في حين تبقى الجملة عندهم اسمية في حال رفع حمالة ، ذلك أن قاعدتهم تقول بوجوب المطابقة في النعت والمنعوت بالحركة دون خلاف بينهم على الرغم من إدراكهم أن حمالة بالرفع والنصب من حيث المعنى تبقى دالة على الصفة .

وحيث أن القراءة تعاضد القراءة من حيث المعنى وترتبط معها بسبب يرجح أن " حمالة" نعت " لامرأته " .

ذلك أن هذه الآية جاءت استئنافاً بعد ايات جاءت مبيّنة ذامّة أبا لهب ، متوعدة إياه بالانقطاع والهلكة والخلود في نار جهنم جزاء عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم كان مما يتسق مع السياق أن يكون ما بعدها من أيات مقرراً ومبيناً الجزاء المستحق لامرأته التي تشاركه العداوة والبغضاء لمحمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا كان من باب أولى ان يكون " في جيدها حبل من مسد " هو محط الفائدة ، لا حمالة الحطب " إذ إن الفائدة في " حمالة الحطب " تحصيل حاصل لارتباطها مع المبتدأ بعلاقة تلازم بين النعت والمنعوت ، وهو نعت لذمها مقابل ذم زوجها ابي لهب ، ومـــــن قرأ بنصب " حمالة " أراد العناية أكثر بالنعت الدال في ذاته على الذم ولفت نظر السامع إلى قصد الذم

---

(١) الاحزاب: ٦١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٤٠

© Arabic Digital Library Yarmouk University

والشتم فحول حركة النعت من الرفع إلى النصب .

يقول صاحب الكشف : " قرأه عاصم بالنصب على الذم لها ، لأنها كانت اشتهرت بالنميمة فجرت صفتها على الذم لها ، لا للتخصيص ، وفي الرفع أيضاً ذم ، لكن هو في النصب أبين ، لانك اذا نصبت لم تقصد إلا أن تزيدها تعريفاً وتبييناً ، إذ لم تُجْرِ الإعراب على مثل إعرابها انما قصدت الى ذمها ، لا لتخصيصها من غيره بهذه الصفة التي اختصصتها بها ، وعلى هذا المعنى يقع النصب في غير هذا على المدح ، .... "(١)

فمعنى الذم حاصل في حال الرفع والنصب إلا أنه في النصب آكد خاصةً وأن النصب على الذم أو المدح غالباً ما يكون في المغايرة بين حركة النعت والمنعوت ، يقول أبو حيان : " .... إن النصب على الذم انما يكون حيث يذكر الاسم السابق فتعدل عن المطابقة في الإعراب الى القطع ، ...."(٢) ، بنقل حركة المنعوت مما عليه المنعوت من رفع أو جر إلى النصب خاصة . تأمل ذلك في قول سيبويه وشواهده :

" وسألت الخليل عن قوله ، وهو لرجل من بني أسد :

إنّ بها أكتلَ أو رِزاما خُوَيْرِبَيْنِ يَنْتَفِانِ الهاما

فزعم ان خُوَيْرِبَيْنِ انتصبا عن الشتم ، ولو كان على إن لقال خويربا ، ولكنه انتصب على الشتم ، كما انتصب " حمّالةَ الحطب " ، و " النازلين بكل معترك "(٣) على المدح والتعظيم.

وقال :

أمِنْ عملِ الجرّافِ أمسِ وظُلْمِ وعُدوانِه اعتبتمونا براسِم

أميريّ عَداءٍ إنْ حَبَسْتُما عليهما بهائمِ مالٍ اوْدَيا بالبهائمِ(٤)

---

(١) الكشف ٢/٣١٠

(٢) البحر المحيط ١/٨٢ .

(٣) سبقت الاشارة اليه ص ١٨٥

(٤) البيتان لعبد الرحمن بن جهيم الأسدي . انظر : معجم حداد رقم الشاهد (٢٧١٩)

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نصبهما على الشتم : لأنك ان حملتَ الأميرين على الإعتاب كان محالاً ، وذلك لأنه لا تحملُ صفةُ الاثنين على الواحد ولا تحملُ الذي جرّ الاعتاب على الذي جرّ الظلم ، فلما اختلف الجرّانِ واختلطت الصفتانِ صار بمنزلة قولك : منها رجلٌ وقد أتاني آخَرُ كريمَيْنِ ، ولو ابتدأ فرفع كان جيداً ، ومما ينتصب على المدح والتعظيم قول الفرزدق (١)

ولكنني استبقيتُ أعراضَ مازنٍ وأيامَها من مستنيرٍ ومُظْلِم

أناساً بثغرٍ لا تزالُ رماحُهم شوارِعَ من غيرِ العشيرةِ في الدَّمِ

ومما ينتصب على أنه عظّم الأمر قول عمرو بن شأس الأسدي : (٢)

ولم أرَ ليلى بعد يومٍ تعرّضَتْ لنا بين اثوابِ الطِّرافِ من الأدَمْ

كلابيةً وبرّيةً حبتريةً نأتْكَ وخانت بالمواعيدِ والذِّمَمْ

أناسا عِدىً عُلّقتُ فيهم وليتني طلبتَ الهوى في رأسِ ذي زَلَقٍ أشَمّ

وقال الآخر :

ضننتَ بنفسي حِقبة ثم أصبحتْ لبنتِ عطاءٍ بينُها وجميعُها

ضِبابيّةً مُرّيةً حابسيّةً منيفاً بنَعْفِ الصَّيْدَلَيْنِ وضيعُها

فكل هذا سمعناه ممن يرويه من العرب نصباً .

ومما يدلك على أن هذا ينتصب على التعظيم والمدح ، أنك لو حملت الكلامَ على أن تجعله حالا لما بَيّنَه على الاسم الاول كان ضعيفاً . وليس هنا تعريفٌ ولا تنبيهٌ ولا أراد أن يوقع شيئاً في حالٍ ، لقبحه ولضعف المعنى .

---

(١) هما للفرزدق في ديوانه ٢/٢٧ ، انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٧٩٢)

(٢) وقيل لمضرس بن ربعي ، انظر : معجم حداد ، رقم الشاهد (٢٨٣٠)

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وزعم يونس (١) أنه سمع رؤبة يقول (٢) :

أنا ابن سعد أكْرَمُ السعدينا

نصبه على الفخر " .

ويذكر ابن قتيبة ما يشير الى أن حمالة الحطب ليس بموطن الفائدة نافياً ما قاله بعض المفسرين والنحاة حملاً على المعنى السطحي القريب من تعيير أم جميل بأنها تحتطب ، خاصة وأن العمل شيءٌ مقدسٌ في الإسلام ما دام شريفاً ، مرجحاً أنه على الذم ، وذلك من خلال شواهدَ من شعر العرب وكلامهم تدل على أن التعبير بالاحتطاب تستخدمه العربُ استخداماً مجازيًا . كناية عن النميمة والمشي بالشر والفتنة .

" قال ابن عباس : في رواية ابي صالح عنه : الحطب : النميمة وكانت تنم وتؤرِّشُ بين الناس .

ومن هذا ما قيل فلان يحطُب عَلَيَّ " اذا أغرى به ، شبهوا النميمة بالحطب ، والعداوة والشحناء بالنار ، لأنهما يقعان بالنميمة ، كما تلتهب النار بالحطب . ويقال : نار الحقد لا تخبو . فاستعاروا الحطب في موضع النميمة .

وقال الشاعر (٣) وذكر امرأة :

من البِيضِ ولم تصطَدْ على حبلِ سَوْأَةٍ ولم تمشِ بين الحَيِّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

---

(١) " يونس بن حبيب الضبي ، مولاهم .... يكنى ابا عبد الرحمن . اخذ عن ابي عمرو بن العلاء ، وحماد بن سلمة . كان إماما في النحو واللغة . له فيها قياس ومذاهب ، سمع من العرب ، اخذ عنه الكسائي والفراء . وروى عنه سيبويه فاكثر .... عاش ثمانيا وثمانين سنة ، توفي سنة ١٨٢ هـ " ،إشارة التعيين ص٣٩٦ ، ٣٩٧ . وانظر : الإنباه ٤/٦٨ - ٧٢ .

(٢) " الشاهد لرؤبة في ملحق ديوانه ص ١٩١ " . معجم حداد ، رقم الشاهد (٣٦٦٦) .

(٣) البيت غير منسوب كذلك في " مقاييس اللغة " ، ابو حسين احمد بن فارس . ت . عبد السلام هارون ٢/٧٩ ، والبحر المحيط ٨/٥٢٦ ، وأساس البلاغة ، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ١/١٨٢ ، وفي اللسان ٤/٢٠٢ الحظر وروايته في مقاييس اللغة :

من البيض لم تصطد على جدل لأمة ولم تمش بين الناس بالحطب الرطب .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أي لم توجد على أمر قبيح ، ولم تمش بالنمائم والكذب .

والحطر : الشجر ذو الشوك يُحْظَرُ به .

وقال آخر (١) :

فلسنا كمن تُزْجى المقالةَ شَطْرَهُ بقرفِ العِضاةِ الرَّطْبِ والعَبَلِ اليَبْسِ

وقال بعض المتقدمين : كانت تعيِّرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالفقر كثيراً ، وهي تحتطب على ظهرها بحبل من ليف في عنقها .

ولست ادري كيف هذا ! لأن الله عز وجل وصفه بالمال والولد ، فقال : (ما أُغنى عنه ماله وما كسب " (المسد : ٢)(٢)

وعليه فإن " حمالة الحطب " ليس بخبر ، ولا يحمل على الحقيقة فلا شك أنها لم تكن بحاجة إلى أن تحتطب ، بالإضافة - إلى ما ذكرنا سابقاً - من أن الأسلام يَعدّ العمل جزءاً من الايمان مهما كان وضيعاً ما دام شريفاً . والأرجح أنه تعبير مجازي استخدمه العرب لما للنميمة من أثر في المجتمع أشبه ما يكون بعمل النار التي تأكل الحطب وموريها لا يكسب إلا الشر والرائحة الكريهة ، كمثل " حامل " الكير في الحديث الشريف .

ولعل الله سبحانه - وهو اعلم -أراد أن يحول هذه الصورة المجازية إلى عقاب حقيقي واقع في الآخرة ليكون من جنس عملها في الدنيا ، فجعل في جيدها حبلاً من مسد تحتطب به في جهنم ناراً تكون هي حصادها .

وعليه يكون أصل الجملة التوليدي :

---

(١) لم نعثر على قائله .

(٢) تاويل مشكل القرآن ص ١٥٩ - ١٦١ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

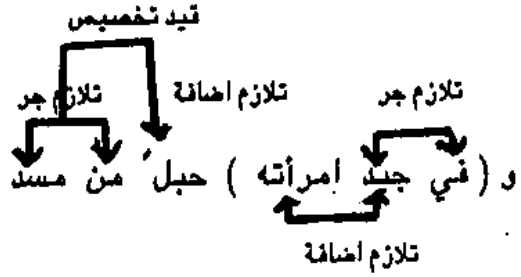

استئناف : خـ(شبه جملة) + م (نكرة)

ولما أراد أن يذمها ويذم زوجها أيضا نعتها بوصف مناسب

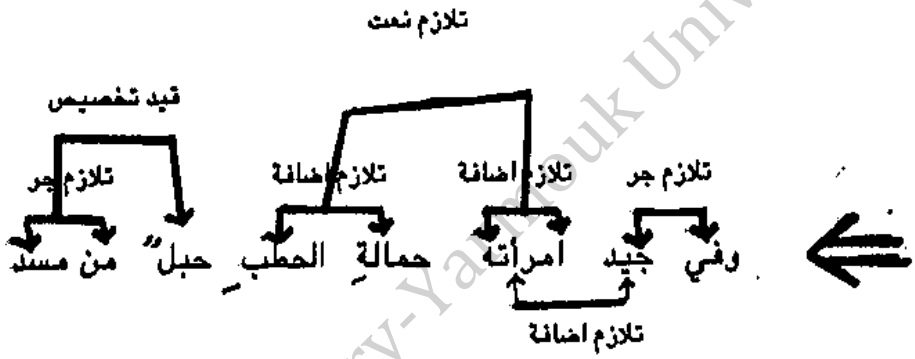

استئناف : خـ(شبه جملة) + م (نكرة)

ولما أراد أن يكون المذموم وموضع التعبير أوقع على نفس أبي لهب وإمرأته التي نسبت اليه بالإضافة من خلال وعود الضمير " الهاء " عليه ، قدم موضع اهتمامه وهو بعض الخبر للعناية والتوكيد ، وأعطي حركة الرفع ، ومن ثم الحق به نعته ، على عادة العرب في كلامهم حين يقدمون موضع الاهتمام

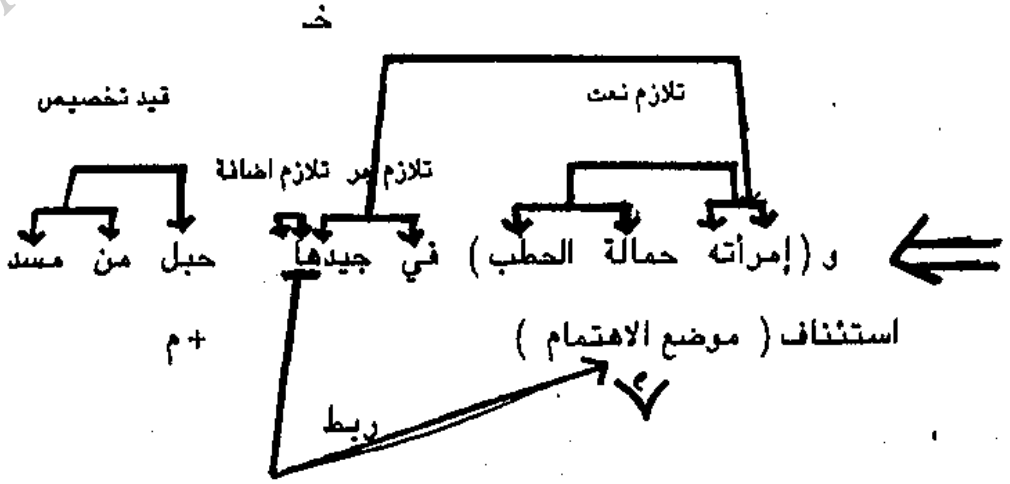

هذا على قراءة الرفع ، أما من قرأ بالنصب ، فإن الجملة التحويلية عندها يدخلها عنصر جديد أخر غير الترتيب . ، وهو التحويل بالحركة الإعرابية لإفادة الذم .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

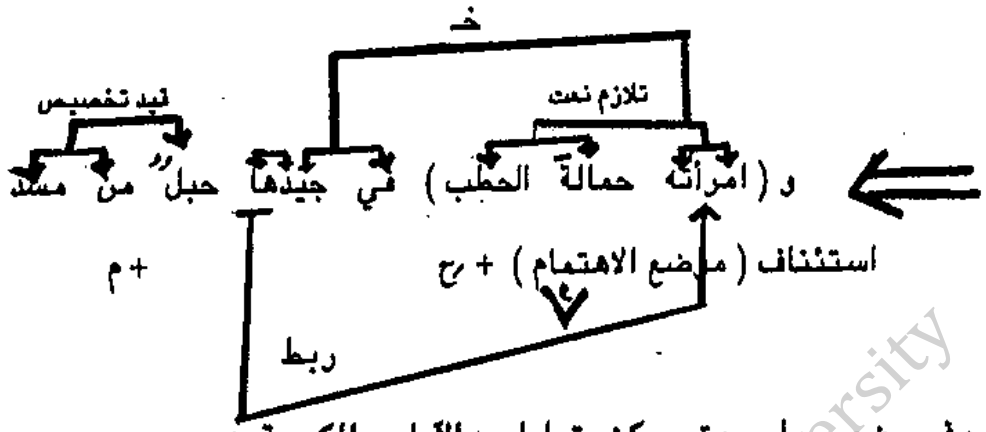

وفي ضوء ما سبق يمكن تحليل الآيات الكريمة :

١ - « مالِكِ يومِ الدين » (الفاتحة : ٣) .

٢ - « قد يعلمُ اللهُ المعوِّقين منكم لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحةً عليكم فإذا جاء الخوف رأيتَهم ينظرون إليك تدورُ أعيُنهم كالذي يُغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوفُ سَلقُوكُم بألسنةٍ حدادٍ أشحةً على الخير أولئك لم يُؤمنوا فأحْبَطَ الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا » (الأحزاب : ١٨ ، ١٩) .

٣ - « كتابٌ فُصِّلت آياتُه قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون » (فصلت : ٣) .

٤ - « وهـذا كتـابٌ مصـدِّقٌ لساناً عربياً لينذرَ الذينَ ظلموا وبشرى للمحسنين » (الأحقاف : ١٢) .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

التوكيد بضمير الفصل

« وجاءَهُ قومُهُ يُهْرَعونَ إليهِ ومِنْ قبلُ كانوا يعملونَ السيئاتِ قال : يا قوم هؤلاء بناتي هنَّ أطهرُ لكم فاتقوا الله ولا تخزونِ في ضيفي ، أليس منكم رجلٌ رشيد » (هود : ٧٨)

يقول العكبري " هؤلاء في موضع رفع لأنه مبتدأ ، وبناتي عطف بيان ، وهن فصل ، وأطهر مرفوع لأنه خبر المبتدأ .

وقرأ عيسى بن عمر ومحمد بن مروان (أطهرَ) بالنصب ، وأنكره أبو عمرو ، وقال الأصمعي قلت لأبي عمرو : إن ابن مروان قرأ (أطهرَ لكم) بالنصب ، فقال أبو عمرو : لقد (اجتنى ابن مروان في الجنة)(١) ، قال ابن جني : وللنصب وجه : وهو أن يكون هؤلاء مبتدأ ، وبناتي ابتداءٌ ثانياً ، وهن خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر المبتدأ الاول ، وأطهر منصوب على الحال ، والعامل فيها معنى الاشارة كقولك : هذا زيدٌ هو ذاهباً " (٢) .

وأضاف صاحب التبيان وجهين آخرين في الرفع هما : " أن يكون " هن " مبتدأ ثانيا ، وأطهر خبره ، ويجوز أن يكون بناتي خبراً ، وهن أطهر مبتدأ وخبر "(٣) .

وأضاف وجهاً آخر في النصب يقول : " وقريء في الشاذ أطهرَ " بالنصب وفيه وجهان : .... ، والثاني أن يكون " هنَّ " مبتدأ ، ولكم خبر ، وأطهر حال ، والعامل فيه ما في " هن " من معنى التوكيد بتكرير المعنى .

---

(١) في ما بين المربعين تصحيف فهو يتناقض مع ما سبقه "وأنكره أبو عمرو " والجملة صحيحة : احتبى فيه ابن مروان في لحنه " اي تربع ، انظر البحر المحيط ٢٤٦/٥ ، ٢٤٧ ، والكتاب ٢٩٦/٢ ، ٢٩٧ .

(٢) البيان ٢٤/٢ ، ٢٥

(٣) التبيان ٧٠٩/٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقيل العامل " لكم " لما فيه من معنى الاستقرار "(١) .

وهو يشير الى شذوذ قراءة النصب ، كما يلتفت إلى المعنى الذي يؤديه الضمير " هنّ " في الجملة وهو " التوكيد بتكرير المعنى " لأن " هنّ " في حقيقته " بناتي " غير أن هذا أدعى إلى ألاّ يكون مبتدأ ذو غرض تركيبي ، لأن الجملة في صورة من صورها تستغني عنه إلا أنه جاء ضميرا عائداً على سابق ليؤكده ، فإعرابه على أنه ضمير فصل أقرب إلى وظيفته التي يؤديها تركيبياً ودلالياً . ذاك أن القراءة بالنصب تلغي دور " هنّ " الدلالي وتجعلها مجرد رابط يؤدي دوراً تركيبياً فحسب (٢) .

يقول الزجاج مشيراً إلى أن قراءة الرفع هي قراءة الجمهور : " والقراءة بالرفع (٣) في " أطهر " ، وقد رويت عن الحسن هن أطهر لكم ، وعن عيسى بن عمر . وذكر سيبويه أن ابن مروانَ لحن في هذه في نصبها (٤) وليس يجيز أحد من البصريين وأصحابهم نصب " أطهر " ، ويجيزها غيرهم ، والذين يجيزونها يجعلون " هنّ " في هذا بمنزلتها في " كان " فإذا قالوا : هؤلاء بناتي أطهر لكم ، أجازوا هن اطهر لكم ، كما يجيزون كان زيد هو أطهر من عمرو .

وهذا ليس بمنزلة كان . إنما يجوز أن تقع " هو " وتثنيتها وجمعها " عماداً " فيما لا يتم الكلام إلاّ به ، نحو كان زيدٌ اخاك . لأنهم إنما أدخلوا " هم " ليعلموا أن الخبر لا بد منه ، وأنه ليس بصفة الأول . وباب " هذا " يتم الكلام بخبره ، إذا قلت : هذا زيد . فهو كلام تام . ولو جاز هذا لجاز : جاء زيدٌ وهو أنبل من عمر .

وإجماع النحويين والكوفيين والبصريين أنه لا يجوز : قدم زيدٌ وهو أنبلٌ منك حتى

---

(١) السابق ، الموضع نفسه . وانظر هذا الوجه من الاعراب في الكشاف ٢/٢٨٣ .

(٢) انظر : آراء في الضمير العائد ولغة - أكلوني البراغيث - . ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) لم يرد في " الكشف " والنشر خلاف القراءة بالرفع . وقد وردت القراءة بالنصب في المعتسب وهي قراءة سعيد بن جبير والحسن ومحمد بن مروان وعيسى الثقفي وابن أبي إسحاق . ١/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٤) أنظر الكتاب ٢/٣٩٦ ، ٣٩٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرفعوا فيقولوا هو انبلٌ منك . وبعد فإن الذين قرأوا بالرفع هم قراء الأمصار ، وهم الأكثر(١).

وإنا وإن كنا نتفق مع النحاة في ضعف القراءة بالنصب ورفضها لشذوذها إلا أننا لا نحتج بحجتهم الفلسفية من أن " هنّ " ليس بضمير فصل ولا يصلح لأن يكون كذلك قياساً على الجملة الفعلية ، لما في قياسهم هذا من بعد في التعليل .

والمعنى كما هو واضح أنه للتوكيد ، إلا أننا نوافقهم الرأي في أن هذا الضمير المؤكد يأتي فاصلاً بين مبتدأ وخبره ، بمعنى أنه يؤكد المبتدأ ، ولا نتفق معهم في أنه لمجرد الفصل فهو لغو(٢) لا محل له من الاعراب فهو ذو وظيفة تركيبية فحسب ، بل يؤدي دوراً دلالياً أيضاً.

وقد فُصِّل القول في هذا الضمير ، وبيّنافيه رأينا بعد عرض آراء النحاة في مكان سابق من هذا البحث بما يغني عن تكراره وإعادته .(٣)

وعليه فإن قراءة الرفع هي المعتمدة وهي موضع التحليل ، وبالعود إلى أصل الجملة التوليدي ثم النظر في ما طرأ عليه من تحويل في ضوء سياق الآية ومناسبتها .

يمكن التوصل الى اعرابها .

فالأصل التوليدي :

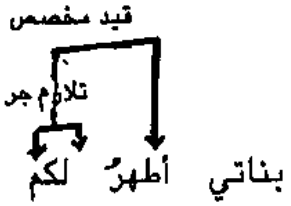

م + خ

---

(١) معاني الزجاج ٢/٦٧، ٦٨، وانظر إعراب النحاس ٢/ ١٠٤، معاني الاخفش ٢/٣٥٦، ٣٥٧.

(٢) انظر : الكتاب ٢/ ٣٩٧.

(٣) انظر : ص ٤٤-٥٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هذه الفكرة الأم التي لمعت في ذهن لوط-عليه السلام - والتي ينطلق منها في محاولة للبحث عن حل مناسب لعله يرضيهم ويخرجه مما هو فيه من مأزق ، وهو الاعتداء على ضيفه بعمل الفاحشة فيهم مما يوقعه في الخزي والعار ، فهي الفكرة التي تحمل البديل الأطهر والأسلم والتي تضمن إخراجه من الورطة .

ولذا فإن " هؤلاء " لا تسد مسد " بناتي " لأن الأصل المفترض أن الاسم المبين للجنس "بناتي " هو الأوضح والأصلح لان يكون أساساً في الفكرة الأم ، خاصة وأن للجنس دوره المهم في القضية ، ثم تأتي الإشارة اليهن في مرحلة لاحقة للتنبيه .

ولما أراد لوط عليه السلام - لفت انظار قومه ذوي النفوس الشاذة إلى بناته وهذا يتناسب والفطرة السوية فمال إلى ترغيبهم بهن فرصد كل أدوات التوكيد الممكنة السابقة واللاحقة لترغيبهم في الحلال عن الحرام لعلها تقف في وجه جموحهم ورغباتهم التي تتجه إلى الذكور دون النساء .

هؤلاء بناتي أطهر لكم

ف (م + خـ)

ثم أراد زيادة توكيد جنسهن فأتبع المبتدأ ضميراً يعود عليه

⇐ ف (م + ض + خـ)

فالجملة إسمية تحويلية مؤكدة بعنصر توكيد واشارة ، والمبتدأ فيها مؤكد بمؤكدين .

وعليه فإن قياس من قرأ بالنصب على " هذا بعلي شيخاً " (١) قياس خاطيء لأن سياق هذه الآية لا يقبل معنى الحالية كما لا تقبله القراءة المتواترة ، ويحول التوكيد بضمير الفصل دون ذلك تركيبياً ودلالياً .

يقول الفخر الرازي : " روي عن عبد الملك بن مروان والحسن وعيسى بن عمر أنهـــــم

---

(١) انظر تحليل هذه الآية رفعا ونصبا من ص ١٥٦ - ١٥٩ في هذا البحث .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قرأوا (هنّ أطهرَ لكم) بالنصب على الحال كما ذكرنا في قوله تعالى (وهذا بعلي شيخاً) إلا أن أكثر النحويين اتفقوا على أنه خطأ قالوا : لو قرىء (هؤلاء بناتيَّ هنّ أطهرَ لكم) كان هذا نظير قوله (وهذا بعلي شيخاً) إلا أن كلمة " هنّ " قد وقعت في البين وذلك يمنع من جعل أطهر حالاً وطوّلوا فيه " (١) .

فاسم الإشارة " هؤلاء " في هذا السياق جاء مؤكداً ، لا أساساً يبنى عليه فهو ليس بذي وظيفة تركيبية لا تستغني عنه الجملة الأم ، كما توهم النحاة فقالوا بأنه مبتدأ ، وإنما هو عنصر زيادة دخل الجملة لأداء وظيفةٍ دلاليةٍ وهي التوكيد بالتنبيه والإشارة معاً .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

---

(١) التفسير الكبير ١٨ / ٣٣ .

« واجعل لي وزيراً من أهلي . هارونَ أخي » (طه : ٢٩ ، ٣٠)

« إن شئت أوقعت (اجعل) على (هارون أخي) وجعلت الوزير فعلا له وإن شئت جعلت (هارون أخي) مترجماً عن الوزير ، فيكون نصباً بالتكرير »(١)

يقول الزركشي : " البدلُ والقصدُ فيه الإيضاح بعد الإبهام ، وهو يفيد البيان والتأكيد ، أما البيان فإنك إذا قلت : " رأيت زيداً أخاك " بينت أنك تريد بزيد الأخ لا غير ، وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل ، .... "(٢)

ولا نرى أن البدل يأتي للتوكيد وإنما للتبيين ، ذاك أن الحجة في مجيئه توكيداً تنبع من نظرة فلسفية أساسها الأخذ بنظرية العامل والمعمول به ، ولو شاء المتكلم التوكيد لكرر " اجعل " بلفظه غير أنه لم يرد هذا المعنى وإنما أراد تبيين وتخصيص المفعول به بشخص بعينه في ذهنه فأتبعه في حركة اعرابه ليدل على المعنى المراد .

يقول ابن يعيش مبيناً ما يحدثه تكرار الفعل من لبس : « البدل ثانٍ يقع في موضع الأول نحو قولك مررت بأخيك زيد فزيد ثانٍ من حيث كان تابعاً للأول في إعرابه واعتباره بأن يقدر في موضع الأول حتى كأنك قلت مررت بزيد فيعمل فيه العامل كأنه خال من الأول والغرض من ذلك البيان وذلك بأن يكون للشخص اسمان أو أسماء ويشتهر ببعضها عند قوم وببعضها عند آخرين فإذا ذكر أحد الاسمين خاف ألا يكون ذلك الاسم مشتهرا عند المخاطب ويذكر ذلك الاسم الآخر على سبيل بدل أحدهما من الآخر للبيان وإزالة ذلك التوهم فإذا قلت : مررت بعبد الله زيد فقد يجوز أن يكون المخاطب يعرف عبد الله ولا يعلم أنه زيد وقد يجوز أن يكون عارفاً بزيد ولا يعلم انه عبد الله فتأتي بالاسمين جميعاً لمعرفة المخاطب ، وكان الأصل أن

---

(١) معاني الفراء ٢/١٧٨ وانظر : معاني الزجاج ٣/٢٥٦ ، وإعراب النحاس ٢/٣٣٧ ، والتفسير الكبير ٢٢/٤٩ .

(٢) البرهان ٢/٤٥٣ ، ٤٥٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يكون خبرين أي جملتين مثل : مررت بعبد الله مررت بزيد أو يدخل عليه واو العطف لكنهم لو فعلوا ذلك لالتبس ألا ترى أنك لو قلت : مررت بعبد الله مررت بزيد أو قلت مررت بعبد الله زيد ، ربما توهم المخاطب أن الثاني غير الأول فجاؤوا بالبدل فراراً من اللبس وطلباً للإيجاز »(١)

ولذا فإن تسمية الكوفيين للبدل بالتبيين أقرب إلى وظيفته الدلالية ، وهي تسمية تحرص على المعنى أكثر من مجرد الأثر الإعرابي التركيبي . يقول مهدي المخزومي : " إن تسميته بالترجمة والتبيين أبين للمعنى ، إذ إنّ البدل يعني إبدال كلمة من أخرى في الحكم وهو اعتبار لفظي بحت " (٢).

أما عطف البيان فيعرفه أبو حيان بأنه : " .... تكرار الأول لزيادة بيان ، فكأنك رددته على نفسه ، بخلاف النعت ، والتأكيد ، والبدل "(٣).

وما يُدرى ما الذي يخالف فيه البدل وهو بيان وإيضاح لما قبله مثله ، ويصلح أن يحلّ محل متبوعه .

يقول الزركشي : " وهو كالنعت في الايضاح وإزالة الاشتراك الكائن فيه . وشرط صاحب الكشاف فيه أن يكون وضوحه زائداً على وضوح متبوعه .(٤) ورد ما قاله بأن الشرط حصول زيادة الوضوح بسبب انضمام عطف البيان مع متبوعه ؛ لأن الشرط كونه أوضح وأشهر من الأول ؛ لأن من الجائز يحصل باجتماع الثاني مع الأول زيادة وضوح لا تحصل حال انفراد كل واحد منهما ، كما في : " خالي أبو عبد الله زيد " مع أن اللقب أشهر ؛ فيكون في

---

(١) شرح المفصل ٣/٦٣، ٦٤

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ، د . مهدي المخزومي ، ص ٢١٠ .

(٣) الهمع ٥ / ١٩١ .

(٤) وهو رأي ابن مالك انظر : الهمع ٥ / ١٩٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

كل واحدٍ منهما خفاء بانفراده ويرفع بالانضمام " (١) .

ويعود الزمخشري نفسه لينقض هذا الشرط حين يعرب هذه الآية يقول : " .... و (هارون) عطف بيان للوزير ، و (أخي) .... بدل من هارون وإن جُعِلَ عطف بيان آخر جاز وحسن " (٢).

في حين يتمسك أبو حيان بشرط ابن عصفور وهو " أن يكون عطف البيان أعرف من متبوعه " (٣) ويقول رداً على الزمخشري : " ويبعد فيه عطف البيان لأن الأكثر في عطف البيان ان يكون الاول دونه في الشهرة والامر هنا العكس " (٤) وعلى اي حال فإن الكثرة لا تنفي ما جاء مخالفا لها من القلة .

والرأي ما قاله ابن يعيش في البدل وأشار إليه من أن العبرة في شهرة أحد الاسمين دون الثاني عند السامع و لا بدرجة التعريف نظرا الى البنية الصرفية ، فقد يكون اللقب أشهر عنده من الاسم العلم ، فيأتي بعد العلم ليبينه له ، وقد يكون العكس ، بأن يكون اسم الشخص العلم اوضح له من اللقب ، فبعد ان يذكر المتكلم اللقب يلحظ في وجه السامع أو كلامه ما يجعله يظن بأنه لما يعرف من يقصد فيأتي باسمه العلم لعله يكون لديه اشهر فيعرفه . فالاشهر هو الاكثر التصاقا بشخص المتحدث عنه في ذهن السامع ، لا في ا لمنطق النحوي المجرد ، وليس في البنية الصرفية .

إن تفريق النحاة بين البدل وعطف البيان انما جاء على أساس شكلي فلسفي لا على أساس المعنى وقد بينا هذا في ضوء رأي ابن يعيش . يقول الزركشي : " .... إن العامل إنما يعاد في البدل لا في عطف البيان فإن قلت : ما الفرق بينه وبين البدل ؟

---

(١) البرهان ٢/٤٦٢ ، ٤٦٣ .

(٢) الكشاف ٢/٥٣٥ .

(٣) الهمع ٥/١٠٩١

(٤) البحر المحيط ٦/٢٤٠ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

قلت : قال أبو جعفر النحاس : ما علمتُ أحداً فرّق بينهما إلا ابن كيسان (١)؛ فإن الفرق بينهما أن البدل يقرر الثاني في موضع الأوّل ، و:أنك لم تذكر الأوّل ، وعطف البيان أن تقدر انك إن ذكرت الاسم الأول لم يعرف إلا بالثاني ، وإن ذكرت الثاني لم يعرف إلا بالأول ، فجئت بالثاني مبيناً للأول ، قائماً له مقام النعت والتوكيد .

قال : وتظهر فائدة هذا في النداء ، تقول : " يا أخانا زيدُ أقبِلْ " على البدل كأنك رفعت الأول وقلت: " يا زيدُ أقْبِلْ "، فإن أردت عطف البيان قلت : " يا أخانا زيداً أقْبِلْ " (٢).

والذي جعل ابن كيسان ومن تبعه يقولون بتكرار العامل في البدل بحثهم عن مبرر للحركة الإعرابية في بعض المواطن ، فهم بحاجة الى تكرار العامل تارة ، وإلى إهماله في أخرى ، حين تقتضي الحركة ذلك كما في النداء حين يرفع " زيد " وحين " ينصب " في " يا أخانا زيداً أقبل .

فهذا ما حدا بهم إلى المباينة بين البدل وعطف البيان وشقهما عن بعضهما على الرغم من أنهما باب واحد يؤدي وظيفته الدلالية نفسها ، بالإضافة إلى ما يحدثه تقدير تكرار العامل من إخراج للتركيب عن وظيفته الدلالية التي أرادها المتكلم .

وعلى الرغم من أن ما شرطه ابن كيسان وغيره من أن من شروط البدل أن يحل محل المبدل منه ، صحيح في كثير من المواطن إلا أنه لا يختلف في هذا عن عطف البيان من جهة ، ولا ينطبق على كل حالات البدل ، فليس دائما يمكن " الاستغناء بالمبدل منه وعـــــدم اختلال

---

(١) محمد بن أحمد بن كيسان ابو الحسن النحوي ، كان يحفظ مذهب البصريين والكوفيين ، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب ، وكان أدنى منهما ، مزج النحويين فأخذ من كل واحد منهما ما غلب على ظنه صحته ، واطرد له قياسه . من أشهر مصنفاته الكثيرة : "الهذب " و " الحقائق " ، و" المختار " و " غريب الحديث " و " المذكر والمؤنث " و " المقصور والممدود " و " نحو اختلاف الكوفيين والبصريين " ، توفي سنة تسع وتسعين ومئتين . انظر : انباه الرواة ٣/٥٧ - ٥٩ ، وإشارة التعيين ص ٢٨٩ .

(٢) البرهان ٢/٤٦٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الكلام لو حذف هذا البدل أو أظهر فيه العامل " (١) .

ويقول السيوطي في هذا الشرط : " ولم يشترط ذلك في بدل الكل ، لأنه نفس المبدل منه في المعنى ، كما أن جملة الخبر التي هي نفس المبتدأ في المعنى لا تحتاج الى ذلك "(٢) .

وفي الآية الكريمة لا يصلح " هارون " لأن يحل محل " وزيراً " ولا أن يكرر عامله عليه : " اجعل هارون اخي " فالجملة تنقلب في دلالتها ، ذلك أن هارون ليس هو الوزير في المعنى ، في حين ينطبق الشرط على " أخي " فهو هارون " في المعنى ويصلح لأن يحل محله . والغرض على الحالين التخصيص .

وحيث إن كلاً من : عطف البيان ، والتبيين دلالتهما واحدة وغرضهما واحد وهو التبيان والإيضاح والتفصيل والتخصيص فهما واحد لا فرق بينهما ، ودليل هذا أنّ كثيراً ما يعرب النحاة والمفسرون الكلمة ذاتها بدلاً وعطف بيان ، كما فعل الزمخشري حين أجاز إعراب " أخي " بدلاً أو عطف بيان على حد سواء ، وكذلك فعل ابن الانباري (٣) .

وفي هذه الآية الكريمة أبدل " هارون " من " وزيراً " للتعين على وجه الخصوص لا للتبيين او الايضاح ، اذ لا يفترض أن المخاطب - جل وعلا سبحانه - يجهل مراد المتكلم ، لكن المتكلم باديء ذي بدء سأل الله - تعالى - أن يجعل له وزيرا من أهله ، ثم بدا له أن هارون قد يصلح لأن يكون ذاك الوزير المناسب خاصة وأنه من أهله ، بل من أقرب أهله إليه ليكون ذاك أدعى الى نصرته إياه ، فقال " هارونَ أخي " من باب الإفصاح عما وقر في نفسه ولمع في ذهنه بعد النطق بجملته الأولى سائلا الله "وزيراً " بالتنكير ، فهو لم يكن قد حدد ذاك الوزير أو عرفه بل هو عام ، أي وزير ودليل هذا " هارون أخي " جاءت في آية لاحقة ل " واجعل لي وزيراً

---

(١) الهمع ٥/٢١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، الموضع نفسه .

(٣) انظر : البيان ٢/١٤١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من أهلي " . فهارون أخي " إفصاح مباشر عما لمع في ذهن المتكلم وما دار في خلده بين يدي المخاطب السامع العالم على ما في نفسه قبل أن يذكره ، بل قبل أن يفكر فيه ، بل إن سؤاله الله بأن يجعل له وزيراً من أهله ثم النطق باسم هذا الوزير الذي كان منذ لحظة مجهولاً وتعيينه إنما كان بوحي من الله وإلهامه جل وعلا .

يقول القرطبي مشيرا إلى معنى التعيين : " سأل موسى اللّهَ تعالى أن يجعل له وزيراً ، إلا أنه لم يرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى لا يكون شريكاً له في النبوة ، ولولا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسئلة ، وعين فقال : " هارون " وانتصب على البدل من قوله "وزيراً " "(١)

أما أن يكون " هارون " منصوبا بـ " اجعل " فمردود لسببين :

الأول : لما فيه من تغيير في تركيب الجملة بتقدير تقديم المفعول الثاني على الأول يقول القرطبي : " ويكون منصوباً بـ " اجعل " على التقديم والتأخير : واجعل لي هارون أخي وزيراً"(٢) .

وهذا التقدير يتناقض مع المعنى الذي ذكرنا والذي يدل عليه السياق ، إذ حسب هذا التقدير يكون الوزير عنده هو الاصل في المسألة وهو مقدم على الوزارة نفسها .

وواقع الامر أن حاجته الى الوزير هي التي دعته الى التفكير فيمن يصلح لأن يكون وزيراً ، فطلب الوزارة لهارون بعينه لم يكن هو الأصل والبداية في الطلب .

الثاني : أن جعل في سياق الاية الكريمة فعل أصيل نواة جملة فعلية لا تستغني عنه بحال من الأحوال ، وليس " جعل " عنصر التصيير التي تدخل على جملة اسمية لتدخل اليها معنى الصيرورة والتحويل من حال مناقض لما كانت عليه قبل دخولها .

---

(١) الجامع ١١/١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه ، الموضع نفسه .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فجعل هذه الآية فعل متعد إلى مفعول واحد مكتف به جملة تعطي معنى أدنى يحسن السكوت عليه .

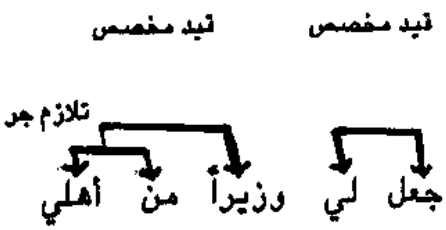

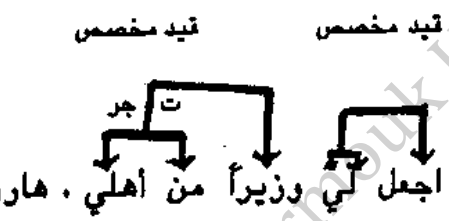

أما أن يكون " هارون " منصوباً على تقدير فعل فيرده أبو حيان قائلاً : " .... وجوّزوا أن ينتصب " هارون " بفعل محذوف أي اضمم إلي هارون وهذا لا حاجة إليه لأن الكلام قام بدون هذا المحذوف "(١).

ويمكن تحليل الآيتين التاليتين على البدل :

١ - « قد كان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٍ تقاتل في سبيلِ اللهِ واخرى كافرةٌ يرونهم رأىَ العينِ .... » (آل عمران : ١٣)

٢ - « ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً .... » (آل عمران : ٩٧)

---

(١) البحر المحيط ٦/ ٢٤٠ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جدول الآيات القرآنية

السورة	الآيـــــة	الصفحة
الفاتحة		٢٤١
٣	« مالك يوم الدين »	
٥	« إياك نعبد وإياك نستعين »	
٧	« غير المغضوب عليهم »	١٨١، ١٨٤
البقرة		
١، ٢	« الـــم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »	٧٠
١١	« وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنما نحن مصلحون »	١٣٦
١٢	«ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون »	١٣٧
١٨	« صم بكم عمي فهم لا يرجعون »	٦٩
١٩	« يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت »	١٥٢
٢٣	« وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا »	٨٠
٢٨	« كيف تكفرون بالله »	٢١
٢٩	« فإمساك بمعروف »	٥٢
٣٧	« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »	١٢١
٤٠	« وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون »	١٣٩
٤١	« وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به »	١٦٨
٥١	« وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون »	١٧٩
٥٨	« وقولو حطة نغفر لكم خطاياكم »	٦٩، ١٦٨
٨٣	« لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا »	١٩٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨٥	« ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريق منكم من ديارهم وتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم »	٤٥
٨٧	« ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون »	٢١
٩٠	« بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل على من يشاء من عباده »	١٦١
٩٦	« وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر »	٤٥
١١٩	« إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً »	١٦٨
١٢٥	« وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً فلا تجعلوا لله أنداداً »	١٠٦
١٢٦	« وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً »	١٠٦
١٣٥	« وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً »	٦٩
١٦٥	« ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً »	١٨٠
١٧٣	« إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله »	١٢٧
١٧٧	« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب »	٢٢٦
١٩٦	« فصيام ثلاثة أيام »	٥٣
٢٠٧	« ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله »	١٦٢
٢١٧	« يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه »	٢٠٦ ، ٢٠٨
٢٢٨	« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »	١١٧
٢٣٣	« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين »	١١٧
٢٧١	" يكفر عنكم من سيئاتكم "	١٩٦
٢٧٤	« الذين ينفقون أموالهم سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم »	١٤٤
٢٨٥	" غفرانك ربنا وإليك المصير "	٦٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آل عمران		
١	« الم الله لا إله إلا هو »	١٢٣
٧	« والراسخون في العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا »	١٠٩
١٣	« قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة »	٢٥٣
٦٢	« ما من إله غير الله »	١٣٢
٨٣	« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض »	١٤٦ ، ١٥١
٩١	« إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً »	١٨٠
٩٧	« فيه آيات بينات مقام ابراهيم »	٢٥٣
١٥٤	« وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية »	١٥١
١٦٩	« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء »	٥٩
النساء		
١	« واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام »	١٩٧
١٢	« وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة »	٩٧
١٦	« واللذان يأتيانها منكم فآذوهما »	٢٧ ، ١٤٢
٨١	« ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول »	٦٩
٩٥	« لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله »	١٨١ ، ١٨٥
١٣٦	« يا أيها الذين أمنوا آمنوا بالله ورسوله »	٢٢٤
١٦٠	« فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم »	١٣٦
١٦٢	« لكن الراسخون في العلم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك »	٢٢٧ ، ٢٢٩
١٦٤	« ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل »	١٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٧١	« إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد »	١٢٧، ١٣١
	المائدة	
١	« إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم »	١٨١
٢٠	« وجعلكم ملوكاً »	٩٨
٢٢	« قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين »	١٤٢
٣٨	« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا »	٢٧، ١٣٩
٦٩	« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى »	٥٣، ٩٦
٧١	« وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم »	١١٨
٨٩	« فصيام ثلاثة أيام »	٥٣
	الانعام	
١	« الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور »	١٠٠
٣٤	« ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا »	١٩٦
٣٦	« والموتى يبعثهم الله ثم إليه ترجعون »	١١٣
٥٩	« وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض »	١٨٩
١٠٠	« وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم »	٩٨
١٤٥	« قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه »	١٣١
١٥٥	« و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه »	٧٠
١٦٤	« قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء »	١٤٦، ١٥١
	الاعراف	
١، ٢	« المص . كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه »	١٢٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨	« والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون »	١٠٧
٥٥	« ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين »	
٥٩	« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »	١٩٦
١٥٥	« واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا »	١٠٣ ، ١٥٦
١٦٤	« قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون »	٦١
	الانفال	
١٤	« ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار »	١٥١
٣٢	« وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » .	٨٢
	التوبة	
٦	« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره »	
٣٦	« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً »	١٧٨
٦٠	« إنما الصدقات للفقراء والمساكين »	١٣١
١١١	« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم »	١٨٧
	هود	
١ ، ٢	« الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير »	١٢٢
١٢	« إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل » .	١٢٧
٧٢	« قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً »	١٦٣
٧٨	« قال ياقوم هؤلاء ، بناتي هن أطهر لكم »	٢٤٢
	يوسف	
١٨	« فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »	٥٣
٨٣	« فصبر جميل عسى أن يأتيني بهم جميعاً »	٥٥

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الرعد

١٢ « هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً » ١٥٩

ابراهيم

٢٢ « ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل » ٢٠٣

النحل

٢٠ ، ٢١ « والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. أموات غير أحياء » ٦٧

٣٠ ، ٣١ « وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين. جنات عدن يدخلونها » ١٤٩

الاسراء

٦٣ « فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً » ١٥٥

الكهف

٥ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم »

٦ « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » ١٦٢

٧ « إنا جعلنا ما على الارض زينة لها » ١٦٢ ، ١٨٠

١١ « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً » ١٨٠

١٢ « ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا امداً » ١٦٩

١٩ « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر ايها أزكى طعاماً » . ١٨٠

٣٠ « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً » ٢٤٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣١	« متكئين على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً »	١٩٦
٣٩	« إن ترنى أنا أقل منك مالاً وولداً »	٩٢
٦١	« فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً »	١٨٠

مريم

٤٦	« قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم »	٥٢
٤٧	« سلام عليك ساستغفر لك ربي »	٧٤
٦٩	« ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتياً »	١٦٩ ، ١٧٠

طه

١٣	« وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »	١٠٤
٢٩ ، ٣٠	« واجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي »	٤٤٧
٦٣	« قالوا إن هذا لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما »	٤١٦
٦٩	« إنما صنعوا كيد ساحر »	١٤٧

الانبياء

٢	« ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون »	٦٩
٣	« لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا »	٦٩ ، ١١٨
١٦	« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين »	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٩٠	« إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً »	١٥٦
	الحج	
٧٢	« قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفـــروا وبئس المصير »	٧٧
٧٨	« هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكـم إبراهيم »	٦٩
	المؤمنون	
٢٧	« ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون »	٢١٤
	النور	
٢	« والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة »	٢٩ ، ١٣٩
٣١	« أو التابعين غير أولي الإربـة »	١٨١
	القصص	
٥٨	« وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها »	١٧٧
	لقمان	
١ - ٣	« الـمـ . تلك آيات الكتاب الحكيم . هدى ورحمة للمحسنين »	٧٠
	السجدة	
١ ، ٢	« الـمـ . تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين »	١٢٢ ، ١٢٥
١٨	« أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقا لا يستوون »	
	الأحزاب	
١٨ ، ١٩	« قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا . أشحةً عليكم »	٢٤١
٤٠	« ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله »	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٦	« إن الله وملائكته يصلون على النبي »	٢٠٩
٦٠	« لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم »	٦٩
٦١	« ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقُتّلوا تقتيلاً »	٦٩، ٢٣٥
سبأ		
١٠	« يا جبال أوبي معه والطير »	٢٢٣
فاطر		
٣	« هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض »	٥١، ٦٠٦٦
٢٢ ، ٢٣	« وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور . إن أنت إلا نذير »	١٣٤
يس		
١ ، ٢	« يس . والقرآن الحكيم »	١٢٣
٦	« لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون »	
٧	«لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون »	
١١	« إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب »	١٣٣
١٣ – ١٦	« واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون »	٢١٣
ص		
٨٤	« قال فالحق ُوالحقَّ أقول »	
الزمر		
٩	« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب »	١٨٦
٦٠	« ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة »	٣٨

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٦٤	« قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون »	١٥١
٦٦	« بل الله فاعبد وكن من الشاكرين »	١٥١،١٤٨
	غافر	
٤٥ ، ٤٦	« وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً »	٤٦ ٢٤
٨١	« ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون »	٢١
	فصلت	
٣	« كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون »	٢٤١
	الشورى	
٥٢ ، ٥٣	« وإنك لتهدي الى صراط مستقيم . صراط الله »	٩٨
٧٦	« وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين »	
	الجاثية	
٢١	« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم »	
	الأحقاف	
١٢	« وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين »	٢٤١
٣١	« يا قومنا أجيبوا داعي الله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم »	١٩٦
	الحجرات	
١٤	« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما	

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

	يدخل الإيمان في قلوبكم »	٢٤
	القمر	
٤ ، ٥	« ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر . حكمة بالغة فما تغني النذر »	٦٩
٧	« خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر »	٢١
	نوح	
١٥	« ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً »	١٦٨
	المزمل	
٢٠	« تجدوه عند الله خيراً وأعظم أجراً »	٨٢
	المدثر	
١٢	« وجعلت له مالاً ممدوداً »	٩٨
	الإنسان	
٥ ، ٦	« إ ن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً . عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً »	٦٩
١٣	« متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها برداً ولا زمهريراً »	١٦٨
	النازعات	
٤٥	« إنما أنت منذر من يخشاها »	١٣٣
	التكوير	
١ ، ٢	« إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت »	١٢٦
	الانفطار	
١ ، ٢	« إذا السماء انفطرت . وإذا الكواكب انتثرت »	١١٧

© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣ ، ٤ ، ٥	« وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ما قدمت وأخرت »	١٢٦
المطففين		
١	« ويل للمطففين »	٧٤
الانشقاق		
١	« إذا السماء انشقت »	٩٧
القلم ٤٠ **المسد**	« سنسمه على الخرطوم »	١٦٩
٢	« ما أغنى عنه ماله وما كسب »	٢٣٩
٤ ، ٥	« وامرأته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد »	٢٣٤

© Arabic Digital Library Yarmouk University

جدول الشواهد الشعرية

- إنما مصعبٌ شهابٌ من الله	ـه تجلت عن وجهه الظَلماءُ	١٣٦، ١٣٣
- لا أقعد الجبنَ عن الهيجاءِ	ولو توالت زمرُ الأعداءِ	١٦١
- عجبٌ لتلك قضيةٌ وإقامتي	فيكم على تلك القضيةِ أعجبُ	٦٠
- ولكن يِديافي أبوه وأمُّه	بحورانَ يَعْصِرْنَ السَّليطَ أقاربُهْ	١١٩
- فمن يك أمسى بالمدينة رَحْلُهُ	فإني وقيار بها لغريبُ	٢٠٩، ٢١٨
- فاليوم قربت تهجونا وتَشْتِمُنا	فاذهب فما بك والأيام من عجبِ	٢٠٢
- من البيضِ لم تَصْطَدْ على حبلِ سَوأةٍ	ولم تمشِ بينَ الناسِ بالحَطِرِ الرَّطْبِ	٢٣٨
- فمن يَكُ ذابَتْ فهذابَتي	مُصَيْفٌ مقيظٌ مُشَتِّ	١٦٣
- وعلمتُ أني يوم ذا	ك منازلٌ كعباً ونهدا	
قومٌ إذا لبسوا الحديـ	ـدَ تَنَمَّروا حلقاً وقِدا	٧٧
- ماللجمالِ مَشْيِها ونيدا	أجندلاً يحملنَ أم حديدا	٣٨
-	عَلامَ مُلِئْتَ الرُّعْبَ، والحربُ لَمْ تَقِدِ	١٧٧
ـ إنما أنتَ والدٌ والأبُ القا	طعُ أَحْنى مِنْ واصلِ الأولادِ	١٣٢
ـ وسَوَّدَ ماءُ المردِ فاهاً فَلَوْنُهُ	كَلَوْنِ النؤورِوهي أدماءُ سازِها	١١٨
- نفسي فداءُ أميرِ المؤمنينَ إذا	أَبْدى النواجذَ يومٌ باسلٌ ذَكَرُ	
الخائضُ الغَمْرَ، والميمونُ طائِرُه	خليفةُ اللّه يُسْتَسْقَى بِهِ المطرُ	٢٣٠
- لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هم	سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ	
النازلون بكلِ مُعْتَرَكٍ	والطيبين معاقدِ الأُزُرِ	٢٢٦، ٢٢٩
ـ رأيتُك لما أنْ عرفتَ وجوهَنا	صَدَدْتَ وطِبتَ النفسَ يا قيسُ عَنْ عمرِو	١٧٧
ـ وَيَنْمي لها حبُّها عندنا	فما قال من كاشحٍ لَمْ يَضِرْ	١٩٦
ـ	* في بئرِ لا حورٍ سرى وما شَعَرْ *	١٨٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

— وما كان يرضى رسول الله دينهم	والطيبان أبو بكر ولا عمرُ	١٨٤
- فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيتَهُ	على العيسِ في آباطِها عرقٌ يبسُ	
بأن السلاميَّ الذي بضَريّةٍ	أميرَ الحمى قد باع حَقّيْ بني عبسِ	
بثوبٍ ودينارٍ ودرهمٍ	فهل هو مرفوعٌ بما ها هنا رأسُ	٤٥
- أكَرُّ وأحمى للحقيقة منهم	وأضْرَبُ منا بالسيوف القوانسا	١٧٦
- فلسنا كمن تُزجى المقالةُ شَطْرَهُ	بِقَرْفِ العِضَاهِ الرَّطْبِ والعَبَلِ اليَبْسِ	٢٣٩
- إذا مت كان الناس صنفان : شامت ،	وآخر مثن بالذي كنت أصْنَعُ	٨٧
- ضننت بنفسي حقبة ثم أصبحت	لِبِنْتِ عَطاءٍ بَيْنَها وجَميعُها	
ضبابيةٌ مريةٌ حابسيةٌ	مُنيفاً بِنَعْفِ الصيدلين وَضيعُها	٢٣٧
- دعيني ، إنّ أمْرَكِ لَنْ يُطاعا	وما أَلْفَيْتِني حِلْمِي مُضَاعا	٣٨
- فقالتْ حنانٌ ما أتى بك ههنا	أذو نسبٍ أم أنتَ بالحيّ عارفُ	٦١
وإنّي مِنْ قومٍ بهم يُتّقى العِدا	ورأبُ الثأي والجانبُ المُتَخَوَّفُ	٢٠٤
نُعَلِّقُ في مِثْلِ السّواري سُيُوفَنا	وما بَيْنَها والكَعْبِ غوطٌ نَفانِفُ	١٩٧
- وإلافاعلموا أنّا وأنتم	بغاةٌ ما حَيينا في شِقاقِ	٢١٨
- أرسلتُ فيها قَطِماً لُكالِكا	يَقْصُرُ يَمْشي ويَطولُ بارِكا	١١٠
- إذا ما أَتَيْتَ بني مالكٍ	فَسَلِّمْ على أيُّهم أفْضَلُ	١٧٤
- يشكو إليَّ جَمَلي طولَ السُّرى	صبراً جميلاً فكلانا مبتلى	٥٤ ، ٥٨ ، ٦١
- الواهب المئةِ الهجانِ وعبدِها	عوذاً تزجي خلفها أطفالَها	٢٠٠
- أنا الذائدُ الحامي الذِّمارَ وإنما	يدافع عن أحسابهم أنا ومثلي	١٢٩
- ولَقَدْ أبيتُ من الفتاة بمنزلٍ	فأبيتُ لا حرجٌ ولا محرومُ	١٧٠
- يلومونني في اشترائي النخيـ	ـل أهلي فكلهم ألومُ	١١٨
- وأغفرُ عوراءَ الكريمِ ادخارَه	وأُعْرِضُ عن شتمِ اللئيمِ تكرمًا	١٥٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- إن بها أكتل أو رِزاما — خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقِفان الهاما — ٢٣٦
- أمِنْ عَمَلِ الجرافِ أمسِ وظُلْمِهِ — وعُدوانِهِ أعتبتُمونا براسمِ
أميرَي عَداءٍ إن حَبَسْنا عليهما — بهائمَ مالٍ أوْدَيا بالبهائمِ — ٢٤٦
- ولكنني استبقيت أعراضَ مازنٍ — وأيامَها من مستنيرٍ ومظلمِ
أناسا بشغرٍ لا تزال رماحُهم — شوارعَ من غير العشيرة في الدمِ — ٢٣٧
- ولقد خبطن بيوت يَشْكُرَ خَبْطَةً — أخوالُنا وهم بنو الأعمامِ — ٢٣٠
- إلى الملكِ القرمِ وابنِ الهمامِ — وليثِ الكتيبةِ في المزدَحَمْ
وذا الرأي حين تُغَمُّ الأمُور — بذات الصليل وذات اللُّجُمْ — ٢٢٩
- ولم أر ليلى بعد يومٍ تعرضتْ — لنا بين أثوابِ الطِرافِ من الأدَمْ
كلابيةٌ وبريةٌ حبتريةٌ — نَأَتْكَ وخانَتْ بالمواعيدِ والذِّمَمْ
أناساً عدىً عُلقتُ فيهمْ ولَيْتَني — طَلَبْتُ الهوى في رأسِ ذي زَلَقٍ أشَمْ — ٢٣٧
- فليتَ لي بهم قوماً إذا ركبوا — شنوا الإغارة فرساناً ورُكبانا — ١٦١
* أنا ابن سعد أكرم السعدينا * — ٢٣٨
- بدا لي أني لستُ مُدْرِكَ ما مضى — ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا — ٢١١ ، ٢١٥
- وقائلةٍ خولانُ فانكح فتاتَهم — وأكرومةُ الحيين خلوٌ كما هِيا — ١٣٩ ، ١٤٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- الأخطل . شعر الأخطل . صنعة السكري . ت : فخر الدين قباوة . بيروت ، دار الآفاق الجديدة . ط ٢ ، ١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ .

- الأخفش . معاني القرآن . ت : د . فائز فارس الحمد . الكويت ، المطبعة العصرية . ط ٢ ، ١٤٠٠ ه - ١٩٧٩ .

- الأزهري . التصريح على التوضيح . دار إحياء الكتب العربية .

- الإستر ابادي ، رضي الدين . شرح الكافية في النحو . بيروت ، دار الأعلمي . ط ٣ ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- الأشموني . شرح الأشموني . ت : محي الدين عبد الحميد . بيروت ، دار الكتاب العربي . ط ١ ، ١٩٥٥ م - ١٣٧٥ هـ .

- الأعشى . ديوان الأعشى . بيروت ، دار صادر .

- ابن الانباري . الانصاف في مسائل الخلاف . ت : محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر .

- ابن الأنباري . البيان في غريب إعراب القرآن . ت : طه عبد الحميد طه . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر . ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

- الاندلسي ، أبو حيان . البحر المحيط . دار الفكر . ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- البغدادي ، أبو بكر أحمد بن شقير . المحلى " وجوه النصب " . ت : د . فائز فارس . بيروت ، مؤسسة الرسالة . اربد ، دار الامل . ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . ت : عبد السلام هارون . القاهرة ، مكتبة الخانجي . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- بكر ، محمد صلاح الدين . النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم . الصفاة - الكويت ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مؤسسة علي جراح الصباح .

- الجرجاني ، عبد القاهر . دلائل الإعجاز . ت : محمود محمد شاكر . القاهرة ، دار النهضة .

- الجرجاني ، محمد بن علي ، التعريفات ، بيروت ، دار الكتب العلمية . ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر . أشرف على تصحيحه محمد الضباع .بيروت ، دار الكتب العلمية .

- ابن جني ، الخصائص ، ت : محمد علي النجار . بيروت ، دار الهدى ، ط ٢

- ابن جني . المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . ت : علي النجدي ناصف ، وأخرون . القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . ١٣٨٦ هـ .

- ابن الحاجب . الكافية في النحو . بيروت ،دار الكتب العلمية . ط ٣ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- حجازي ، محمود فهمي ، علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية) . الكويت ، وكالة الناشر للمطبوعات . ١٩٧٣ م .

- حداد ، حنا جميل . معجم شواهد النحو الشعرية . الرياض ، دار العلوم للطباعة والنشر . ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٤ م .

- حسان ، تمام . اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٣ م .

- حسن ، عباس . اللغة والنحويين القديم والحديث . القاهرة ، دار المعارف . ١٩٦٦ م .

- ابن خالوية . مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع . نشر : ج . براجشتراسر . دار الهجرة .

- الدينوري ، ابن قتيبة . تأويل مشكل القرآن . شرح ونشر : السيد أحمد صقر . القاهرة ، المكتبة العلمية ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

- الزجاج ، أبو اسحاق ، معاني القرآن وإعرابه . ت : عبد الجليل عبده شلبي . بيروت ، عالم الكتب . ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الزجاجي ، أبو بكر . الإيضاح في علل النحو . ت : مازن المبارك . ١٩٥٩ م .

- الزركشي ، بدر الدين . البرهان في علوم القرآن . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .دار رحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه . ط ١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر . أساس البلاغة . دار الكتب . ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

الزمخشري . الكشاف . بيروت ، دار الفكر . ط ١ ، ١٣٣٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- ابن السراج . الاصول في النحو . : عبد الحسين الفتلي . بيروت ، مؤسسة الرسالة . ط٢، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- ابن السراج . الموجز في النحو . ت : مصطفى الشمويمي ، بن سالم دامرجي . بيروت ، مؤسسة أ - بدران للطباعة والنشر .

- السعدي ، عبد القادر عبد الرحمن . أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من ايات القرآن التشريعية ، بغداد ، مطبعة الخلود . ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

- السيوطي ، جلال الدين . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . ت : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الفكر . ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- دار البحوث ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ت : عبد العال مكرم . الكويت ، دار البحوث العلمية . ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

- سيبويه ، الكتاب . ت : عبد السلام هارون . القاهرة ، دار القلم . ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

- سيبويه ، الكتاب . ت : عبد السلام هارون . بيروت ، عالم الكتب .

- الصاوي ، محمد بن اسماعيل عبد الله . شرح ديوان جرير . بيروت ، دار مكتبة الحياة .

- الصبان ، حاشية على شرح الاشموني . دار إحياء الكتب العربية .

- الصعيدي ، عبد المتعال . النحو الجديد . دار الفكر العربي .

- الطباطبائي ، محمد بن حسين . الميزان في تفسير القرآن . بيروت ، دار الأعلمي . ط ٣ ،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

- عابدين ، عبد المجيد . مدخل الى دراسة النحو العربي على ضوء لالدراسات السامية . القاهرة ، مكتبة الشبكشي ، ط ١ ، ١٩٥١ هـ .

- عباس فضل . البلاغة فنونها وأفنانها . عمان ، دار الفرقان . ١٩٨٥ م .

- ابن عقيل . شرح ابن عقيل . ت : محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

- ابن عقيل . المساعد على تسهيل الفوائد . ت : د . محمد كامل بركات . دمشق ، دار الفكر . ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

- العكبري ، أبو البقاء . التبيان في إعراب القرآن . ت : علي محمد البجاوي . بيروت ، دار الجيل . ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- عمايرة ، اسماعيل . المستشرقون ومناهجهم اللغوية . اربد ، دار الملاحي . ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- عمايرة ، خليل أحمد . آراء في الضمير العائد ولغة " أكلوني البراغيث " . عمان ، دار البشير . ط ١ ، ١٤٠٩ ، - ١٩٨٩ م .

- عمايرة ، خليل أحمد . في التحليل اللغوي . الزرقاء ، مكتبة دار المنار . ط ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- عمايرة ، خليل أحمد . في نحو اللغة وتراكيبها . جدة ، عالم المعرفة . ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

- ابن فارس . معجم مقاييس اللغة . ت : عبد السلام هارون . دار الفكر . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

- الفارسي ، ابو علي . المسائل العسكريات . ت : د. اسماعيل عمايرة . منشورات الجامعة الاردنية . ١٩٨١م .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- الفراء ، أبو زكريا . معاني القرآن . بيروت ، عالم الكتب . ط ٢ ، ١٩٨٠ م

- الفرزدق ، ديوان الفرزدق . شرح وضبط علي الفاعور . بيروت ، دار الكتب العلمية . ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- القرطبي . الجامع لأحكام القرآن . دار الكتب العربي . ط ٣ ، ١٣٨٧هـ - ١٩٧٧م .

- القفطي ، جمال الدين . إنباه الرواة الى أنباه النحاة . ت : محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، دار الكتب المصرية . ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

- القيسي ، مكي بن أبي طالب . الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . ت : محي الدين رمضان . بيروت مؤسسة الرسالة . ط٢ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ .

- القيسي ، مكي بن أبي طالب . مشكلة اعراب القرآن . ت : حاتم صالح الضامن . بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

- المبرد . المقتضب . ت : عبد الخالق عضيمة . القاهرة ، منشورات وزارة الاوقاف المصرية. ١٣٩٩ هـ .

- المخزومي ، مهدي . مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو . مصر ، مصطفى البابي الحلبي . ط ٢ ، ١٣٧٧ هـ -١٩٥٨م .

- المرادي ، الحسن بن القاسم . الجني الداني في حروف المعاني . ت : فخر الدين قباوة . ومحمد نديم فاضل . بيروت ، دار الآفاق الجديدة . ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- ابن مضاء . الرد على النحاة . ت : د . شوقي ضيف . القاهرة ، دار الفكر العربي . ط ١ ، ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م .

- مكرم ، عبد العال . ومختار ، أحمد عمر . معجم القراءات القرآنية . الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت . ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤ م .

- ابن منظور ، لسان العرب . بيروت ، دار صادر . ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

- النحاس . إعراب القرآن ، ت : زهير غازي - زاهد . بغداد ، مطبعة العاني . ١٣٩٧هـ -

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٩٧٧م .

- نهر ، هادي . التراكيب اللغوية في العربية . بغداد ، مطبعة الارشاد . ١٩٨٧ م - ١٤٠٨هـ .

- هارون ، عبد السلام . الأساليب الانشائية في النحو العربي . مؤسسة الخانجي . ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .

- الهذليون . ديوان الهذليين . ت : عبد الستار احمد فراج . القاهرة ، دار العروبة .

- ابن هشام . مغني اللبيب . دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

- ابن هشام ، مغني اللبيب . ت : د . مازن مبارك وآخرون . دار الفكر . ط ٢ .

- ونسنك ، أ . ي . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . ليدن ، مطبعة بريل . ١٩٥٥ م.

- ابن يعيش . شرح المفصل . بيروت ، عالم الكتب .

- اليماني ، عبد الباقي عبد المجيد ، اشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

دليل رموز البحث (١)

⇐	= تتحول الى
∅	= المجموعة الخالية لتدل على محذوف من الجملة التوليدية .
↓	= عنصر توكيد
م	= مبتدأ
خ	= خبر
ح	= عنصر تحويل بالحركة الاعرابية
~	= عنصر نفي
ض	= ضمير
م مق	= مبتدأ مقدم للعناية والتوكيد
خ مق	= خبر مقدم للعناية والتوكيد
ف	= فعل
فا	= فاعل
فا مق	= فاعل مقدم لغرض التوكيد
مف	= مفعول به
مف مق	= مفعول به مقدم لغرض التوكيد
ض	= مفعول عائد للتوكيد
↱	= رأس السهم يشير الى الكلمة التي صدر منها السهم
≠	= لا تساوي
الجملة النواة	= الجملة التوليدية = الجملة الاصل .

---

(١) انظر : في التحليل اللغوي ، د . خليل عمايرة ، ص ٢١ ، ٢٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجملة التحويلية = الجملة التوليدية + عنصر من عناصر التحويل .

= المعنى العميق

= المعنى المقصود أو الدلالي

بؤرة الجملة = الفعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ في الجملة الاسمية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خاتمـــــــة

سار النحويون العرب القدماء في تحليلهم اللغوى على أساس نظرية العامل باذلين قصارى جهدهم في سبيل تبرير الحركة الاعرابية محققين بذا سلامة المبنى الذى كان احيانا على حساب المعنى فيحين سار البلاغيون في خط مواز لهذا الخط محققين سلامة المعنى ٠

وقد جاءت كتب معاني القرآن في موقع وسط بين هولاء وأولئك الاّ أن الصنعة النحوية كانت تجذبهم في كثير من الأحيان فيذكرون عددا من أوجه الاعراب للفظة الواحدة دون أن يجدوا في ذلك حرجا طالما أن اعرابهم يحقق سلامة المبنىويبرر الحركة الاعرابية ، وان كان يخالف المعنى أو يهمله أحيانا ٠

ومن هنا جاء هذا البحث ليحلل هذا النمط من الآيات القرآنية الكريمة التي ورد في بعض ألفاظها اكثر من وجه اعرابي ليرجح وجها واحدا يوفق فيه بين المبنى والمعنى مستندا في ذلك الى كتب تفسير القرآن الكريم ، والى بعض كتب البلاغة، اذ لايخفى ما في تعدد وجوه الاعراب من تشتيت للمعنى ذلك انه لايفترض ان المتكلم عز وجل حين تكلم اراد باللفظة الواحدة في سياقها اكثر من معنى واحد ٠

فجاء المعنى في هذا البحث حكما في تحديد الاعراب المراد تمسكا بقول العرب : " الأعراب فرع المعنى " تلك المقولة التي كثيرا ما كان يهمل تطبيقها واقعا ٠

فهذا البحث يدرس توجيه أصحاب معاني القرآن الشواهد النحوية لبناء القاعدة النحوية دراسة وصفية طبقا لأسس المنهج الوصفي في تحليل النصوص ٠ وذلك في ضوء النظرية التوليدية التحويلية للدكتور خليل عمايرة ٠

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Old Arab grammarians based their linguistic analysis on the " Theory of regent"; hence, they exerted their utmost effert to justify the inflectional aspect of the word , thus proving the correctness of the form-morphology- of the word which, sometimes, was approved of the expense of the meaning. Where as rhetoricians were concerned with the meaning.

Semantic books on the lexis of the Holy Kuran adopted a middle line between the grammanians and the rhetoricians . But , they often had more leaning towards grammar as they used to mention more than one sysntactic aspect for the same lexeme (Word) if that would justify the word formation , regardless of the meaning.

Hence, this research is to analyse this category in some verses the Holy Kuran which carry more than one syntactic possibility, as per the old grammarians,with the aim of giving preference rto anly one possibility which compnses both the form and the meaning. This in based on reference books that deal with the interpretation of the Holy Kuran Verses. Many syntactic possibilities render the meaning ambigious, becouse it should not be presumed that the speaker, ALLAH , meant the same word to carry more than one meaning.

Thus, meaning in this research is the governing factor that determines the syntax. This cames in conhrmity with the Arab saying "Syntax is the beanch of semantics", which had often been neglected.

This research studies the orientation those who are concewrned with the semantics of the Holy Kuran to build the

© Arabic Digital Library Yarmouk University

grammatical rules on the grammatical evidence. Moreover, it is a descriptive study according to the principles of the descriptive theory concerning the textral analysis, in light of the Arab generative transforational theory of Dr. Khaleel Amayreh.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University